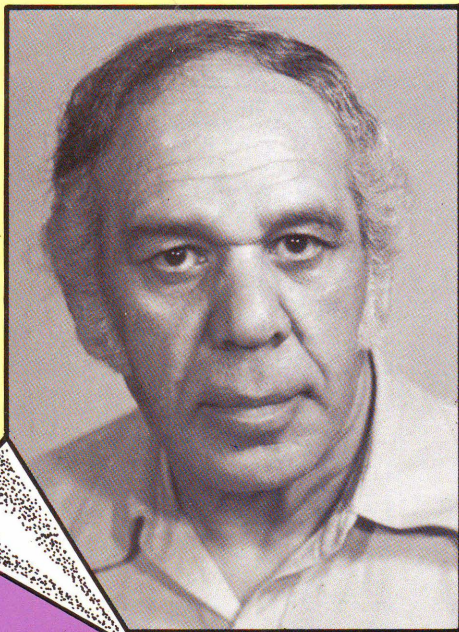


كاظم السماوي

الأعمال الشعرية ١٩٥٠-١٩٩٣



كاظم السماوي

الأعمال الشعرية ١٩٥٠-١٩٩٣



• كاظم السماوي: الاعمال الشعرية ١٩٥٠-١٩٩٣.

• الطبعة الأولى ١٩٩٤

• جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر:

دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب: ١٣٥١٢٧ - بيروت - لبنان.

المحتويات

فصول الريح ورحيل الغريب

١٥	لها
١٧	هجرة (عروة ابن الورد)!!
٢٢	ولكنك الجثة التي تنتمي لكل الفصول
٢٦	الرحيل الأخير
٣٨	رعشة حنين
٤٠	الحريق
٥٢	يا سفر
٥٤	أشعت شعرها المياه
٦٢	النسر الأحمر
٧٠	يا عراق
	اختطاف.. (عبد الرزاق الشيخ علي) العائد من
٧٣	باريس - بعد منتصف ليل بغدادي!

- ٧٦ هو البحر.. في دمناء
- ٧٩ كن قمصان الشهداء مرثية «ماجد أبو شرار»
- ٨٨ أيام سييرية
- ٩٠ فندق «الجدار الصيني»
- ٩٢ علي فودة: شاعر الرصيف
- ٩٥ عانقوا الطلقة الأخيرة.. وارتحلوا
- ١٠١ حَجْرٌ.. حَجْرٌ!
- ١٠٥ عفن!
- ١٠٨ ويالك عملاقاً تخطى زمانه
- ١١٢ فصول الريح.. ورحيل الغريب
- ١٢١ المسيرة الكبرى
- ١٣٤ رحيل الحلم.. «رحيل نصير السماوي.. في عمره الربيعي»
- ١٣٨ وخبث نجوم الليل.. وانطفأت وأنت ولا صدى!
- ١٤٦ شهادات

قصائد للرصاص.. قصائد للمطر

- ١٥٧ وأنت الذي اثبت وأنت الذي.. ستأتي
- ١٦١ تداعيات.. في ليلة الاعدام

سقوط عرش الطاووس.. وصعود الفارس الشيخ:

- ١٦٣ وغيت.. «شيراز» احلامها
- ١٦٦ السماوة والنخيل، والطفولة
- ١٧١ الليل.. في برلين
- ١٧٣ الصمت
- ١٧٦ هو الوهم.. هو الحلم
- ١٧٩ باريس.. صيف ١٩٦٥
- ١٨١ أغنية إلى كوبا
- ١٨٤ رحيل ناظم حكمت
- ١٨٦ الغابة
- ١٨٨ الساقطون
- ١٩٠ المعول

رياح هانوي

- ١٩٥ رياح هانوي
- ٢٠١ الرياح السوداء
- ٢٠٦ فجر الدم.. فوق الجزائر
- ٢١٢ سلاماً.. دمشق!
- ٢١٥ طارق الليل

٢١٧	رسالة إليه!
٢٢٠	سلاماً يا عراق
٢٢٣	مرثية «نسيب المتني»
٢٢٦	قسم
٢٢٧	عراقي
٢٣٠	١٤ تموز

إلى اللقاء في منفى آخر

مقدمة: كاظم السماوي.. رافد خصيب

٢٣٧	د. ميشال سليمان
٢٤١	ملحمة الهجرة.. الثالثة
٢٦٣	الوردة.. والزنج
٢٦٦	الثائر.. والسلاح
٢٦٩	«ظفار» الحمراء
٢٧١	الرعد
٢٧٣	الحدود
٢٧٥	خيمة.. وهرم
٢٧٩	عادوا قبيل الفجر
٢٨٢	اغتيال

٢٨٤	الراحلان
٢٨٧	ويزهرو.. الرمان!
٢٨٩	المخاض
٢٩١	الأغنية التي.. لم تكتب بعد!
٢٩٤	الصمت
٢٩٦	بودابست ١٩٥٦
٢٩٨	الدانوب
٣٠٠	رحيل أبي.. والمنفى!

الحرب والسلم ملحمة شعرية

٣٠٥	د. جورج حنا
٣٠٨	الحرب والسلم

إلى الأمام.. أبدأ

٣٢٧	د. جورج حنا
٣٢٩	بلادي
٣٣٤	ديان بيان فو
٣٣٦	من أين يحمر مجذف الملاح
٣٤٠	الموت والخبز

٣٤٤ الساري
٣٤٩ ستالين
٣٥٤ غداً
٣٥٧ المسلول المضرب
٣٦١ مرثية «الرصافي»
٣٦٤ بيروت ١٩٥٤
٣٦٦ الليل والدم

أغاني القافلة

٣٧١ مقدمة محمد شرارة
٣٧٨ وراء الجدار
٣٨١ فجر الغد
٣٨٥ أجنحة السلام
٣٩١ الشاعر المقيد
٣٩٣ مرثية الزعيم الوطني الكبير (جعفر ابو التمن)
٣٩٦ العاصفة
٤٠٠ كوريا الحمراء
٤٠٣ «بول روبسن» في أغنية السلام
٤٠٥ الزنجي

- ٤٠٨ المهاجر
- ٤١٠ مرثية برنارد شو
- ٤١٢ لبنان
- ٤١٦ دم. دم

كوردستان

- ٤٢١ وردة الدم.. وردة الجمر

فصول الريح.. ورحيلُ الغريب

١٤٤٣

لها..

أربعون عاماً من الرحيل.. بين المنافي.. وزوجتي رفيقة ليالي الموحشة..
ودربي الطويل.. الطويل.
كم تَصَبَّرْتُ، واحتملْتُ.. واغتربْتُ.. وارتحلْتُ في ليلة غيبش أسود..
وتحت سماءٍ غريبةٍ ليظل بعدها العمر.. سُكُوناً موجِشاً.. وأهه جرخ.

هجرةٌ.. (عُروة بن الورد)

أقسّمُ جسمي في جِـسومٍ كثيرةٍ
وأحسو قراخَ الماء، والماءُ باردُ

«عروة بن الورد،

يا امرأةَ الغريبةِ
مَنْ يطفئُ نارَ العشبِ ؟ !
من يسقطُ كالنجمِ.. باسمِ الماءِ ؟
من يولدُ ؟
من يبدأ كالشمسِ ؟
ولا يَفترقُ في الدمعِ..
ولا يموتُ في فراثِهِ
يكسرهُ الحنينُ !

* * *

يا امرأةَ الغريبةِ، يا سرجاً من الريحِ
ويا براءةَ الموتِ على ارضفَةِ العَصْرِ
ويا كتفأ.. على ذروتهِ تبكي الحماماتُ
فما للارضِ لا يُفرقُها الطوفانُ ! ؟
لا ينهضُ بين الغبشِ الاسودِ والايضِ قرآنُ
ولا (المهديُّ).. (من غيبتهِ) عادُ

متى يا صاحبَ الله..
متى يا صاحبَ الزنجِ ؟
الا تكتبُ ؟

لا تمحو ؟
وقد تَعْلُكُكَ الأَشْدَاقُ.. يا «عروَةُ»
قد تنفُكُكَ الأَشْدَاقُ.. كَالْقِيءِ
ولكنك لا تبخلُ يا (ابنَ الورْدِ).
هل تَمْلِكُ بين المهدِ واللحدِ
سوى.. ان تَهَبَ الناسَ..
سوى.. ان تَهَبَ الناسَ

* * *

ارى في وجهكَ الطِفْلِيَّ
وجدَ الرملِ.. للماءِ
أرى في ديمكَ الوحشيَّ
مُهْزَأً.. يُشْرِجُ الصَّحْرَاءَ
لكنكَ تعطي..
كلَّ ما يُعطى
ولا تأخذُ.. ما يُؤخَذُ
بين النومِ واليقظةِ
لا تُرجِعُ للأصْدَاءِ.. اصْدَاءَ
ولا تسقطُ بين الجذبِ والدفعِ
فيا شاهدةَ الموتى.. من الأحياءِ
يا غُرْبِي سماءَ.. أترى ؟

تعجزُ ان تبدأ؟ .. أن توميء؟
ان تأتي.... وتمضي.
مثلٌ من راح.. ومن جاء!
وهل كنت قَبِيلَ الله.. والمصحفِ
لا تسكن.. في الأشياء؟
لا ترجو حضوراً؟..
لأ ترى رؤياً؟
ولا تستبطنُ الباطنَ؟
او تخرج من خاصرة البحرِ
وهل في لغة الماء؟
صراط - يرسم الكوثر
ما بينَ البغايا.. والحواري العين؟
من يقرأ يسفر الله.. والتكوين؟
من يدرك ما تأتي به النطفةُ
والسحنة؟.. لا شيء هو الشيء
هي اللمحة.. مصباحٌ يُضيء العينَ
أو تُطفأ في العين!
فمن تأكلُ ثديها!
ومن يأكلها الثدي!
فمن شرفَ جمرَ الله؟
من دَنَسَ قُدسَ الله
يا عروة..
لن يسري بك النجم

ولن تخترقَ الصحراءَ
لن تَقْرَعَ أَجْرَاسَ الصدى الأخرسِ
لن تسكنَ في الصوتِ
ولن تُدْفَنَ.. في الجُرحِ !
ولن تطفيءَ وَجَدَ النارِ
مزماركُ.. يا عروةُ لن يُخْرِسَهُ الإِعْصَارُ
لن تغرقَ في رابعةِ النهارِ
ما لم يُبحر الشراؤُ في عينيكِ
ما لم تَسْبِحِ الأَقْمَارُ
ما لم تُورِقِ الأشجارُ
ما أعطيتِ... ما أعطيتِ
ما أسرجتِ - قنديلكَ.. في الدمعِ
وقد تهاجرُ الرياحُ.. والمنفى
ولا تهاجرُ المآذُنُ الثكلى
ولا تغتربُ الجذورُ،
ترحلُ القبورُ.. يا (وردُ)
تعوذُ جثةً.. أو جمرةً
هي الحدودُ.. وجهها النوازُسُ السودُ
الدمُ النازفُ
موت المَلحِ.. والنذورُ

* * *

يا (عروةُ بن الوردِ).. ما وُزِّعَتْ في الأجسامِ
ما رَقَّعَتْ ثوبَ الجمرِ

لن تَغْسَلَ قِيحَ الْأَرْضِ
يا (عروة).. ما لم يهدرِ الطوفانُ
ما لم يهدرِ الطوفانُ

١٩٩٠

ولكنك الجثة التي تنتمي لكل الفصول

- ١ -

لم نكن في الطريق معاً
ولكنه الملتقى.. في الرهان الأخير
وقد تعصف الرياح مقبلة..
وقد تعصف الرياح مدبرة..
وما انت.. ان لم تُمث واقفاً ! ؟
وهم ها هنا.. بين جفنيك
دائرة للرصاص.
الرصيف الذي امتد منه
انتهى إليك
ولكنه مرّ بين الأصابع والنظرات
الجريدة يرفؤها !.
الجريدة تقرأه !
تغطيه !
لكنّ مرايا الجدار
التعيّد.. إليك ملامحه ! !

- ٢ -

ربما مرّ من قبلُ ؟ !
جاء.. من قبلُ. ؟ !
فجأةً. تسقطُ الجريدةُ !
ومن قبل أن يوصدَ البابُ
تَعَمَّد.. ان يتأني قليلاً..
ويمضي !!

- ٣ -

ولكنني.. التقيتُ به !!
وكان قصيرَ الخُطى مرةً !
طويلَ الخُطى.. مرةً !
ولكنه.. عادَ مستجمعاً خطاهُ
ولم ادر.. من اينَ جاء ؟
وكيفَ اختفى !

- ٤ -

تمرُّ بكَ اللافئاتُ..
الرصيفُ المقابلُ
لكنكَ الجئةُ التي تنتمي
لكل الفصول:
لسعفِ النخيلِ يُضْفَرُ مشنقةً
للنساءِ اللواتي انتظرنَ القتيلَ
الذي لن يعودَ

٢٣

وللمدينِ المَسْتَباحَةِ.. تلعنُ أبوابها !
أيشيخُ الرجالُ ؟ !
معجزةً.. هي الغيمةُ المحلَّةُ !

- ٥ -

وجئتُ.. وعيناكَ وهجُ الرصاصِ
تخطيتُ في السريرِ.. ليلَ الحدودِ
تلملمُ اسلاءنا الطريحةَ
بين المناشيرِ..
والمقاهي.. التي لم تَلِدْ نائراً !
ولم تكسرِ النصلَ في الخاصرة.. !

- ٦ -

يحاصرني الموجُ !.. يخرج الموتُ لاهتاً
في الشوارعِ ! يحرقني الموجُ !
يطفو بي الموجُ !
هي الفوهةُ الناؤُ !
يُغرقني الـ.. م.. و.. خ
وجهُ أمي !
العراقُ.. العراقُ.. !
الأشجارُ.. تركضُ لاهتةً !
تنفزي الدروبُ.. شرقاً.. وغرباً !
دمائي.. تلونُ وجهَ الرصيفِ !
احمرارَ الفصونِ.. !

ارتعاشَ المناشيرِ في الحقيبة !
لكنني التقيت... به !!
ال.. تـ.. قـ.. يـ.. ث !..

- ٧ -

في الصباحِ الندى
لاعبو النرد.. يستعيدون لعبتهم !
وتعودُ الاحجازُ.. ثانيةً
والجريدةُ.. ترثيكُ..
في «العمود» المؤطرِ من قبل
للقتيال.. الذي اغتيلَ بالأمسِ !
والقتيلُ.. الذي سيأتي..

١٩٨١

الرحيل الأخير

غامث بعينيك الديار
لم يبقَ منها - يا رحيلُ - سوى الغبار
سوى ظلالٍ.. وانكسارُ
وترامث المدنُ الغويّةُ
ليلها.. حلّم رمادي، وناز
تدنو.. وتناي
قيلَ لي.. مفتاح هذا البحر مرآة
يموتُ به الحصارُ
وكسرتُ ظلّي فوق ظلّي
وارتميت..
وراء أجنحة النوارسِ
غيمةً بيضاء
أشرعةً تهلهلُ للرياح
تأتي الموجات الصغارُ
تروح بي..
ويظلُّ يسكنني الجدارُ
من أيّ برٍ من شعاب الأرض
تسألني!
أسيدةً البحارُ

لا تولي حزني نبيداً
ليس لي كأسٌ
أرثُ به الجراح
وليس لي بابٌ فأطرقها
النوافذُ لا تمر بها الأغاني السمر
خمر الليل.. ماءً
شحبتُ غلالات الندى
وتوهج الغيش الجليل
هو المدى..

يمتد بي عبر المدى
من أين نبتدىءُ الخطى
من أين أحمل جثتي
من أين أقترف الضياعُ
من أين أخترق الجهاتُ
وأنت..

لا أنتَ السرابُ
ولا المطرُ
الليلُ بزُّ.. والرحيلُ مع العجزِ
والليلُ بحرٌ.. والحقيبةُ والسفرُ
العمرُ شاحَ شراعهُ
كم مرةً عشق السفرُ
مَلَّ السفرُ!
ولأَيِّ منفى؟

أي منفى لم يكن لي..
فيه من أمسي أئز؟ !
جاست خطاي الجمر
صاح دمي
لا تطفؤا نار التوهج
وردة الثوري
فاتحة المدى الآتي
«بيان» المسألة
هي أن تكون القنبلة
أو أن تكون المقصلة
هي أنتَ بينهما
لا وقت.. بين الموقفين
هو الإله
هو السلاح
من ذا يصدق أننا !
كنا عراة.. من يقول بموتنا ؟ !
نصحو على السكين في أعناقنا
نغدو ونكسر كالفخار
كنا الحمام
كنا نغني للسلام
وللحمام
ولاغتصاب نساءنا !
من ذا سيجار بالحقيقة

لم تزل تعوي الذئاب
ومن سيكسر خنجرَ الفاشي في دمننا
ومن يجيد البلاد
رحلوا وما عرفوا الرحيل
ولا الوداع
عبروا جدار الموت
وانحسروا وراء الليل رملاً
لم يُهرّوا
قتلتهم اللغة العتيقة
واجترار الإجتراح
كنا وفي رأد الضحى
كنا نفكر في الظلام
ونرصد الأحلام
في لغة تقول
ولا تقول !
يأتي الصباح
فيغسلون دماءهم !
ارفع قميصك راية
وارفع الى منفاك راية
واختر.. فأنت مُخَيَّر
بين الغواية.. والغواية
قد يستمر القتل منذ القتل
لا أحد يجيء

من النهاية للنهاية
فلتشتعل نار التشكُّك
من يُسيِّجني .. ؟
المدينة ودعت أحلامها
زحف الرماذ
وصمتها ليل حديدي
يزمُّ المطبقات على الجراح
كم مرة يتشردُّ الثوري
والثورات في ليل النوازل لا تهاجر
ولمن تركتم حلمكم ؟
شجراً يموت على الطريق
أوكلّ هذا الليل .. لا يأتي
ببارقة .. ولا نجم يَهْل
مُضَيَّعُونَ ..
قعدوا على سيف الحدود
يطرزون الليل
ثوريون .. خمّر حامض
متقاعدون ..
مُؤجِّلون الى الوعود، وللوعيد
كم مرة .. لا تجرف الأمواج للمنفى
سوى زيد الضياع !
لِمَ اللقاء
لِمَ الوداع

ضاع الذي بالأمس ضاع
ضاع الذي من بعد ضاع
أمي التي ودّعتها
قتلتها

وقرأتُ عينيها
ولذتُ بشالها الليلي
والشعر المفضّض بالهموم
سكبتُ ورائي الماء
غاض الماء.. وارتحلّت
وراء الليل.. وارتحل الشراع

* * *

ها أنت منكسر.. والليل بحر
والبحر منفي
ألقوك.. كم ألقوك بينهما
وكنت الأنت هاجرة وموتاً!
كانوا قفاً!
وعليك ان تغدو لهم وجهاً
وصوتاً!
أهلاً وسهلاً!
اشدّد حزامك
سوف يأتي الموت ليلاً
سقط القناع
وكنت عرياناً تلملم ما تبقى

وعرا الظلام
فكنتَ برقاً
من ذا يُعيرُ سلاحهُ
ويمدّ عنقاً !
أَمْضِيْعِي.. عمري المَضِيْعُ
لم تكن قَمْرِي
وفي زنراتي..
ما جئتني يوماً.. بوردة !
ما جئتني.. وكم انتظرْتُكَ
جارحاً.. كان المحوِذُ
ولم تكن ظلاً وسقفا !
أغلقْتُ نافذتي عليكُ
وعدتُ وحدي
رايةً وحدي..
ووجدكُ تنتمي لي
أصبحتُ انتَ أنا
ولم تُكُ انتَ أنتُ
وانتَ تغرقُ في مياهِ الآخرين
وحدي تطارحني الليالي
وحدي تقاسمني المنافي
كم مرةً؟ .. كم مرةً ؟
هل كان قتلي.. وهو قتلكُ
ان تُطيلَ بي انكساركُ

كم مرة خَوَّضتَ في دَمِنَا
ولم تُعَلِّنْ قَرَارَكَ
خمسون عاماً بآئِنَا
نهبَ الرِيَاحِ ..
نهبَ الرِيَاحِ ..
وما عداهُ الموتُ والدُمُ والسجُونُ
هل كُنْتَ يوماً ؟
هل تَكُونُ ؟ !

* * *

تتساقط الأشجار والأيام فينا
هل تعودُ الذكرياتُ
حقيبةً، وخطي تموتُ على الدروب
قلنا.. قبيلَ الجرحِ
والموتِ المهومِ تحتِ جلدكُ
ان لا يكَللَ هامَكَ العالِي الرماذُ
ان لا يَغْطِيكَ العراءُ
وانت تُقَتِّلُ في الظهيرةِ
قلنا.. وفي دَمِنَا انفجَارُ
دعِ الدمازُ
يلوي بغاشيةِ الدمازِ
دعِ الحريقُ
يمتد حتى آخرَ الزبدِ العتيقُ

هي آخرُ الكلماتِ، والطلقاتِ
واللغةِ الأخيرةِ

* * *

لا تدفن الموتى
وتصعد في دمي
ماذا سأقرأ في كتابك
ماذا سأكتب في رمادك
عن صرخةٍ أحرستها ؟
ونذرتها للريح
عن ثأرٍ تسرّب في الرمال
عطشٌ ؟ .. وكنت الماء
يا عطش الرصاص
الى الرصاص
كثير السؤال !
كسرتنا
وكسرت فينا

* * *

أنا إن خسرت العمر
لم أخسر خطاي
لم اعط باباً للدخول الى دمي
حاصرت متفضاً حصاري
لم يكن لي من رصيف أو جدار

ولا أحد
اللهُ يا مِحنُ
اللهُ يا وطنُ
اللهُ.. كم شاهتُ مواقفنا الهجينةُ
لم نلدُ في طيننا
وأنا الحقيقة لم أبارخ خيمتي
لم استعز ما ليس تمطرهُ سمائي
لم اغتربُ.. رُغم اغترابي
قيل لي الوطنُ البديلُ
فلم أجد وطني..
ولا وطناً سواه !
الصمتُ بحرٌ.. لا أفضلُ ما أقولُ
ولا أدلُّ على الضياعِ
من اغترابِ السادرينِ
ومن ضياعِ الضائعينِ
كم مرةً لا ترتدون ثيابكم !
لا تنشدونَ نشيدكم !
لا تنتمون الى الجدور !
هي البدايةُ والنهايةُ للسلاحِ
ولا صديقَ
سوى السلاحِ
وكم توغّل في دماي
ولزّ خاصرتي سلاحُ الأصدقاء

أنا لستُ أغفرُ ان تسيّر
وراء نعشي !
أو تقلدني الوساما !
انا لستُ حقلاً للتوازن
ألفَ شُكرٍ !
ليس من أحدٍ سوائي
فأنا التوازنُ، والتناقضُ، والمصيرُ
وأنا خطائي
أنا المكانُ
أنا الرمانُ
أنا من أشياء
ولا أشياء

* * *

انا سرُّ تكويني
ومن حقٍ عليكُ
ان لا تعزّزَ شوكةَ الفاشي
ويقتلني سلاحكُ
لِتَبصّرِي.. فيما اراه
وما ترى أميتمي..
ان لا تتاجرَ بالسلاح
ان لا تبيعَ وتشتري
فينا، ولا تذهبَ بعيداً
في انكساري

هذا قرائك فليكن
حشم الموقف في قراري

* * *

ها انت مرتحل.. وكم هاجرت !
يا لله.. كما دال الزمان
وكم تهاجز !
ماذا تبقى من لُهاث العمرِ
يا شيخ المنافي..
الليل يطفىء نجمه
الطرقا موحشة
وليل الصمت.. ملح

* * *

أي البلاد ؟
وأين ترحل، لم تعد منها خطاك !
كم مرة ؟..
هذا غبار العمر يسكنه صدك
وانت من منفى
الى منفى..
توزعك المدائن والرياح
ما زلت تبحث عن نبي
جمر دعوته السلاح

قبرص ١٩٨٦

وعشنة حنين

بعيداً تعانقني الريح
صدالك البعيد.. بعيد
أغام الأثر؟
أسائل نجماً يطل عليك
وطيراً عتير
تحن الجراح، وما ينتهي
اليك انتهى..
خواء الدروب
وكأس السهر
وبقيك في.. بقايا مطر
تجيء المرايا إليك..
وراء زجاج المقاهي..
وما أنت من يقرأ الصباح
على قهوة في الجريدة
ما انت وهج السمز
يجيء الشجر
وما كنت ماء الشجر
تدور المرايا، وللضوء ظل
وما كان متاً الزمان.. المكان !

وما كان منِّي ومنك جوازُ السفرِ
عَجَزَ... كلُّنا عَجَزَ

* * *

للسرى.. نصفُ أغنيةٍ
نصفُها حَجَزُ
مَطَرٌ.. يغسلُ المطرُ
صُورَ! تَشْحَبُ الصُّورُ
بعيدٌ.. صدأكَ البعيدُ
أغامُ الأثرِ؟
تحنُّ الجراحُ إليك
تحنُّ المرايا.. وكأسُ السهْوِ
وما أنتَ وهجُ السمْرِ
بقاياك في.. بقايا صوتِ
بقايا مطرِ

١٩٩٠

الحَرْيقُ

وطنٌ من رماذٍ
لم يُعُدْ قبلةَ الأساطيرِ
موقداً للسناءِ، وآياتِ نازٍ
تلمستُ وجهي.. ولم يَكُ وجهي
مرايا السلاطينِ ملءَ الزمانِ
ملءَ المكانِ
مرايا.. مرايا
وليلٌ من الرملِ
وسفرٌ سبايا
وحاشيةٌ من كلابِ الأتْرِ
وطنِ الموتِ والرحيلِ
سلامِ الوداعِ الأخيرِ
لكلِّ الوجوهِ التغادرُ خيمةً
حانةً.. سفراً مبحرةً
ولا قبرٌ للراجلينِ
ولا ظلٌّ شاهدةً من حجزِ
سلامِ الحضورِ الغيابِ
لكلِّ صداهُ وخندقهُ
هُم الكَلُّ في الكَلِّ

واثنان في واحد
قتيلاً وقاتل
ولا وجه للأسئلة
لكلّ الحُطى بداياتها.. ونهاياتها
دُمنا خمُرهم
وكلّ اتجاهٍ حصارٍ !
وكلّ ارتحالٍ لقاء
سلاماً.. بقايا السلالات
سلامَ الماتمِ والشّهوات
ويا أمةً.. نصفُها مخيرون
ونصفُ ضحايا !
فما زحفَ الموتُ للموت !
وما عصفتُ بعدُ ريحُ الفصول
من الرملِ للرملِ.. رَجِعِ الصدى
فمن يرسمُ الوطنَ المستباح ؟ !
فلا ظلّ للشكلِ
ولا شكلٌ للظل
عرشٌ.. ونعش
وعشرونَ مملكةً.. من خشب
فمن يتفياً موتَ الغضب
وصمتَ الشظايا
هو الشيءُ أو ضدهُ
هي الأرضُ من موقعِ القدمين

من البدء بالصيف
في رحلة الكشف
قبل الدخول الى الطيف وألوانه
وللنار سبر
وللسر ناز
لتخرس كل الاغاني العقيمة
ليصمت لغو تلتطى ولم ينتصب
وتدفن اشعار من سرقوا الجمر
ولم يولدوا في الاعاصير
فما للبنفسج والانكسار
على وجع الشعير
وارتهان التزييف
دمي في العيون
وخيزي طين
لأي البلاد؟
أهاجر كم مرة!
لأي الوجوه؟
تعتق في مقلتيها السهز
وشاخ القدر
لها نكهة التبغ والخمر
ترتدي صمتها..
وتجتز أيامها!
أهاجر كم مرة؟

أهاجرُ بين العيون، المنافي، السجون....

من قَمَرٍ الى مشنقهُ

تَأَلَمْتُ ماءً

تجلدتَ صخرأً

تغورتَ جذراً

خطاكُ الزمانُ القصي

والصلواتُ على وَلِيهِ الحلمِ

والنظفَةِ القادمة

من الوهجِ والشمسِ

يُغَسَلُ وحلُ الرصاصِ

وموتُ الشجرِ

هي الأنيبُ يا ثورةَ النبضِ والفعالِ

لا الكَلِماتُ مَيِّتَةٌ في الأجنَّةِ

ويا ثورةَ ما تخطَّتْ لُغاياها

وما عرفتها خطاياها !

* * *

وطنَ الذكرياتِ

والوشاحِ العتيقِ

ابتعدنا.. اقتربنا اليكُ ومنكُ

المسافَةُ جرحِ قديمِ

سُرِقَتْ وحراسكُ الأقربونُ

باعوا الأناشيِدَ والحلمِ

باعوا دمانا وأسرارنا

ولم يكُ آخرَ فصلُ
ولم يكُ آخرَ نَصلُ
فكيفَ أُسميكُ
وكيفَ أناديكُ
وكيفَ أحاورُ موتَ السؤالِ ؟ !
وما كانَ جُرحُكُ صبوةً عشقي
رحيلي اليكُ ومنكُ
ولستُ استلابي .. وزنراتي
ولستُ الجهاتُ التغادري في الظهيرةُ
بدأنا معاً
فلا ترحلنِ إلى الآخرينِ
ألفنا الرحيلَ بين المحطاتِ
وكانَ الطريقُ، وبدءُ السرى
اليكُ ومنكُ
وكنا - ولما نزل - لا نقولُ وداعاً
وما زالت طلعُ النخيلِ .. وملحُ العصورِ
أعودُ اليكُ
من الحلمِ الأولِ
امتداداً من الظلِّ للظلِّ
يجيءُ الصدى اللانهائيُّ
نافذةً مُعلقةً ..
واستداراتِ أزمنةٍ
تجهلُ الأمكنةُ

وأيامنا جَسَدٌ معدني
وأغنيةٌ من خَزَفٍ
وأنتَ الكسِيرُ الجناح
وأنتَ سوادُ الوشاح
وأنتَ احتراقُ الصدى
وأنتَ رياحُ السَّمومِ
فما هَلْ نجمٌ، وما ومضتْ مقلَّةٌ في الصباح
سديمٌ.. «حَلَبَجَةٌ» ليلٌ سديمٌ
وقَتْلُ الحليبِ
وقَطْعُ الشرايينِ
موتُ السنابلِ من دونِ موتِ
ومن دونِ صوتِ
فَمَنْ يَمْنَحُ الحبَّ للزهرتينِ
وللجسدينِ النبيئينِ
برعمٌ اخضرٌ، ونجمةٌ نهدٌ
تفرُّ المصاييحُ لاهنةً
تنامُ «حَلَبَجَةٌ».. في الطُّرُوقِ
تموتُ قبيلَ سقوطِ الندى
ورحيلِ النهارِ
«حَلَبَجَةٌ» صفصافةٌ يابسةٌ
ظماً القتلِ للقتلِ
يحتسي كأسه الأخيرِ

* * *

وطنٌ من رماذ
رحيلُ النوارسِ، موثُ النخيلِ
موشحةٌ بالأنينِ «خضرُ المشاحيفِ»
والفوانيسُ تحتضرو
قمرٌ أحمرٌ في «الشناشيلِ»
يا الصدى البعيدُ
يا نشيجَ القصبِ
«بصره» الدهرِ.. يا الصدى
يا رخامَ العسقِ
بصره الماءِ.. تحترقُ
وطنٌ من رماذ
وطنٌ للمساءِ الحزينِ
وطنٌ للصباحِ القتيلِ
ولا ذكرياتُ
سوى الأنهرِ اليابسةِ
وموتِ الهوى بينِ قلبينِ
بينِ جلدَيْنِ
وليلِ انفصامِ عتيقِ
فما كان خبزاً... ولا كان خمراً
ولا كان حرفاً
خطوطُ تقاطيعِ.. لا تلتقي
نموثُ.. «ويحيا الملكُ»!
وظلُّ الزمانِ.. المكانِ

مرعى الجميع
وموت القطيع !
وطن من رماذ
وموتى بلا أضرحة
وأيد من الرمل
ما عانقت بنادقها

* * *

وطن من رماذ
وطن الصمت والسكون
شفاء من الصمغ مُطَبَّقَةً
لا تردُّ الصدى
وطن «اللكواتم»
وطن للماتم
لأشرطة الصوت عن قُرب
لأشعة الرصد عن بُعد !
شباك دم لا تُرى
ترسم الهمس والخُطى
تقتل البذر والشجز
تحرق المطر

* * *

وطن من رماذ
خارج من العنف .. للعنف

والحياناتِ والموتُ
ودخانِ الحرائقِ
والتفاصيلُ للصمتِ
والصدى القليلُ
دمهُ ملصقٌ، وبقاؤه شعورٌ
وهو لصقُ الجدارِ
دَمَهُ.. دَمُنَا
مُلصَقٌ وجدار !

* * *

وطنٌ من رماذٍ
دهرٌ من الموتِ
دهرٌ من القمعِ
أُعلنُ إني خرجتُ
انتسبتُ
الى شَيْبِ للخرابِ
الى وَجَعِ الصبواتِ الجريحةِ
الى القرمزيِّ الجليلِ
لاشتعالِ الجليدِ
وهشيمِ المرايا
فلا وقتٌ للأوصياءِ النكالي
سئمْتُ انكساري بكم
وموتِ جهاتي..
انطفاءً دمي

وَنَزَفَ جِرَاحِي
وَشَحُوبَ السَّمَاءِ فِي شَرْفَةِ اللَّيْلِ
وَمَوْتَ النَّشِيدِ عَلَى الْأَرْضِ صَفَهُ
وَطَنٍّ مِنْ رِمَاذٍ
قُتِلَ الْعَثْبُ فِي الْعِيُونِ
دُمُهُ.. النَّارُ تَشْتَعِلُ
دُمُهُ.. الْحَبُّ يَرْتَحِلُ
طَرَزَتْ «شَالَهَا» دِمَاءُ
الْجِرَاحِ مَهْرُ هَوَاةٍ
يَدُهُ تَسْتَرِيحُ بَيْنَ يَدَيْكَ
فَمَا حَمَلَتْ كَفَّهُ إِلَيْكَ
سِوَى زَهْرَةٍ مِنْ حَجَرٍ

* * *

اَكْتَبُوا فِي دِفَاتِرِكُمْ
وَإِنْجِيلِكُمْ النَّظْرِيَّ
الْبِرَاعِمُ تَحْرَقُ أَغْصَانُهَا
وَتَدْفَنُ عُقْمُ الْجَذُورِ
وَذَلَّ السَّلَاحُ
وَصَمَّتِ الْعَوَاصِمُ
إِنَّهُمْ يَقْتُلُونَ الْبِلَادَ.. نَافِذَةٌ وَسَمَاءُ
ارْتِعَاشَةُ الْوَمُضِ
وَهَجَّ الْخَلَائِيَا
وَزَهَوَ الْمَطْرُ

وطنٌ من رماذ
دُمى من رماذ
جباةٌ مُعَصِّبةٌ بالرماذ
المنافي.. المراثي، القصائدُ
لافتةٌ للرماذ
أزاهيرٌ ميتةٌ للقبور
صدى لا يحيى
تمدّد رعبكم في الجفون
لا تموتون مرةً في الصباح !
لا تموتون مرةً في المساء
لا تضيعون بأسكم !
يا اعتزالَ المياه للعشب
ويا هجرةَ المسافات في الريح
واختفاءَ الصدى في الجدار
وانطفاءَ السنا في الستائر
فلا تمنحون ولا تأخذون
قواربَ مهجورة..
تقادفها الموج
وليس سواها الرياح
سواها.. شحوب القناديل
سواها الشرايينُ مجدبةٌ
سواها الدروبُ موحشةٌ
سواها الشراراتُ لاهثةٌ

سواها سهوبُ الهشيم
سوى أن تشقَّ الرعودُ..
البروقُ.. ليلَ الخنادقِ
سوى أن تشبَّ الحرائقُ

١٩٨٨

يا.. سَفَرُ

مُتَعَبٌ هَدَّنِي السَّفَرُ أَضْيَاعٌ.. وَلَا أَثَرُ ؟
عُمُرٌ مَالٌ نُجْمُهُ وَيَكُ يَا عَمْرُ.. يَا عُمُرُ
كُلُّ طَيْرٍ مُهْمُومٌ ضَمَّ جَنَاحِيهِ وَاسْتَقَرُّ
يَا رِيحاً، وَيَا مَطَرُ يَا رِمَاداً وَيَا شَرُّ
أَتَرَى تَسْكُنُ الصَّدَى وَالْيَا أَيْنَ.. يَا سَفَرُ ؟

* * *

سَفَرٌ.. وَالْعُلَى سَفَرُ سَفَرٌ، وَالْجَوَى سَفَرُ
عَشَقَ الرِّيحُ مِعْطَفِي قَدَّرِي الرِّيحُ.. وَالْقَدْرُ
وَالْيَالِيَّ... جَمَرُهَا أَرْقُ يُحْرِقُ الْجُمُرُ
هَامٌ بِالْبَوَّخِ جَرَسُهُ وَعَفَتِ نَجْمَةُ السَّحَرُ
وَالْمَدَى رَعِشَةُ السَّنَا وَالنَدَى لَمَعُهُ دُرُزُ
سَهْرٌ شَاخٌ لَيْلُهُ نَامَ فِي جَفْنِي السَّهْرُ

* * *

سَفَرٌ.. أَيُّ مَرْتَمِي لَمْ يَكُنْ أَمْسٍ لِي مَمَرُ
هَذَا هُنَا مَرٌّ ظَلُهُ هَذَا هُنَا ظَلُهُ عَبَرُ
وَهَذَا اللَّيْلُ مُصْبِحُ وَهَذَا اللَّيْلُ مُعْتَكِرُ
وَجِبَالٌ قَطَعَتْهَا يَرْتَدِي غَيْمَهَا الشَّجَرُ
وَهُوَ الْبَحْرُ مَوْحَشٌ وَهُوَ الْبَحْرُ مَزْدَهِيْرُ

وصحارى تهجّدت رملها الموج والبحر
كم تقحمت وعزها والذرى دربها وعز
وفؤاد هو الحجز وحديد هو البصر

* * *

سَفَرُ.. آه يا سَفَرُ
يا المنافي وَهَا الصدى
عَرَبَ النجم يا سَهَرُ
وهو العمُر ما انطوى
طاف بي الكونُ واجماً
وعيونٌ تضميني
عرفَ الدربُ خَطُوهُ
شامخَ الرأسِ ما انحنى
آه يا قلبُ يا صَحْرُ
يا الليالي خبا السمرُ
وهَمَا الثلجُ يا زَهْرُ
وهو ما ابيضُ من شَعْرُ
طفئتُ بالكونِ فانحسرُ
وعيونٌ بها خَزْرُ
بين من ضلُّ أو عَثْرُ
ثابتَ الخطوِ ما انكسرُ

* * *

غَيْرُ.. والدُّنا غَيْرُ
أنأى الدربُ أو قَصْرُ
يا صروفاً ويا عِبْرُ
جدُّ يا ركبُ.. يا سَفْرُ

١٩٨٧

أشعثٌ شهورها.. المياه

«باطلٌ.. ما عداه والسلاح واللهبُ الطبقي..»

الى الفارس الذي اضرم النار في رمادِ «الجمال الثورية» الباردة. والعفن السلطوي.. ورحل مع الغيش قبيل الحريق الكبير، وارتعاشة حلمه الاخضر.. الى بطل انتفاضة الاهوار المسلحة «خالد احمد زكي».

- ١ -

أطفأت سيرها النجمة الأخيرة في الليل
وارتحل العشب
والفصول تدور
الولادات، والراحلون
المنافي تلملم أيامها
وما زلت ايها المثلثم بالبوح
لم تكتجّل بغير سواد المرثي
وحزن النخيل.. والدم، والموت
ولم يتبدل اسمك.. يوم ولدت
ويوم ابتدأت.. سراجاً، وفتحة
ويوم حملتك جوعاً، ومنفى
وثوباً من الريح.. منشور عشق
وجهشة نهرين

ملتحفين سرهما الأبدى
هما الشاهدان بين انطفاء
الشرارة والماء
وارتحال الغيوم
وكنت المسافة بين السقوطين
بين ارتداد الخطى.. ومهيل الرمال
وخبر المسافر.. ما زال شمع النذور
ابتهالات عاشقة
شققها الحلم القرمطي
هو الطوفان.. ولم تبق من حكمة
سوى شفرة النار.. بين شفاه المحب
أو الجمره.. الأسئلة

- ٢ -

بكي الملح، والقصب الدموي
بين ارتعاش الموجات
ووهج البروق.. يرشونها
أنجماً من دم..
واكفانهم من زنايق الهور.. بيضاء
والبنادق تختار ما تهجى به
فيا أبتى الماء.. أنت جرحي وملحي
هنا رايتي فوق مجرى اللظى
ستكبير ميزان ما تزنون

وما كنتم.. وما لم تكونوا
وما همَّ تأريخكم
إذا ما انطفأتم، ولم تشعلوا الحرائق
والوجد، والرعد
إذا لم تجيء ساعة الطلوع
ويا هبوات الخواء
سأسكبُ ناري على الماء
وكم سكبوا على النار ماءً !
سأطوي المراسي
ليحتضن الضدُّ أصدادهُ
باطل.. ما عداهُ السلاحُ
واللهبُ الطبقِي
وكم ضيَّعوني «الثقات» !
ابتدأنا معاً
وانتهت رحلةُ التزييفِ
ولم نعرفِ الطريقَ الى الحلمِ
ولم نعرفِ العبورَ الى النجمِ
واختزَعنا الحرائط.. والاغنياتِ
ولكنها الصلاةُ القضيةُ
كانت تُهَوِّمُ بين الهتافِ البدائيِ
وبين السقوط.. وموتِ الشظايا
وخانَ الذين ارتدناهمو معطفاً
في الرياح !

واسطورة، ومعجزة
وأول سطر، وسقف، وصوت
وهل يُشتهى الموت !
واشتهينا.. نافذة
دلني عليها التوهج والاتقاد
وليس الوقوف على عتبات المخاض
وخاصرة الاعتراف
هو الموقف الجمُر بين الحصارين
قاتلاً.. أو قتيلاً
هي المرحلة
يؤرخها الثُجُب القرمطيون
أو القتلَة
وما انتَ بيتهُما ؟

* * *

فلا تسألوا الخارجين عن زمني
هذه لغتي
الطلقة التي كنتم سيرها.
المسافة بين الصعود الى شجر النار
أو الانكفاء.. الى المكتب البرجوازي
لافتة.. حملت عازها

* * *

أنا آتٍ لكم
من وراء دفاتركم
وراء ثيابكمو
أعيدُ لكم كلَّ أسلابكم
هوainي، واسمي القديم
فليست هي الأرضُ
مَنْ ضيّعتُ قدمي
وليست ثيابي التي سكنتها الرياحُ
وتلك المسافاتُ ما بيننا
لم نُسافرْ معاً..
تغيّر بين الطهارة والإثمِ
رَجَعُ النشيدِ
ووقع الخطي
وها انا متكىءٌ على موطئ القدمين
وليس على.. الأوسمة !

* * *

وما كان.. كان، ومرَّ سُدَي
كان رملاً يفرُّ بين الاصابعِ والماءِ
وكان انعكاسَ المرايا
وموتَ المناشيرِ
والثورةَ العاقرة..

عَثِرَ صوتي، ورقصةِ النورسِ الجريحِ
سمعتُ دمي..
وطني، كانَ في جسدي
في تجاعيدِ حُزني
وكنْتُ قتيلاً لجهاتِ التي حاربتني..
وكانتِ خطايَ تلملمُ بعضي
وكنْتُ على موعدٍ، مع الفجرِ.. والشهداءِ
وجهاً لوجهٍ..
هي الساعةُ التغادرُ أيامكم

* * *

ذاهبٌ فيكم الى الموتِ
آتٍ.. من الموتِ
والرذاذُ الناريُّ معطفٌ
من القرنفلِ والجمرِ
يكشِفُ السرُّ سرَّهُ
الشرارةُ تاريحُها
ونمضي معاً..
لم نغادرُ ثيابنا المننّاةَ بالغيَمِ
كانَ المساءُ الجنوبيُّ
كأساً من العشبِ
والكلماتُ الاولى.. لنا

يسأل الطير، هل أتيناه..
من بعد ألف ؟
لنكمل دائرة الحلم ؟
تنهض القبور من الماء
يرتدنا الرحيل بقايا صدى
وموت الجهات، وصمت الضياع..
السكينة تهجر أعشاشها
الطلقات ... الهتاف
الجراح تغني
الرياح.. والزمن الأعلى من الصمت
والمسافات
وارتهان القرار..
يخرج من طقسه الزجاجي
الى لا مكان، يروح الزمان
الاعاني الجريحة ينأى بها الومض
أشعث شغرها المياه
المسارات تبثدي من ثقب الصدور
الأكف المحتاة بالجمر
ترتدي قميصي الشظايا
الصدى لا يجيء..
يروح الصدى
لا تقولوا رحلت

إني أتيتُ.. إني أتيتُ

- ٥ -

لم تجذ تربة النار
لم تجذ على البرّ نهراً
على النهرِ برأ..
أتيتُ.. وكنتُ المُنادي
وكنتُ النداء
توحدتُ صوتاً
توحدتُ جرحاً
توحدت بين دمٍ فائِر.. والخواء

- ٦ -

حملناكَ طيفَ نَبِيّ، ووهجَ ائتلاق
لو أنا أتينا، أكنتنا نضيقُ سدى؟
ويضيقُ العراقُ؟
حملنا النخيلَ بأجفاننا
حملنا الجراح
بقايا السلاح
بقايا رمادٍ مناشيرنا.. وارتحلنا!

١٩٨٥

النسرُ الأحمر

حسن سريع

«يسألني العابرون.. إلى أين ؟ هذه جثتي.. فاسألوها»

* * *

من الرمل ما كان يرقا
إلى الرمل ما كان شوقا
ويا وطنَ الثائرينَ القدامى
ويا وطنَ الثائرينَ اليتامى
رَحَلْنَا إِلَيْكَ، وَفِيكَ ارْتَحَلْنَا
إلى شجرٍ لم تجف ينابغهُ
ولا تهجرُ العصافيرُ أوكارها
تغشى الرمادُ.. الرمادُ
اقتسمتكمُ.. اقتسمتُ البلادَ
اقتسمتُ الهزيمةَ !
اقتسمتُ ضياعكمُ
اقتسمتُ ضلوعي
اقتسمتكمُ.. خائناً وشهيداً
ومناديلَ للفراقِ
اقتسمتُ العراقَ
من رأني ألملمُ خاصرتي
منذُ يومِ إصطفيتكمُ

وأعلنتكم قبلي
مَنْ تُرى كان غيمةً.. نجمةً !
بين زنراتي في الصباح
وزنراتي في المساء
من تراه حَضْرُ؟
يرسم الشوقَ وردةً
يرسم الليلَ عُشبةً
جمرةً.. وراءَ نافذتي !
ازرقُّ هو البحرُ
أشرعةً.. ومرايا سَفْرُ
هي الأرضُ.. كم مرةً تهاجرُ بي الأرضُ
كم مرةً نكأْتُ جراحي..
تغضنَ جلدي وراءَ المسافاتِ..
لافتةً للرحيلِ
وتأويلُ ما لا يُؤولُ.. من ذا يُقبلُ خنجره
ويغمدهُ في قصيدةِ الحليمِ
والجروحِ العتيقةِ
أأغنيهمُ ؟ !.. وكانوا.. يخونونَ أغنيتي
أأغني الحصى.. بقايا السبايا !
التساؤلُ يفتحُ دائرةً ويغلقها
تُرانا التقينا ؟
وقلنا نستعيكمُ الانبياءَ
وأصدقاءَ حليمِ نرّمهُ كل يومٍ جديدَ

كل موتٍ جديدٍ
وقلنا.. السماء التي لن تُهاجرُ
وكنا نكابِرُ
يسألني العابرون.. الى أين ؟
هذه جثتي.. فاسألوها..
رماذ.. تعشى الرماذ

* * *

هاجروا.. هاجروا
سرقوا حلّمهم.. خبزهم.. بنادقهم
من الرمل للرمل، قافلة.. قافلة
يغورُ صداهم بعيداً
ويغرق في الأسئلة
ما تبقى لهم، توشّل بين الاصابع والريخ
لا تطلُ السماء على غريهم
على مهلٍ ينزفون جراحهمو
فلا قوسٍ للنصر، لا حمى للحماة
الدروب، النوافذ واجمة.. مقفلة
سواء الرحيلُ الى الصمت
والرماذ البعيد
سواء رحيلُ النشيد

* * *

للشك مأساة وملهأة
يُسافرُ في حقائهم
وأسرار، وأسماء لتبتدىء البدايه من جديد

يمشونَ فينا للوصول إليهم
يتلمسونَ جراحهم، ومواجهَ الذكرى، وأصداءَ السنينِ
يا آخر الدنيا ! وكانوا يرحلونَ.. ويرحلونَ..
يتفيؤونَ ظلالهم ويهاجرونَ
وكلما سَجِبَتْ بقاياهم..
بقايا الصوت، تتقدُّ البلادُ
من قال: ان النارَ كَفَنَها الرماذُ
ليعودَ مَنْ غَسَلوا سيوفهم.. ومَنْ قعدوا
يستلهمونَ الأبجديةَ والتهجي
واستعاراتِ الخطى الأولى.. ورأيَ الآخرينِ
ومن زمانٍ الاخرين الى انبلاجِ زماننا
شاخَتْ رؤى، وَعَقَفَتْ
ولم تكنِ المواقعُ ذاتها
لِمَ.. لا تكونَ لنا رؤانا، لا تكونَ لنا خطانا !
ما امتدَّ من جذرٍ لنا
ما انداخَ في دمناءِ الهواءِ أو الترابِ
هي أن نكونَ
أو لا نكونَ
ليس النقيضُ - إذا استعارَ الآخرونَ
وجوههم - أن لا نكونَ الآخرينِ
* * *

تعبَ القرازُ من الحصارِ
تعبَ الوجومُ من استداراتِ الوجوهِ إلى الوجومِ
تعبَ الحضورُ من الغيابِ

تعبت قواميسُ الجذورِ اليابسةُ

الحبُّ موثٌ

والموْتُ حبٌّ

يا أنتَ عِشْ حياً، ومثَّ حباً وعشقا

كنْ أوْلَ الأسماءِ

أوْلَ مَنْ يجيءُ مِنَ القَرَارِ إلى القَرَارِ

وكنْ نبيِّ الذَّاكِرَةِ

واصعدْ بأعماقِ السُّؤالِ إلى الجوابِ

فلطالما ارتُهِنَّ الجوابُ.. ولا أُحَدِّ

صدأْتُ مرآياهُم، وكم من مرَّةٍ

عادوا على اعقابِهِم..

خَزَفًا تَكسَّرُ فوقَ مُنحدرِ الطريقِ

ما شأنُهُم؟.. والجمرُ يَحْرِقُ

والحمائمُ لا تُغنى في الحريقِ.. !!

* * *

خمسون عاماً، والبدايةُ كالنهايةُ

والليلُ ليلٌ !

سئَمَ الرمادُ من الرمادِ

سئَمَ الرعايا والسوادُ

سئَموا تسايخُ اليمينِ

سئَموا أهازيخُ اليسارِ

طبخوا الحصى دهرًا وما ارتهنوا بماءٍ وجوهِهِم

وكأَنَّ هاجسَهُم مَقايضُ الكلامِ

ويموت موتاهم وما فتحو النوافذ للبلاد !

* * *

الليل.. والطرقاُت موحشة.. سواة
يعلو، ولا يُعلي عليه، سوى السماء
وهو العنصرُ كُلها، وهو المكانُ
هو الزمانُ، هو القرازُ
شاحتُ ملايينُ الاغاني
من يغتني صمتها
انطفأت بروقُ الريح
لا تَلِدُ الدماءُ سوى الدماءُ
والنازُ نازُ
لكنهم كانوا هناك.. وراءَ مائدةِ الرماذُ
وكنتُ ترحلُ في الحرائقُ
وكنتُ تصعدُ في البنادقُ
يا أيها البطلُ اخترقُ
وخذِ القرازُ
خذي الحرائطُ كلها
وتُخذي الدماءُ
من الوريدِ الى الوريدِ
تُخذي الحصارَ أحيكمُ حصاركُ
أطبقُ عليهم، إنه التزعُجُ الأخيرُ
وجمرهُ الفصلُ الأخيرُ
لا وقت.. ان الموتَ وقتُ

ان النصر وقت
لا وقت.. يا «حسن السريع»
لا وقت.. فاحملنا اليك
في لحظة تسع الزمان
هنيهة تسع النشيد
وتغسل الأشجار والأيام والجرخ القديم
يا فارس العشق الربيعي القصير
ويا وضوحاً في الوضوح
لو كنت فينا قبل أن تأتي
ومنزلنا الغريق
يغور نحو القاع.. كنت المذنب
وصوى الطريق
نسر الأعلي، راية الشهداء، والحزب المحارب
كنت النشيد، وكنت فينا
ما زلت يا «حسن السريع»
تقيم فينا
لم تأت من علم الكلام
ولم تحض جدل الرخام
وكنت في صدى السنين
وهج المرايا.. كنت.. كنت المنتظر
كنت المسافة بين أن تأتي.. ولا تأتي
المسافة أن تجيء
ما انت ان لم تحترق

ما لم ينز دُمُكَ الطريقُ
ادركتَ والطبقيُّ فيكَ مُؤَصَّلٌ
هي ساعةُ أنجری ویشتعَلُ الحريقُ
وكننتَ أولَ مَنْ يَجِيءُ
وكننتَ أولَ مَنْ يَضِيءُ
يا أولَ الخطواتِ في السَّفَرِ الطويلِ
من الجراحِ
الى السلاخِ
الى الدماءِ
أو الرماذِ

١٩٨٩

يا عراق..

سَلِمْتَ يا عراقُ
يا أولَ الآياتِ، والحقيقةِ الأولى،
وسرِّ الله والتكوينِ، والمآثرِ العتاقِ
سَلِمْتَ.. والنهرانِ ما زالا يشقانِ الشُعابِ الخضِرَ.. والزمانُ
يردُّ الأصداءَ.. والزمانُ ما يدورُ
لن يطفئوا في مقلتيك الشمسَ يا محجَّةَ الدهورِ
كم مرةً تَقولُ التترُ
كم مرةً يضطرمُّ الشررُ
كم مرةً تشتعلُ الأنهارُ، والأشجارُ، والمَطَرُ

* * *

سَلِمْتَ يا عراقُ
يا وطنِ السنابلِ الحمرِ، وعشبِ الدماءِ
يا نازُ، يا عراقُ.. يا عراقُ
يا عَطَشَ الصُّبَارِ في الشاطئينِ
لَمَّا تزلُ عطشنى دماءِ الحسينِ
ويا دمأ يَجأزُ حتى الأنينِ
مُستصرِخاً.. سَلِمْتَ يا عراقُ
فداكُ يا عراقُ

* * *

ويا عراقَ الصمّتِ، والجراحِ، والسكونِ
ويومنا المذبوح في الشفاهِ.. في العيونِ
ويومنا للجثثِ الراحلةِ
ويومنا للجثثِ العائدةِ
وصمّتْ من راحوا إلى موتهم
وموتٌ من عادوا إلى صمتهم
أغنيةَ كسيرةِ الجناحِ
ونجمةَ مقتولةِ السّنا

* * *

سليمتَ يا عراقُ.. والعراقُ آهة للوجدِ.. للحنينِ
وللدمِ الفائزِ في المقتلينِ
وللعلی.. ما انحنيتِ الرقابُ
وما سواكِ المصطلی في حومةِ النزألِ
وما سواكِ.. لم تجذ في ساحةِ الوغی سواكِ
وللحياةِ ما عَفَتْ
وللظنونِ ما وَهَتْ
وللرماذِ.. يا مواقدَ الرماذِ

* * *

يا التترُ الأبعدونُ
يا التترُ الأقربونُ
لنقتلوا الأطفالَ والنخيلَ، والأنهارَ
لنحرقوا.. التاريخَ، والأسفارَ، والأشعارَ

لتطفنوا النهار
لكنكم.. لن تقتلوا العراق

* * *

الطفل،.. العشب.. سيكبر
سيحيء الزمن الآتي
الزمن الآتي.. الأكبر

١٩٩١/٣/٥

اختطاف.. (عبد الرزاق الشيخ علي) (٥)

العائد من باريس -

بعد منتصف ليل بغداد !

- ١ -

بيروت ١٩٥٤

بين الجبل المتوشح بالقيمة، والموج الأزرق
كانت عينك الهائمتان، سنّاً يتألق
شمساً توهج بين زهور الثلج، وهمس الأصداء
ثمة زاوية، تمتد وراء الامواج
تخلع قمصاناً بيضاء

- ٢ -

في المقهى البحري
هنالك منفى يعشقه المنفيون
ولا تعلن فيه الأسماء

- ٣ -

باريس ١٩٥٠

تملى عينك للمحات السكرى

(٥) الكاتب الروائي والمناضل الجزائري..

بين (السين)^(١) وبين (الديان)^(٢)
يطفو وجه (أنتا) المتورّد بالكرز ألاحمر
تتفياً ظلّ العينين الخضراوين
لا تتلفغ بأمرأة تفرش نهديهما للوحل
ستمرّ الریح وتمحو
ما تكتب فوق الرمل
لا تملك أن تأخذ.. ان تعطي
وسواء كنت العشب، أو الرمل
متهم أن ترفض هذا العصر
لا بد من الماء، فإن الصفصاف الظاميء، والقصب المحزون
اشرعء، طال بها صمت الاكفان، وموت الریح

- ٤ -

لّع مرأياً خضير.. عينك الخضراوان
فمك الكرز المصبوغ بوهج الناز
أتشطى ولها، حمماً حمراء
شجراً يصعقه البرق... الألق المسحور
أسقط في قدح مخمور

- ٥ -

بغداد ١٩٥٥

الشحْبُ الثكلي هالات حمراء

(١) نهر (السين).

(٢) مقهى الفنانين بباريس.

قدمي عارية.. ألهُتُ بين الشُرُفاتِ المسكونةِ بالدُعز
تتداخلُ بي الأجسادُ المشنوقةُ قبلَ الفجرِ

- ٦ -

في الكأسِ بقايا شمس، جمر، جرسٍ لم يُقرعْ
فاختزِ وجهك لا تعددكُ الأسماءُ
وجهاً.. للرغباتِ العطشى
وجهاً للقتلي السريي.. فأنتِ القاتلُ والمقتولُ
كنِ طرفاً شتى
يحملكُ البحرُ الى مرسىِ الأشياءِ
يا عُنفَ العنفِ، هنا الدرْبُ الشمسُ المصبوغةُ بالأحمرِ
لعليمِ اشلاءك، ان دماءَ القتلى
تنوزعها القيعانُ المجهولةُ
يرحلُ في الليلِ المعدومون.. فلا تسألُ كَفَنًا.. قبرا
لا تسقطُ.. بينَ الأشربةِ المطويةِ.. والريخِ

- ٧ -

سيدقونَ البابَ.. ثلاثاً.. عشراً !
تمتدُّ الواحاتُ السوداءُ
لا وقتَ هي اللحظةُ ان تُطوى أو تُنشرَ بين الطلقةِ.. والصمتِ
لو أطلقتِ النارَ يداكُ
أو.. لو أطلقتِ النارَ يداكُ...
لو أطلقتِ النارَ.. يداكُ !

١٩٨٥

هُوَ الْبَحْرُ.. فِي دَمِنَا

«الى الدم الليبي
جمرات تنوهج..
بين صمت الحيانة،
والتواطؤ الذليل»

سلاماً !

وليس سواها الرياح

تَلِيْمٌ بأطرافنا

وتعبير.. دَوْنِ صدى !

ضائِعٌ دُمْنَا

كأَسْكُمْ.. ايها المتعبون

نخبَ خارطةً للرمادِ

وخارطةً للحصارِ

وخارطةً لم تزلْ بعدُ

تَرسُمُ أهوالها

* * *

تعرت فصولُ الزمانِ

زهرةً للريغِ

غيمةً للخريفِ

موقدٌ للشئاء

وللصيف همسُ النجوم

ولمّا نزلُ بعدُ صفصافةً عاريةً

يباباً.. يهومُ فيه الخواءُ !

* * *

لهمُ ما ترامى المدى !

هل البحرُ يحملُ اسوارهُ ؟ !

وماذا لو انا حسيناهُمُ

فراشاتِ حلم !

زنايقٌ.. يأتوننا مع الموج !

لا بابٌ للبحر !

همو يعرفون عنوانك المُستباح

فلا ترسمنُ الحدودَ

بين المسدسِ.. والورديةِ الزائرة !

* * *

حسبنا اننا التجأنا

الى متحفِ الشمعِ

ولم نلتجئْ الى دينا

الى سَهَقاتِ القَتيلِ الاخيرِ

الى الليلِ، والنارِ، والموتِ

والطلقةِ القاتلةِ..

* * *

ويا كسراً من سيوف القبيلة
مدفونة في الوهاذ
صحارى.. صحارى تمور الرياح بها
ولا نامة..!
لا صدى!
ويا وحدنا..

* * *

طرابلس البدء.. والمنتهى
الرياح التهب من الصمت والانطفاء
السقوط الاخير
او الاشتعال..
الحريق الاخير

١٩٨٦/٤/٢٠

كن... قمصان الشهداء

مرثية «ماجدا أبو شنار»^(٥)

- ١ -

كان الليلُ..
الدرّبُ طويلاً
كان القَهْرُ رماداً..
لكِنَّكَ كُنْتَ الجَمْرَ
الألْقَ المطعونَ..
الزَمَنَ الآتي
وهجَ الرؤيا..
بينَ ظنونٍ.. ووطنونَ
كُنْتَ شراعاً يُحزُّ في ليلِ السارينَ
وراءَ الصميتِ
وسرِّ المُدْلِجِ بينَ الطلقةِ..
والكفنِ الأحمرِ
نَجْماً يتدلَّى فوقَ (البياراتِ)
وحرشِ الزيتونِ

(٥) الناثر الماركسي الفلسطيني.

- ٢ -

هل تُصْبِحُ ؟
هل تَمْسِي ؟
هل تَسْقُطُ .. قَطْرَ نَدَى
رَايَةَ عَشَقِي دَمَوِي ؟
هل تَنْهَضُ بَيْنَ الشَّجَرِ المَحْرُوقِ
وَمَوْتِ العُشْبِ ..
يَدَا تَوَمِيءُ لِلنَّارِ ..
وَلَا تَهْجَعُ بَيْنَ الرَّمْلِ .. وَبَيْنَ المَاءِ

- ٣ -

مَاذَا تَحْمَلُ بَيْنَ يَدَيْكَ
سِوَى قَلْبِكَ .. خَارِطَةَ خَضِرَاءِ
سِوَى حَفَنَةِ أَصْدَاءِ
تَرْحَمُ أَصْدَاءَ ..
تُزْجِمُ أَصْدَاءَ !
بِوَحْ رَوْيَ تَنْدَاحِ ،
تَدَوِّرُ دَوَائِرُهَا المَحْمُومَةَ ..
يَنْكَبِرُ الوُضْءُ
اللَّيْلُ ..
الْبَحْرُ .. شَطَايَا سِوَدَاءِ
هل تَرْحَلُ
هل تَبْقَى ؟

٨٠

أثرى يرتحلُ البحرُ ؟
.. العشبُ المُتلفحُ بالصميتِ
.. الجبلُ المتوشحُ .. بالأزرقُ ؟
هل تملكُ غيرَ دفاتركَ البيضاء ؟
همسَ (حكايًا) .. أوحشها
القنديلُ المهجورُ
ورجعُ رياح
لا وقتَ لمن يرحلُ لا وقتَ لمن يبقى !
تعتزُّ بالماءِ .. وقد يقتلكَ الماءُ
وتعتصرُ الرملَ المتوجسَ بين يديك !
أتمرُّ الأشجارُ .. ولا ترحلُ ؟
هل كنتَ سوى غصنٍ مقطوعِ ؟
يتلفحُ بالشمسِ
وحقدِ الجمز
أن تصرخَ بالموتى .. وظلالِ الأحياءِ
وأشلاءِ المكسورين !
أن تحملَ أسلابَ القتلى
راياتِ
بين الأضلعِ والنازِ

- ٤ -

رحلوا في الليل .. وما تركوا
في الدارِ .. سوى ملحِ اسود ..
ريح حمراء !

لم يبقَ سوى ان تحملَ ظلَّ صليبِ
ودفاتركَ البيضاء !
لا ترنو للخلفِ .. هي التجربةُ الاولى
أن تهجرَ ما تبحثُ عنه
أن يصبحَ هذا الوطنُ الأخضرُ
بيتَ صفيح !
يتجهُ الخطوُ يميناَ
يتجهُ الخطوُ يساراً
ما أنتَ سوى نرفِ جريخ !
ما أنتَ بلا سقفِ ؟
ترحلُ ؟
تبقى ؟
لا يأتي الوطنُ الأقصى ..
لا تُنفى الاعماقُ !

- ٥ -

ترحفُ في غايَةِ أشلاءِ
تتعثرُ بين السوطِ الأسودِ
والجفنِ الأحمرِ !
تنهضُ .. أو تكبو
يُطفأُ في عينيكِ الوطنُ المأسورُ
ها أنتَ هنا ..
وطنُ يُسرقُ في الظهرِ !
هنا .. تتقايضُك الآسيافُ المثلومةُ

هل تدفق ماءً.. ؟
تغسلُ وحلَّ الاشجارُ
هل أنت الضاربُ في الأرض الفلكي
رُمحاً لا تكسره الريحُ ؟
ما زالت بعدُ.. دفاترك البيضاء !
لا تكتب..
لا تمحو جثثَ الكلمات !
هوذا الزمُّ الجذُّ
فلا تستقرىء موتَ الرحم
لا تذهب في البعدِ الرابعِ.. والعاشرِ
لا تفرق بينَ الحدينِ..
ما أضيّق.. ما أنأى..
ان يُقتلَ وهجُ النبضِ
أن تُطوى أشرعةُ الومضِ !
الثورة.. أن تعلنَ شرعَ (الأمواتِ الأحياءِ) !
أن تدفنَ شرعَ (الأحياءِ الأمواتِ) !
لا تتحيّدَ بينهما
سيفاً مكسوراً..
جمجمةً.. دونَ عيونِ !

- ٦ -

دربك هذا.. لُججُ ضياعِ
وقراؤ.. أن تختارَ
أن تأتيك فلسطينُ أو تأتيها

حُلماً يرسم لون الزعترِ والزيتون
يرسمُ جرحاً..
يتدفقُ قلباً.. وعيونُ
ورسيسَ جنينُ !
أشلاءَ تهرعُ فوقَ الغسقي
المطْبِقِ، فوقَ الأنقاضِ
أشلاءَ تزهوُ في النسغِ المحروقِ
فامنحِ رأسَكَ
أَنْ يتقاربَ.. او يتباعَدَ بينَ الحديدِ
أَنْ لا تستوطنَ غُربتكَ الريحُ..
أَنْ توهجَ.. أَنْ تنأى
أَنْتَ الحُلْمُ الآنَ..
وأَنْتَ الجذْرُ
تتواصلُ فيكَ
الاسماءُ الأولى..
تتداعى الذكري والنسيانُ
قُل.. إنكَ لا تعرفُ
ما يتعارفُ فيه الأندادُ
إنكَ منفيٌّ للحُبِّ
ولللطفِ المتأرجحِ في الرمشِ
منذور لرغيفِ
معجونِ بأغاني الحزنِ
للأرضِ المصبوغةِ بالوردِ..

المتلثم بالشمس
لرذاذ الذهب.. المتأجج
في الاحداق..

- ٧ -

نستّ النصفَ الآخر..
إنّ فلسطينَ المذبوحةَ
بينَ النجمةِ والبحرِ
بين اللهفةِ - والقهزِ
لا تُذبحُ فيك..
تتوحد هذه الثورة، أو تفرقُ
بين الأروقة المشبوهة..
والعرافين !
ما زال الدربُ هجيراً.
بين الحلم..
وبوابات الإفتاء !
ما مُدّت أيديهم..
لا تصبغ يدك الحنأء
كن كفنأ.. قلبأ
تحمله بين الكتفين
نُذراً للحلم الأقصى
للأعراقِ المغسولة بالبرق
كن قمصانَ الشهداء
كن نبعأ.. فيضأ

وهج الأضداد
خفقة قلب
جهشة عين..
أبعد.. أبعد من مسرى الأبعاد
طلقة ثأر، لا تصدا
عرقاً، في صخر فلسطين
«شبحاً» في ربوات (جنين)
صوتاً، في حنجرة النورس
فوق الشطآن الرملية
موجة عشق وحنين
سطراً، في الأوراق الأولى
هاجسة تفرق
في عينين
كنت فلسطينياً
كنت فلسطينياً
كنت... فلسطين!

- ٨ -

من أدراك...
بأنك، تأتي حُلماً
تمضي حُلماً
لم تترك عنواناً
في صمت الجرح !
أنجيء بلا وطن ؟

وتروح بلا وطن؟
كيف أتيت، ولم تعلن غربتك الأولى؟
لم تدفن خلف شجون الليل
بقايا.. ظلي مكسور!
يا ثأر الدم
يا دمك المهذوز

١٩٨١

أيام سيبيرية..

عُصْنَا.. عُصْنَا

يا شَجْرًا يتوشخِ صمَتَ الغابِ، سنًا أبيض

شُهْبًا تهجْدُ في الطُهرِ.. فلا دَعَلُ أسود

حقْدُ أصْفَرُ !

نَرَفُ أحْمَرُ !

* * *

يتحرَّقُ دمعِي ان يصْبِحَ قطرةً تلج

عشبةً تلج.. تغسلُ زيفَ الوجهِ المصبوغِ، ومكرِ الالوان

أن يصْبِحَ وجهُ الإنسان

قطرةً تلج..

لم تصبغهُ.. الأدران

* * *

اشهدُ اني جئتكَ.. من قدمي حتى قمةً رأسي

أسودَ كالقارِ

كلونِ الومضةِ في جفنتي مقتول

وغسلتُ هنا قلبي في الشُهْبِ البيضاءِ

دَفَنْتُ المسخَ المجهولَ !

ذاك العَلَّةَ والمعلولَ !

* * *

يَنْفُضُ ذَاكَ الطَيْرُ جَنَاحِيهِ التَّلَجِيئُ
يَتَنَائَرُ فِي الْأُفُقِ. اللُّوْلُو.
وَمَضَّ نَجِيمَاتٍ بِيضَاءِ
تَسَافَى الرِّيحِ فَوْقَ الشُّهُبِ الْبَيْضِ.. تَشِيلُ الْغِيَمَاتُ وَتَرْحَلُ
تَرْحَلُ.. تَرْحَلُ

سببيرا صيف ١٩٨٠

فندق «الجدار الصينى»

مرة لو سُئِلت..
كيف تروح.. تجي خطاك؟
والطريقُ إليه؟
يمتدُ بين خيوطِ الخدائِ..
ورمشِ الجفونِ!
يرسمُ خارطةً.. لليبابِ!
وللرحلةِ القادمة!

* * *

وللريحِ.. تعبرُ أَرْصَفَةَ الصمتِ..
بين المساماتِ
والنظرةِ العابرةِ!

* * *

رسمتُ الدوائرَ..
اغلقْتُها..
وسافرتُ بين انحناءاتها!
مُحَرَّمَةٌ.. ان تدورِ الهواجسُ..
حول المدينةِ!
اسواؤها.. تدورُ عليك

الخطى.. والدروب !

هنا تكتُم المراسيم انفاسها !

* * *

تمرّ الوجوه شاردةً

ويغمزني اللوزُ في (العيون)^(١)

... البتولةُ إذ تندثرُ..

والماء.. والجمرُ في القصبِ البرِّي^(٢)

خارجٌ من الداخلِ العريّ !

داخِلٌ من الخارجِ الرمْلُ !

هو البحرُ يسجنُ شطآنهُ !

* * *

موغَلٌ في ارتمائهِ (السور)^(٣)

موغَلٌ في ارتعاشِ الظلالِ.. الجذور.. الغصونُ

يهجَعُ السورُ.. في اليدين..

التقاطيعِ.. والإشاراتِ.. والسكونِ..

* * *

ايها الفندقُ.. الوسائدُ تغتالُ اطيافها

(الجدازُ) يسترقُّ السمعَ !

بين الفراشِ الحزينِ.. والسهد، والليلِ.. والنجمةِ الغاربةِ !

بكين ١٩٧٨

(١) العيون الصينية.

(٢) القدود الصينية.

(٣) السور: جدار الصين.

عليه فودة: شاعر الرصيف

«أحلم يوماً ما
سأخزُ صريعاً
في أرضٍ ما
في بحرٍ ما
في دربٍ ما»
«فودة»

لم يزل فوق كرسيه
منذُ عامينُ
يرقبُ الرصيفَ.. بعينينِ
نصف مغمضتينِ
يحتسي «شايه» يقرأُ الجريدة.. تقرأهُ
واجماً، بين جمرة الصمتِ
والسؤالِ الدفينِ

* * *

ترتمي حوله الشوارعُ
السأمُ النَّائمُ بين الرصيفينِ
بين الرمادينِ
بين جرحِ الصدى

ولهاثِ الظنونُ

مَنْ يَكُونُ ؟

اذا لم يكنْ

صرخةً

جمرةً

هل يكونُ ؟

* * *

ما تبقى.. سيشرقُ ثانيةً

والسماءُ هي الأرضُ

افواهكم تحترقُ

ولا وقت.. لا وقت، مراياكم تحترقُ

تلکمُ الرعشةُ، الطلقةُ..

موتُ الصدى

رحيلُ المسافاتِ..

هاهو..

بين جفنيه

بين جرحيه

تتشظى «الجريدة» في راحتيه

دماً أحمر

دماً أسود

دماً أخضر

* * *

أعينكِ نجمانٍ.. يتقدانِ !
تلمّينَ بي حُلماً ينطفئ
تعبيرُ النجمةِ المسجأةُ
ليلَ احتضاري
«شال» أمي..
السهبُ يبضاء.. يبضاء
تتهاوى السماء
تمحى الدروبُ البعيدةُ
تتفرّى بقاياي
حرفاً أحمرُ
حرفاً أسودُ
حرفاً أخضرُ

* * *

أترى.. مرّ فوق نعشه:
اترى.. مرّ من هنا:
منذ عامينُ
بين وردتينُ
بين طلقتينُ

بيروت ١٩٨٢

عانقوا الطلقة الأخيرة.. وارتحلوا..

هي الأرض.. لم ترتفع جدارٌ لنا فوقها
ولم يكُ ظلٌّ يرُدُّ الصدى
يذكرنا.. أننا من بلادٍ
ترشُّ السماءَ ندئُ
وأساطير.. لم تكتمل بعدُ !
ويبقى السؤالُ.. الطريقَ إليها
ويبقى السؤالُ.. الطريقَ إليكم
ولكننا.. قُتلنا..
دُفنا.. وقُمننا
أتيناكم.. من البر.. والبحرِ
ومن دُمننا المُستباحِ
غسلنا السمواتِ، والرملَ
والأزرقَ المتوهجَ بالشمسِ
والزهرةَ القتيلةَ.. والمعدنةَ !

* * *

لا أرى أن يُهاجرَ الشهداءُ
وقد دُفِنوا مرتين..
وقد نهضوا مرتين..

فلا تسألوا البحرَ والعُشْبَ الأسودَ.. من أين؟
لم تولدوا للسؤالِ الجريحِ على شفتينِ
قُتلتم.. وعُدْتُم !
وهل يُقتلُ الجذُرُ في وَلَهِ الشمسِ ؟
بين خيمةِ نارِ
وتلك التي لم تَلِدْ بعدُ أوتادها !
ومن ذا الذي يقول.. بأنكم لم تَجِيثوا ؟
وما جئتم بعدُ ؟
وها أنتم ها هنا.. بين أجفانهم
وهمسِ اصابعهم..
في الدروب التي سَتْفُضي اليهم..
هنا.. في الهضابِ.. الشعابِ.. الدخانِ
ومن شارعِ الى شارعٍ..
ومن كَوَرةٍ في الخرابِ
تضيئون سَقَفَ السماءِ العتيقِ
ويصطبغُ الأفقُ بالغضبِ الأرجوانيِّ.
لا تسألوا الارضَ من أين جاؤوا !
فهمُ حيث مرّوا..
دَمٌّ على كل منعطفِ
وشاهدةٌ، وقميصٌ، وخبِرٌ
وحلْمٌ يهْوُمُ بينَ البراءةِ.. والبنديفةِ
وبين استداراتِ ما اقتحموا
وما بين حُدَيْنِ.. وخاصرةِ

بين قفري وبحري ونافذة، مغلقة
وما بين نافذة، ونافذة، مشنقة
ولكنهم يزرعون هنا.. نجمة وشهيدا
ورصاصاً، وموعداً، ونشيدا

* * *

خيمة في العيون
خيمة في القلوب
خيمة مُعتمة
خيمة سافرت في الخرائط.. حتى النهائي
بين الأجنة.. والمذبحة
وبين عيون تُخازرُ في شرفات الممالك
والحرس الملكي.. جواز المرور
الى الرمل.. والدم، والشفة المُطبقة

* * *

الوطنُ الخندقُ..
الطلقةُ.. البيرقُ
عينانِ ينداحانِ.. في المطلقِ
يافا.. دمٌ أخضرُ
حيفا.. هوى أحمرُ
لا تطفئوا النجمات
لا تحرقوا الزورقُ

* * *

تعالى الرصاصي أفقاً
تَسَعَّرَ ومضاً وناز
وبين اليمين، وبين اليسار
ومن ليلِ زنزانة
وحرَّاسيها الأقدمين !
ومن زيف ما شَرَّعَ الصداُ العربي القديم
نهضنا.. نللمم اشلاءنا
طلقةً.. طلقةً..
وزنداً فزنداً
وقامأتنا في النجوم..

* * *

لعينيك بيروت.. يا واحة المتعبين
عشقناك حلماً.. وأطياف ناز
ومن كوة في الجداز
ارقنا الكؤوس الاخيرة.. للريح
وعُدنا.. الى دمننا
والحدود الاخيرة
بين حراب الغزاة
وصمت النخاسة في الصداُ العربي
وفي رحم أم العروش..
وأنصابٍ عشرين مملكةً.. من خشب !

* * *

صُلبنا.. على ألف بابٍ
عبرنا اهتزازَ الصدى
حرقنا القصائد.. والذكرياتُ
حرقنا جوازَ السفرِ..
ودفعَ الخلايا.. وحزنَ المطرِ
نظرُ ليلِ الخنادقِ
نحرقُ الشفتينِ.. والطلقاتِ
نغنيكُ بيروث.. يا مرفأً للهفةِ المبحرةِ
ويا صحرةِ الواقفينِ في عُربةِ العُريِ
معجزةَ الله..

والساعةُ الأخيرةُ.. أقدارُهم
والمسافاتُ.. لا تبارحُ أشباحهم !
ولكنهم ها هنا.. كبرياءِ الرصاصِ
وزهوِ الجموحِ..
هُم الصخرُ، عزمُ المُلثمِ
يشمخ بين الدماءِ
وبين اشتعالِ الرمادِ
هُم الغضبُ الجمرُ
يرحلُ.. بين الحرائقِ
والطلقةِ العاشقةِ

* * *

دعوا مجرى هذي الدماءِ
تسيل على عتباتِ الثُكناتِ

فقد أغلقت في ليالي البنادق.. أبوابها !
والجنود استراحوا على ذل أكفانهم !
فلا تنبس الجراح.. ولا تصرخ الدماء
وأنت الذي تستحيل إلى جثة
تمدد بين المشائق.. والاقبية
وربّما يلبسونك «العلم الوطني»
ولا يُطلقون على رأسك الرصاص !
تباع وتُشترى !.. فلا تنكر الشهادة في السلم !
ولا تنكر الخيانة.. في الحرب !
انهم أعلنوك.. منذ الولادة نذراً
وماذا تبدل منذ القنائة ؟
هل تسكنُ النيص ؟
يأخذك الشوق ؟
والعطش المتسربل بالحزن !
لا أرى أن تُديرَ محاجرَ عينيك
لا تسل عنهم..
فلقد عانقوا الطلقة الأخيرة.. وارتحلوا
في الدماء التي.. بعد لم تنطفئ
والدماء التي.. بعد لم تشتعل

بيروت ١٩٨٢

حَجْرٌ... حَجْرٌ !

حَجْرٌ لَهُم حَجْرٌ لَنَا
حَجْرٌ يَشْجُ رُؤُوسَهُمْ
حَجْرٌ يَشْجُ رُؤُوسَنَا
أَحْرَى بِنَا
إِن تَرَجَمُونَا
تَدْفِنُونَا تَحْتَ الْحِجَارَةِ عَازِنَا
لَوْ أَنَا
لَوْ أَنَا
كَيْسَرُ الْحِجَارَةِ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ
وَنَفْدِيكُمْ.. وَنَفْدِيكُمْ

* * *

حَجْرٌ عَلَى حَجْرٍ... حَجْرٌ
حَجْرٌ وَيَتَقَدُّ الشَّرْرُ
حَجْرٌ لِمَنْ الْقِي السَّلَاحَ وَمَنْ عَدَّزُ
وَلِمَنْ تَعَرَّى وَأَتَزَّرُ
وَلِمَنْ تَبَدَّى وَاسْتَتَرُ
وَلِمَنْ تَعَفَّنَ وَانْحَجَّرُ
حَجْرٌ لِمَنْ لَصَّ الدَّمَاءَ وَمَا اعْتَصَرَ

حَجْرٌ لِنَاجٍ مِنْ حَجْرٍ
حَجْرٌ لِعَرِشٍ مِنْ حَجْرٍ
حَجْرٌ لِأَحْكَامٍ وَحَكَّامٍ.. حَجْرٌ
حَجْرٌ لِمُؤْتَمِرٍ وَمَا أُمْتَرُوا حَجْرٌ
حَجْرٌ لِمَنْ وَعَدُوا وَمَنْ نَكثُوا.. حَجْرٌ
وَلِمَنْ تَقَبَّعَ فِي عِبَاءَتِهِ.. حَجْرٌ
وَلِمَنْ تَرَدَّى فِي خِيَانَتِهِ.. حَجْرٌ
حَجْرٌ لِأَنْظُمَةِ الْحَجْرِ..
حَجْرٌ «لِجَامِعَةِ الْحَجْرِ»
ذَمُّ حَجْرٍ
شَرَفُ حَجْرٍ

* * *

حَجْرٌ عَلَى حَجْرٍ.. حَجْرٌ
حَجْرٌ لَزَيْدٍ مِنْ حَجْرٍ
حَجْرٌ لِحَيْشٍ مِنْ حَجْرٍ
حَجْرٌ... لِحَنْدِي حَجْرٌ
حَجْرٌ... لِقَاعِدَةِ الصَّوَارِيخِ.. الْحَجْرُ
حَجْرٌ... لِلْحَامِلَةِ الصَّوَارِيخِ الْحَجْرُ
لِمَكْبَلِينَ مِنَ الْحَجْرِ
لِمَسْلُحِينَ مِنَ الْحَجْرِ
حَجْرٌ... حَجْرٌ

* * *

حَجْرٌ عَلَى حَجْرٍ... حَجْرٌ
حَجْرٌ لِأَحْزَابِ حَجْرٌ
لِحَزْبَيْنِ مِنَ الْحَجْرِ
وَمَعْصِيَيْنِ عَلَى الْعَمَى
حَجْرٌ... حَجْرٌ
صُحُفٌ حَجْرٌ
فَكَّرَ حَجْرٌ
حَلَّمَ حَجْرٌ

* * *

حَجْرٌ عَلَى حَجْرٍ... حَجْرٌ
هُوَ مَا تَبَقَّى
مَا تَبَقَّى.. يَا حَجْرٌ.
عَيْنٌ حَجْرٌ
وَيْدٌ حَجْرٌ
وَفَمٌ حَجْرٌ
قَدَرٌ حَجْرٌ
يَا اِنَّتَ يَا قَدَرَ الْقَدْرُ
يَا جَلَّ شَأْنُكَ يَا حَجْرٌ
ارْجَمَ حَجْرٌ
واهدمَ حَجْرٌ
وأقيمَ حَجْرٌ
حَجْرٌ حَجْرٌ
حَجْرٌ.. ويتقدُّ الشرُّ

حَجْرٌ وَيَشْتَعَلُ الْحَرِيقُ

حَجْرٌ وَدَمٌ

بُورِكَتْ يَا حَجْرًا تَأْزُ

بُورِكَتْ يَا تَأْزَ الْحَجْرُ

حَجْرٌ.. حَجْرُ

حَجْرٌ حَجْرُ

حَجْرُ

حَجْرُ

حَجْرُ

١٩٩١

١٠٤

عَفَنُ !

«أريد هذا البغي أن يحولني الى مهرج.. في «ديوانه»؟»

«علي الجندي»

عَفَنُ !

لا الاندائ، ولا وهجُ الجمرِ،

ولا يَكْبُرُ السيفِ المتلفع بالصمْتِ

عَفَنُ

ان يتلَطَّى الشعرَ.. وربُّ الشعرِ

أن يُمَسِّحَ مشجبَ أحذية.. في القَصْرِ !

أن يغسلَ أقدامَ السلطانِ المنتفجِ بالعهوِ

مَنْ ييصُّ مَنْ ؟ !

* * *

ما كان السلطانُ سوى طليلٍ...

عُرِبَت عنه الشمسُ

يتوهج في الشعرِ المأفونِ

سنأ.. يُعشي الأبخار ! !

ما كانَ السلطانُ سوى فأفأءِ

تتمام.. لا يفصح عن حرفين !

يَتَأَلَّقُ رَبًّا لِلْحَكْمَةِ.. وَالْقَوْلِ الْمَأْتُورُ !
مَنْ يَتَقَيًّا... مَنْ ؟

* * *

الشعر.. تعالى الشعرُ سنأُ أخضِرُ
مطرًا، لهبًا، برقًا أحمِرُ
مجدُّ الأمجادِ، شموخُ الكِبَرِ
أكبر.. من حكامِ العَصْرِ

* * *

واكبرُ من ان يحتبي برحابه
ومنتهزِ يلوي حُطامَ ركابه
يُديفُ له زيفَ النعوتِ، ويؤتبي
وما هالهُ شعبُ تلوبُ جراحهُ
هو الشعر ان يُذكي الشرارَ ويجتلي
ويلوي بإعصارٍ ويقحمُ عاصفًا
تعالى فما دانت رواسي شموخه
ومن هَدَّرِ أعشى، هزيلٍ منمقٍ
ومن عاذري لو أرسبَ الرِيحُ ظله
ورغمَ ابتلاءِ الشعرِ في سَقَطِ عاثرٍ
فما برحَ الكونَ المعنى بسحره

خلائقُ، انماطِ دَعِي وماكِرِ
يذليلَ الخطى مستجدياً بابَ فاجرِ
له من سخامِ الشينِ.. بيضُ المآثرِ !
ولا هالهُ نهشُ الذئابِ الكواسِرِ
على صَرَمِ الجُلَى رمادَ السرائِرِ
ويرتأذُ ما اريدتُ.. دروبَ المخاطرِ
لما يتلطَّى من عقيمٍ وبائرِ
خواءِ فلا شعرٌ ولا جرسُ شاعرِ
على سَعَتِ رِغَمِ العجيجِ المكابرِ
وتيه القوافي الغر.. في بُرْدِ نائرِ
حداءِ معاميدِ، وأطيافِ سامِرِ

* * *

الشعر.. له المجدُ الشعر
حلمُ نبيِّ، كِبُرُ الكِبُرِ
أكبُرُ من حكامِ العصرِ

١٩٩٢

ويا لك عملاقاً تخطك زمانه

تصبرت.. حتى ملّ من صبرك الصبرُ
فماذا يقولُ الشعرُ، لو هدرَ الشعرُ ؟ !
سليلاً الطلي، لو سألَ في الصخر.. لانتشى
وأينعَ واخضلتَ جوانبه الصخرُ
ولو أنّ طلاً من نداءه وبرّده
يمسُّ لهاك القفر، لاعشوشبَ القفرُ
صمتنا.. فلا جزّسَ ينمّ ولا صدئُ
سلمتم.. لو أنّ الصمتَ يُغلي له المَهْرُ !
وما هو بالسّرِ المُعَوّرِ شأؤهُ
فقد سُتّتَ الأستار.. وانتهكَ السرُّ
وهل ثَمَّ من أمرٍ جديدٍ لبأبهُ
وهل في إهابِ القشر، ما يحتوي القشرُ ؟ !
ولما يزلُ ليلُ البداوةِ ليلَكم
لك الويلُ أمّ العصرِ، هل يصدقُ العصرُ ؟
ولما يزلُ زهُو القبيلةِ زهُوكم
تغالِبُ (أوساً) في مناقبها (فهز) !
ومن انتم ؟ مرَّ الزمانُ وانتم
سرابٌ ولا ماء، وشوكٌ ولا زهُرُ
وكم قيلَ هذا.. قلتَ سمعاً وطاعةً !
وإنّ رابني شكّ، وإن لَجَّ بي نُكْرُ

ورحُتْ أُمنِّي النفس حتى اذا انجلى
لنا الصبيح.. لا كأسٌ لديه ولا خمُرُ !
سوى ان (عمرواً) يعتلي هامً (عامر)
فلا ضجَّةٌ تعلو، ولا نامةٌ تعرو !
وغايةُ غاياتِ المدلِّ بحكمه
لهُ الوردُ في عليائه وله الصدرُ !
وما همَّ هذا الشعب ان راح (عامر)
وأدير.. أو أن جاء من بعده عمرو !
هو الشعب.. جلَّ الشعب، والشعبُ وحده
له النهي فيما يرتأي ولهُ الأمرُ

* * *

لن تملئَ الشعرَ والليلُ مطبقٌ
تَجَهَّمُ حتى جُنَّتِ الأنجمُ الزهُرُ
وعُتِّقَ في الروحِ الهوانُ وأرقتْ
على الضميمِ أطيافُ أَلَمٍ بها الذعرُ
وأزرى بها ان كلَّ جهيمٍ مُسلطٌ
يقالُ لَهُ - فيما يقالُ لَهُ - البدرُ ! !
تنفجَّ تيهاً لا النجومُ تطاله
معادَ السماء، يا أينَ من كبره الكبيرُ !
وآخر.. ظلُّ الله في الارضِ شرعهُ
بما أنفقت منه الخيانةُ والكفرُ
وأعلمُ أني من بلادِ عتثَ بها
شراذمُ، لا فرغَ لديها ولا جذرُ

تعاليت يا علم الحساب، ألم يكن
هو الصفر في «جمع الجموع».. هو الصفر!!

* * *

تلفت لا أدري.. الى أي منحني
أجد الشرى، والدرّب مستوحش وعز
أكل بلاد العرب سجن مروع
لك الله.. طال الحسف والعسف والقهر
وما المرنجى في دولة شاة ظلها
يلط على اعتبارها الرأي والفكر!
وترتهن الاقلام معصوبة الرؤى
تختر في اشدائها الصمت والحبر
وصوح أفق لا النجوم تضيئه
وحيم ليل.. لا يهدده فجر

* * *

ويا لك عملاقاً تخطى زمانه
كما يتخطى في مشارفه النسز
تعالى فلا والله ما زال شامخاً
فما ناله عاث، ولا شابه وضر
يقارغ تماماً ويلوي بخابط
ترنق في عشوائه السلسل الثر
تهضمه ان يعتلي صهواتها
لقيط حنا.. ما طال يقعه القصر

وليس الذي اعطى كمن هو والغ
 بما عَفَّ عن فحشائه السمع والذِكْرُ
 تلاقى على طَهْرٍ وعهْرٍ قصائدُ
 فلم تدرِ أياً منهما الطهْرُ والعهْرُ !
 هما سوط جلاذٍ، وعظم ضحية
 لأيهما يُستصرخُ الموقفُ الجمرُ ؟
 وديفت كما ديفَ الضمير، وُضِلَّتْ
 شمائلُ من لا يَزْتَجِي خَيْرُهُ الشُرُ
 تطرُّزُ اذيالَ الطغاةِ وتنثني
 تذوَّبُ أَسَى مما يَحْرُ به الصدرُ !
 ومن ضَمَّ مقتولاً، وعانقَ قاتلاً !
 ومن حَلَبَ الضرعين.. لا دَرُّهُ الدرُّ

* * *

تَمَجَّدَ حرفٌ يفلقُ الليلَ وهجُهُ
 وبورك ما أَعْيَا بغاشيةِ سطرُ
 ويا شعراءَ الجمرِ يا من تَعَمَّمَتْ
 رؤُوسُكُمْ بالشمسِ، يا قدرُهُ القَدْرُ
 ويا مجدكم.. ما لا يُطاوَلُ مجدُكُمْ
 عَلَيَّ الصدى، ما جَدَّ في إثرِهِ الإثْرُ

١٩٨٨

فصول الريح.. ورحيل الغريب (*)

- ١ -

طلع النهار
ولن ترى عينك شارقةً النهار
وسجى المساء

(٥) - أجمل أحلام الانسان وأرقها، وبخاصة حين يكون الإنسان مليئاً بالمعاني الإنسانية الرائعة والنبيلة، هي أن يجد نفسه، بكل ما تشتمل من عقل وخلق ورؤى بكل تفرعاتها الإنسانية، أن يجد ذلك كله يتجدد وينمو عبر الآخرين. ودوماً شك تزداد روعة حلم كهذا، لإنسان كهذا، حين يكون الآخر لصيقاً به روحاً ودماً، حين يكون هو الإبن، رمز الإستمرار والبقاء. لكن حين ينطفئ الحلم، حلم إنسان من هذا النوع، تأخذ النفس البشرية تتأوه وتتقطع على بعضها، تفتت، وتترُّ أماً. وحينها يخرج الشعر شقيقاً شفافياً الحزن وريقاً رقة الروح الحزينة، وتبدأ الروعة حينها تأخذ مجراها.

والغريب الذي رحل في هذه القصيدة هو (نصير) الإبن الأصغر للشاعر والذي كان يرى ويجد فيه نفسه بكل تطلعاتها، تتجدد وتنمو. كان نصير يشكل مستقبل الشاعر وإستمراره لما كان يحمل من سر أبيه، فقد كان شفافاً رقيقاً تزينه ثقافته الإنسانية، إذ كان يتقن لغات عدة كالإنكليزية والألمانية والصينية وكان متعمقاً في الفلسفة التأوية، إضافة الى كونه يتذوق الأدب والموسيقى ويجيد التعامل معهما.

ظل نصير يعاني من ألم شظية استقرت في رأسه، واستعصى إخراجها، في أحداث بيروت ١٩٨٢. الى أن وافته المنية في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٩١ في بكين عاصمة الصين وقد نقل جثمانه الى دمشق في سورية ودفن فيها.

حين ذوى نصير ذوي حلم الشاعر، وراح يتقطر عليه. وهذه القصيدة والقصيدتان اللتان تليانها هي تقطعات الشاعر الداخلية وهو يتكؤم على ذكرى الإبن الراحل، الحلم، وعلى صورة الوطن الجريح ويضمهما بجناحيه الأسيين.

الناشر

ولن ترى.. ليل النجوم
وبوخ أطيافِ السخر
ورذاذ أنداءِ توشحن القمر

* * *

أَوْ تُطَبِّقُ الْأَجْفَانَ
والغابات، والانهاز.. واجمة
وما ودعتها
يا المستهائم بها.. تعانق صمتها.. وظلالها
مطر.. ويا حزن المطر
حزن الجداول، والسنايل، والصفاف الخضر
غام الكون، وانطفأ السمر

* * *

شحب الخريف
وهممات رياحه الثكلى
تولول.. يا ربيحك، جمره الشفيق الموشى
واخضراز الغاب
يا فرخ المطر
تبرعم الأيام.. والاحلام
يأتي الوهم.. يغسل ظلك المنفي
أصداء الجراح
وشعرك الليلي.. عطر الذكريات
وما توهج.. ومض بارقة

لتقطفَ زهرةَ الشوقِ المعتقِ.. والحنينُ
الى حريرِ الوهج.. والنزعِ الخفِيِّ
الى الخروجِ من القبيلة.. وارتداءِ العشبِ
فوقَ جذوعنا المتأكِّلاتِ
وفوقِ حبلِ غسيلنا
والى اعتاقِ من حصارِ مغولنا
ومن الاساطيرِ الغيبية.. والوقوفُ
وراءِ أشرعةِ مرَّعةِ
وأطلالِ دُرشن.. ولم نزل
أسرى التفاصيلِ العتيقة.. والتبقى
في دمانا..
من غبارِ الاولين..
ولا مطو..

* * *

كم مرة.. والماءُ يفرقُ في معاطفنا
ونظماً.. والرياحُ
تمزُّ بين أصابعِ الموتى
وتزرعُ في دمانا.. غيمةً سوداءَ
تشعلُ من رمادِ النار.. نازِ
ومن بقاياِ الريح.. عاصفةً وموتاً
ذاهبون.. وعائدونَ من الردى
ولنا رحيلٌ كلما عدنا
الى موتٍ جديدٍ

نتبادل الشهداء
نرفع أعين الموتى.. كؤوساً للرياح
ويا دخانَ الاسئلة
من أجلِ مَنْ؟.. ولأجلِ مَنْ؟
نتسولُ الايامَ، والعمرَ المشرَّدةً
من تُراهم يحملونَ صليتنا
يا وحدنا..
فَصَبَّ تَكَسَّرَ فِي الحناجرِ.. صوتنا
عشرون عاماً.. والعراقُ
دمٌ.. وجوعٌ
ومساحِبُ حمراءَ
أشباحَ تشقُّ الريحَ
تنحدرُ السهولُ.. وترتمي
قممُ الثلوجِ
ضفائراً مخضوبةً بدم
«حليجة»^(١) غيمةً صفراءَ
أحفاً يموت الفجر فوق رموشها
وسهوبُ ناز

* * *

موتٌ على رملِ الجنوبِ
ودمٌ على ثلجِ الشمالِ

(١) المدينة القتيلة - أخت هيروشيما

لا بدّ من جمرٍ ونافذةٍ
صعوداً في الزمان.. وفي المكان
يُوتى.. ولا يأتي العراق
في وسع من نسجوا الخرافة
ان يدقّوا الماء ثانياً.. وعاشرةً
ولن يأتي العراق
تساقط الاصداغ فوق حدوده
رملاً.. ومن عرفوا الطريقَ إليه.. فليأتوه
مُشرعةً نوافذه.. وإن رانَ الغبارُ
تغصّنُ الايامُ.. يصدأ ما تبقى
من دخانٍ للكلام
ويا عتيق كلامنا !
لا صوت يقرعُ في دروب الريح.. أسمع المغولُ
ولا البياناتُ العقيمةُ
أروقةَ الفنادقِ والعواصمِ
يعرفون.. ويهرفون !
ويفرشون
سجادهم شرقاً وغرباً
فلعلمهم يجدونَ خَلْفَ البحر.. ربّما ! !
لِمْ.. وأشتات مهومة، ومطفأة
وأصداء المنافي.. لا تُضيء
عشرون عاماً.. والعراق
دمٌ يُراق

ومن ينوءُ بحمليه ؟
ليساركم ظلّ ترمدٌ شاحباً
ويمينكم - عفو اليقين - يمينكم
- عودٌ على بدء - رماذُ العائدين.. من الرماذ !
لا أنتم قوسُ العراق وسهْمُهُ
وبروقُهُ.. ورعودُهُ
يا آخرِ الاصداء.. والاسماء
محضٌ محتجّة.. للقادمين الى الكلام
ومغادرين الى الكلام
لتشيعي اللاشيء.. !
راياتٌ تهوّم في السراب.. وللسراب
وسحابةٌ - يا بؤس ما اجترّح السحاب -
وقفت على رمل الحدود
ولم تغادر ظلّها

* * *

من أين نبدأ.. يا فصولَ الريح
يا أشلاء ذاكرة
يا أمس من حلموا
ومن كُسروا
ومن غثروا
ومن رحلوا
ومن هجروا
كما لحلم.. خبا واربدٌ

لا برق.. ولا مطر
أينفى ظلنا.. عجراً
ليزحم ظلنا.. العجز!
وينفى موتنا.. قبراً
وشاهدة.. ولا أثر!
ونستجدي خيام الصم
نطرق كل يوم.. باب منفى!

* * *

سدى أعلنت أو أخفيت ما تُعلن
عاد الماء رملأ
عاد وهماً..
عاد ما كان.. إلى ما لم يكن
عاد.. سرايا

* * *

أثرى.. أسرفت لم تلجأ.. الى جرحك
لم تبحث عن اللاشيء.. في الشيء
فمن تسأل.. من؟!
والاخوة الانماط.. والاخلاط
والابرار.. والاندال
فيما انحدروا منه
وفيما انحدروا عنه
من الاصلاب والاعراق.. والاشاب

أعجازاً.. على الريح
لهم سماؤهم مختومة
بالعَسَقِ الميت.. والطين
فمن.. من أجله نشقى ؟
ومن.. من أجله تُنفى ؟
ولا نعرف.. ما اللحظة والليلة
من يُقتل.. أو يرحل
كنا الحلم الغائم
أشياء سُراة.. ورعايا !
والصدى الشائع.. ان كُنّا !
فهل كُنّا ؟ !
ومن كنا ؟ !

* * *

سُدَى.. يا رقة الحلم
وهمسَ النجم.. في ليلي
ورِيّ الماء في صحراء أيامي
تشظّي عمرك الوردِي
بين الشجر المزّ.. وليل التيه
من منفى.. الى منفى..
وكم من خطوة مالّ بها الدرب
وكم من منزل جفّ به العشب
وكم أتعبك المسرى..
كسِيرِ الجنح

مُلقي في عراءِ الرِيحِ
يا الشامُخُ في الجرحِ
عصبيُّ البوحِ
جلُّ الحزنِ في عينيكِ
جلُّ الصمْتِ في شفَتيكِ
لا ظلُّ تولدُ بي..
ومن وُجدوا.. وما وُجدوا
وهم كُننٌ ولا أحدُ !
حَبَّتْ اِهميَّةُ شوهاءِ
لا ومضٌ.. ولا ألقُ
«ليالي الصين».. مطفأةٌ
تَعوِّلُ فجرها العسقُ
سواه الصمْتُ.. والليلُ الخريفيُّ
الصدى.. يتأى.. ويتأى
تشحبُ الاضواءُ.. والاستارُ مُسدلةٌ
وتشبهُ ومضةً خفقتُ
ويرتحلُ
غريبُ الدارِ لا أهلُ.. ولا وطنُ
ولا أحدٌ.. ولا أحدُ

دمشق ١٩٩٢

المسيرة الكبرى (*)

«الساعة تشير إلى الخامسة مساءً.. من اليوم الثاني عشر من تشرين الثاني عام ١٩٣٤.
- وكنا عشرين مقاتلاً...
- انطلقنا في الخطوة الاولى... من المسيرة الكبرى»

ماوتسي تونغ

- ١ -

كان الليل..
وكانت في الأفق الأنجم
تَسْمَلُ عينيها !
كان الجرح ينزُّ دماً..
نهرًا يسقطُ بين الرمل
وبين الماء
لكنك تدري..
من أين سيشتعلُ القصبُ الاصفى
من أين.. ستعصفُ ريحُ العَظْبِ المأسور

(٥) «مسيرة الملحمة الثورية الصينية الكبرى اطول مسيرة في التاريخ المعاصر عبر اثنتي عشر ألف كيلومتر.. بين قمم الجبال الشاهقة الثلجية والصحارى والانهار والمستنقعات.. اكلوا العشب ولحاء الشجر.. كسروا حملات التطويق وطوقوا المدن من الريف.

وراء الصمْت

تدري.. أن العين الصينية «حبة رز»

يطفؤها الملح

تدري.. أن القمح يُغطي الجرح..

تدري.. أن الائداء تمسح القحط

وينطفئ التسع الاخضر

في المهذ

تدري.. ان السوط يئن من

الجلد المشقوق

ويعتصر الحقد !

تدري.. أنك تدري

من اين سيبتدىء الدرب !

من اين.. يمسح اللهب التين^(١)..

من اين سيشرق فجر الصين

تدري.. من اين ستبدأ

من أين

* * *

الكوخ المهجور يعانقه الريح

وصمّت الانهاز

لم تهرم بعد غيوم الأفق الشرقي

(١) التين.. في الاساطير الصينية، رمز للخير.

فما زالت تغسلها الامطارُ

والشمس دمٌ

يتوهج قرصاً من نازٍ

مات الموتى.. وتسَلَّل في الليل الريحُ

الأنهارُ التسعةُ يقتلها الحزنُ^(٢)

مَنْ يشعلُ ومضَّ القشُّ الاصفرُ ؟

مَنْ يُطفئُ عَيْنَ «الوحش الاخضر»^(٣)

* * *

تشجب أضواءُ الفجرِ الصينيِّ

وتنكسرُ الاضواءُ

يشقُّ قراصنةُ البحر.. الصمت

وينكفيءُ الكأسُ الخمسونُ

يا آخرَ (حان) لم يغلُقْ بابُه

يتنزى السمكُ الميِّتُ.. والافيونُ

تُحرقُ «كانتُون»^(٤)

* * *

«هواتو».. هواتو.. هواتو^(٥)

لم يُكبيخْ بعدُ جماحُ الطاعونُ

(٢) روافد نهر اليانغسي الكبير.

(٣) رمز الاستعمار الياباني.

(٤) اهم مدن الصين.. وأول مدينة اشتعلت فيها حرب الافيون الاستعمارية.

(٥) اشهر اطباء الصين في عهد الممالك الثلاثة في الصين ٢٢٠ - ٢٨٠ م.

لم يُطفأ جمرُ المطرِ الاحمرِ
لِثُهُومٍ.. أذرعُهُ الفولاذُ
وليورقُ.. سَجَرُ الصفصافِ الاسودِ
الريحُ.. تدوي الريحُ
الشرُّ.. الكون يمورُ
هواتو.. هواتو.. هواتو
النارُ
تمخُّ النارُ.. عيونُ التنينِ
سيهبُ جياحُ الصيغِ
* * *

تنوسُ الفراشةُ.. يا للجناحينِ
بلونِ السماءِ
تشبوهما حُمرةُ الزعفرانِ !
وقد هومتُ في الهزيعِ الاخيرِ
على صفحةٍ من كتابِ
طوتهُ يداهُ على حَدَرِ
فانطبقُ^(٦)

تُرى !

ما وراء ارتجاعِ الصدى
المُسَهَّدِ في اللبائِ
وسرِّ الفراشةِ

(٦) كان ماونسي تونغ يقرأ خلال المسيرة الكبرى. يقرأ حتى الصباح.. علق ت فراشة على صفحات الكتاب.. فأطبق الكتاب عليها.. وعاد الى ذكريات طفولته..

والوَلَهِ المُسْتَهَامِ بِنَارِ الشَّفَقِ
وحلِمِ الطَّفُولَةِ.. تُدَلِّقُ كالماءِ فوق مَهْيَلِ الرمالِ
وما ضَمَّها كتابٌ
ولاحدَّتْها الاساطيرُ
ما ارتشفت من كؤوسِ الزنابقِ
خمرَ الرحيقِ !
تنادت عليها النخاسةُ..
طفلاً.. بحبِّهِ ارزِ^(٧) ! !
ومَن يشتري الجائعِ
على جنابِ الطريقِ ! ؟
* * *

بين جدارِ المبعى.. و «جدارِ الصينِ»
يسقطُ في الليلِ الاعشى
ظُلُّ «بكينِ»
* * *

تُكسِفُ شمسُ القصرِ الصيفي
وراءَ الاسوارِ «السرية»^(٨)
تتلفَعُ بالتيه رحابُ «التاوية»^(٩)
تفرق في الصميتِ السَّمْحِ «البوذية»^(١٠) !

(٧) كان جياح الصين يبيعون أطفالهم على قارعة الطريق!
(٨) المدينة المحرّمة المسوّرة حول قصور الاباطرة - لم تزل قائمة في بكين - هي اليوم منتزه للشعب.
(٩) فلسفة «تار» الصينية.
(١٠) المذهب البوذي.

يا شيخَ الزهدِ..

وما جدوى الزهد المرّ

وصبرِ الاحزان

زُديت كلُّ ينايعلك يا «بوذا»..

الشيخَ المنهجُ

فوق الارض المحروقة !

- لا تقتل !

- مولانا الشيخ !

ما زالت أيدنا بيضاء

من أين لنا ثمن السكين ؟ !

- لا تسرق !

- مولانا الشيخ !

ماذا يسرق مسروق

لم يُبق السارقُ منه سوى

الجلد المتغصّن.. فوق العظم ! !

- لا ترن !

- مولانا الشيخ !

ما زالَ زناةُ الارضِ

وما زال القسطاس المترنح

بين العفة والعهر !

الحبز بلا ثمن.. مفقود

الثديّ نقود

الطفلُ نقود

الثديي.. الخيز.. الطفل
تالوث التتین المتقبح
خلف الاسواژ
يا شيخ الصبر المتضرع للاقدار
لو تهجد للناز!
لو تسكب فوق العشب الاصفر
نسعاً أخضر!
من اين؟.. سيدرك.. «كونفوشيوس»^(١١)
الحلم.. الانسان..
وما زال الانسان
مضغاً لحم في اشدق الذئب!
فلاي يخفق هذا القلب؟
يتغير يا كونفوشيوس الدرب
تتناقض كل الاصداء
تتحول كل الآراء.. الاصداء
يتبدل وجه الارض
وجوف الارض
وما فوق الارض

* * *

يا شيخ الحكمة لن تبني..
ما لم تهديم..

(١١) الكونفوشيوسية فلسفة كونفوشيوس، وبعض تعاليمه الطوعية للقدر والسلطة

لن تنطفئ.. ما لم تحرق
الجرح يغور.. الجرح يغور
الدهر.. الكون يدور
لن يبقى القصر.. ولا القيصر
لم تبق سوى الاصداء..
لكن الماء
يظل يسيل الماء..
«هواتو».. هواتو.. هواتو
لم يغرب نجم القيم البيضاء
فستحرق في الافق
الاشعة السوداء
ويطل «سهيل» المتلفع بالاضواء

— ٢ —

وكانت تشير الى الخامسة^(١٢)
هي الساعة التي تبدي
خطى المسيرة فيها..
ولم تنطفئ
لهيب المشاعل تطفو مهُوَمَةً
فوق جسر تعوم عليه الحشود
وبين السفوح..
وبين الدرى المعتمة

(١٢) الساعة الخامسة من اليوم الثامن عشر - تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٤... منطلق المسيرة الكبرى.

تخفُ المسيرةُ
نجماً.. فنجماً يغورُ
ويطوي المساء.. النهارُ
وتمضي المسيرةُ
بين الشعاب.. التلالُ
ورانت كهوفُ
مُعلقةٌ كالسلاسلُ
ودويّ «نداء..» (١٣)

«لكل» هنا.. حرمة.. لا تُطالُ
فلا تأخذوا ما بأيديهمو
ولا تدخلوا بيوتهمو
ولا تنظروا.. للنساء

* * *

الصمتُ.. لحاء الشجرِ البريِّ
الأنفاسُ.. لهاثُ ضبابٍ
الرعدُ.. البرقُ..
الماءُ.. ينزُّ الماءُ..

* * *

ودوي نداء (١٤)
- «حصاني لكم أيها المتعبونُ
وكسرةُ خبزي

(١٣) نداء ماوتسي تونغ الى رفاق المسيرة.

(١٤) نداء (مار) لرفاقه المتعبين.

ومَن يتردُّ.. يلتحفُ معطفي»
ومالوا على جنبات الطريق.. بكفٍ
تعبُ الميأة
وكفٍ تشدُّ السلاح

* * *

في الصحراء المسكونة بالريخ
تنائرُ كالديغل
الاكواخُ الصفراءُ
«لا تلجوا كوناً..»
لا تتحدوا سيفاً.. سهماً..
لم يُبقِ «البيض»^(١٥) لهم قلباً أبيضاً»
لكن «الديك»^(١٦) الاحمرُ يهجع في الاحضان
أو ترهبُ قدأ اسمز؟
الديكُ الاحمرُ
حبُّ أخضر

* * *

الدربُ يطولُ.. الدربُ يطولُ
وليس.. سوى لمع البرقُ
الرعدُ.. يشقُّ الافقُ
الثلجُ.. الريخُ..

(١٥) الغزاة المستعمرون.

(١٦) من تقاليد احدى قوميات الصين، ان تقدم الفتيات للضيوف ديكاً أحمر.

الانفاسُ خيوطُ دخانُ
ألفٌ.. عشرة الافِ.. عشرونُ !
اللهبُ الاحمرُ
يصبغُ وجهَ النهوِ

* * *

شبراً شبراً.. نتلتمسُ وعشاءِ الدربِ
أغصانُ الشجرِ المبلولِ.. تندُ الماءُ
تب.. تاب..
تنقرُ.. تلفخُ وجهاً
رأساً.. يجأزُ بالاصداءِ
وتمضي المسيرةُ
يغربُ نجمُ
ويشرقُ نجمُ
وليست هي الأرضُ..
تطوى بأقدامنا..
فتمَّ انزلاقُ
وتمَّ انكفاءُ
ولكنهُ العزمُ..
أن نتحدى السماءَ.. !

* * *

سلمتم رفاق الطريقِ
هنا الدربُ.. أوْشكُ أن يتدي

أديرُوا ظهوركم.. واسندوها
صنوبرة.. لا تهبَّ الرياح
هنا.. من هنا
نقودُ الى الساحةِ
التي طوقتنا
وكُنَّا ندور مع الدائرة

* * *

وتنورُ القيعانُ المخبولةُ بالحدق.. تنورُ
تهاوى القممِ الصخرية..
آه.. كم صبغت أمواج الانهار.. دمانا
وتضرجتِ الشهُبُ الرمليةُ
وكسرنا الأطواق
وطوقنا المكسورين
تترامى الراياتُ
تخبُّ الخيلُ
تدكُ الاسوارَ الليليةُ
لم يبقَ سوى الاشلاءِ
الائتداءِ المقطوعةُ
ورميمِ الاجسادِ المثقوبةُ
لم يبقَ سوى الريحِ
الاصداءِ تردُّدها الريح..
تردُّدها الريح..

* * *

وتشرقُ شمسُ بلونِ الدماءِ
تضجُ منها السننَا
ولم يبقَ من أشْئُر. ولم نَسقِه
نَجيعاً.. ونشعلُ فيه اللظى
على الشرق والغربِ.. رأياتنا
ترفرفُ..
فلترتعد.. فلؤل العدى

* * *

ويغرقُ سيلُ الزحوفِ.. الدروب
وتخفقُ بين الضلوعِ.. القلوبُ
وكانت تشير الى «الثالثة»^(١٧)
هي الساعة التي ينهضُ الشهداءُ فيها شباباً..
ويرتعشُ الحلمُ بين الجفونِ
سلاماً.. رفاق الطريقِ
سلاماً.. «بكين»

بكين ١٩٧٩

(١٧) الساعة التي أعلن فيها ماوتسي تونغ ميلاد الجمهورية الشعبية الصينية بعد انهيار حكم
الاباطرة في «تين أمين» ساحة السلام السماوي في بكين عام ١٩٤٩.

رحيلُ الحُلُمِ..

«رحيلُ نصيرِ السَّمَاوِجِ.. فِجِ عَمْرِهِ الرِّبِيعِجِ»

هَدُّ حَيْلِي مَصَابِكُ الْجَلَلُ
كَيْفَ أَقْوَى وَثِقَلُهُ... جَبَلُ
تَرَأَى رُؤَاكَ أَنَّى التَّفَتُّ
وَحَيْثُ انْتَقَلَتْ... تَنْتَقِلُ
أَهُوَ الْعَدْلُ مَسَّهُ الْحَبِيلُ
أَنْ أُطِيلَ نَوَى.. وَتَرْتَحِلُ ! !
يَا غَرِيباً عَدَّتْ عَلَيْهِ اللَّيَالِي
وَعَرْتَهُ الْخَطُوبُ.. وَالْعَلَلُ
مَوْحَشَ لَيْلِكَ الطَّوِيلُ تَنْظِي
فِي دَجَاهِ الْخَوَاءِ وَالْمَلَلُ
لَا أُنَيْسُ يَضِيءُ بِسَمَةِ حَايِ
يَا وَحِيداً ضَاقَتْ بِهِ الشَّبِيلُ
أُمِّيُّ الْهَوَى.. وَلَا أَمَمُ
وَمِثَالُ الْعَلَى... وَلَا مُثَلُّ !
أَطْفَأُوا نَارَ أَمْسِهِمْ وَاسْتَبَاحُوا
هَدْرًا... مَا أَشَاعَهُ الْأَوَّلُ
وَتَمَادَوْا غَتًّا.. وَمَا عَدَّلُوا

أُتْرَاها الدنيا - تعاليت كِبراً -
تتلطّى خناً.. وتستفلّ!

* * *

فارغَ الطول، يا جميلَ الحيا
يتمشّى في بُرده الحَجَلُ
وريب الصمتِ الحَيِّ، تناهى
في حجاهُ الكمال.. يكتملُ
عاشقُ/ التاو^(١).. أي سِرّ تملّى
عمقُ ما ترتوي... وتنتهلُ
فلسفِي السَّجَالِ، والعمُرُ زهُوُ
لِدُن العودِ، أخضرّ.. خضلُ
ونجى الأوتارِ مَسّاً وجسّاً
يسكرُ الليلَ لحنهُ الثملُ
يا لقيثاركَ الحزين تصدّاً
وتغشّى أصداء، السَّلَلُ
عبقري الخصالِ خُلُقاً وخَلَقاً
مجمعت في خصاله... الخِصَلُ
يا الثلاثون^(٢)، والرحيلُ عجولُ
لاهتِ الخطو، والردى عَجِلُ
ما التبقّى؟ وهمّ يصانغ وهماً

(١) التاوية: الفلسفة الصينية.

(٢) الثلاثون - عمره الربيعي.

بؤس ما يُرتأى... ويحتمل
طللُ يومنا، وهل ثمَّ أمسُ ؟
طللُ محضُ أمينا.. طللُ
عطلُّ.. والريغُ يزهو ويخبو
أريجُ.. خريفهُ العطلُّ
يا شفاهاً.. جفَّ الرضا بٌ وشاها
فوقها اللاعساتُ والقبُلُ
وبقايا صدى حبيبين... مرًا
قبلَ ألفٍ.. وأسدلَّتْ سدُلُ
همهماتِ الرياحِ من وُلدوا
وأديمُ الترابِ من رحلوا

* * *

يا بهياً.. ملءَ العيونِ تهادى
حيثُ يغدو تَضْمُهُ المَقْلُ
ألقُ الروح، يا حميمَ السجايا
مثلُّ.. حيثُ يُصطفى المَثَلُ
وجهُكَ السَّمْحُ، كلما مرَّ وجهُ
يتضوى صباً.. ويشتعَلُ
غام في أدمعي، وخوضُ نصلِ
في دمائي، وكسرت.. نُصْلُ
أهو العمرُ - بعد عينيك - عمرٌ ؟ !
ما تبقي من عمري.. الوشْلُ
كنتُ لي المرتجى، ودُفءُ ابتهالي

ضاع ما أرتجى.. وأبتهل
جئت حلماً.. ورحت حلماً رقيقاً
جرحك الجرح.. كيف يتدمل

بكين ١٩٩١/١١/٥

وخببت نجوم الليل.. وأنطفأت..
وأنت ولا صدك !

عامٌ يمُّ ولم تعد
وكم انتظرتك أن تعود..
يا قامةً في الريح
يا جرحاً يزر الصمت خلف قميصه
كثيراً.. ويسكنه الرحيل
نأت الدروب نأث.. وأنت ولا صدئ
وخبث نجوم الليل وانطفأت.. وأنت ولا صدئ !
لم يا الغريب وأنت برعم زهرة
وندى ربيعي.. تغضن عمرك الوردئ
زنبقةً توشحها الرماذ
كم مرةً هبط المساء
وأنت يا الطفل المعنى يستبيك الليل
ترحل في ارتعاش الحلم
والغيب الموشى بالتمائم واحتضار الماء
يا الظمأ المعتق في السراب.. وللسراب
لم يبق من ظلّ تعاقه
ومن ظلّ تغادره
سوى ما اربد من ألقى الخريف

سوى ما اسودَّ من ثلجٍ يكفّن ليلةً المنفى وحزنَ الذاكرة
ما أنتَ بعدُ ؟

وأنتَ ترفعُ فوق ناصية الطريقِ
كفأ.. وقبعة.. وتستجدي الوطن..
ماءٌ يثُنُّ من الظما.. وصدىً تقطَعُ في السهوبِ
لا الشرقُ ما أملتُ.. نافذةً الحصارِ
ولا الطريقُ إليه يفضي لاشتعالِ الجُلنانِزِ
دار الزمانِ فلم نجدْ حمزَ الجرارِ.. ولا الجرازِ

* * *

لا صوتٌ يطرقُ بابكَ الليليِّ
وحدكُ في عراءِ الريحِ
ترسمُ غيمةً.. قمرأ خريفياً، رحيلُ العشبِ
والسحبُ ألتغادرُ ظلها
والليلُ رملٌ..
لا فجرٌ، لا الغيشَ النحاسيَّ.. الصدى ينادى
رماداً بارداً.. والصمتُ ليلٌ
وكنْتُ تخشى الليلُ
موتَ الصبوثِ
ظِلُّ الموتِ
كم ناديتُ مَنْ رقدوا، ومن سهروا
ستقتلُ في مكانٍ لا زماناً لهُ
وترحلُ في زمانٍ لا مكاناً لهُ
ومُدَّ عشرينَ عاماً، كنتُ مقتولاً على مهلٍ

تخاطفَ عمرَكَ الغادرونَ من ملح الی.. وَحَلِي
ومِن أَمْسٍ تشرَدَ فوق أَرْصَفَةٍ.. وَأَسْئَلُهُ.. ومنفَى !

* * *

لتبتدىء النهايةُ.. أي عُرِي يرتديه العرِي..
ما شَعَّ الظلامُ..
وما توَهَّجَ في سقوفِ الطينِ قنديلٌ
ولا انفدَّ الرخامُ
يا أيُّ حلِمٍ للهباءِ
وأَيُّ غاشيةِ الكلامِ
وأَيُّ صحراءٍ تخفُّ بها الظلالُ
ويستخفُّ بها السرابُ
ومُدُّ وِلْدَتِ.. ومُدُّ أُنثَى
وأَنْتَ أَسْبِقُ للمنافي
مُدُّ تَشْطَى الموثُ
لا نجمُ السُرَاةِ صَوَى الطريقِ
ولا التَوَشُّلُ من ثَمالاتِ الأغاني
لا التَرَسُّبُ من دماءِ في العروقِ
ومُدُّ تَكْسِرَتِ اللغاتِ
ترمدتُ أُمِّيَةُ الجَمْرِ العتيقِ
فلا رَفِيقُ الأَمْسِ.. شاةٌ ولم يعدَّ وجةَ الرفيقِ
ولا الطريقُ.. هو الطريقُ

* * *

ما كانَ أجدى، والنجومُ الحمُرُ تشحبُ في ليالي الصينِ
أن تئأى.. وتحملُ ما تلطى من صليلك.. ما تغشاكُ الحصارُ
عاد المغولُ القادمون مع الغبارِ
ومن تجاعيدِ الحريرِ

حرائقِ الأفيونِ
أشباحِ السنينِ الصفرِ.. ما عادَ الجدارُ
يا صينُ.. باباً للسماءِ
كلُ المفاتيحِ استباحثَ يومكِ الأُممِيَّ
مُذ عاد المغولُ مع الغبارِ

* * *

جسدي تقطعُ في الرحيلِ
وفي سدِيم الليلِ
تشحبُ في دمي الأصداءُ.. والأضواءُ..
وامتدَّ الحصارُ.. الى الحصارِ
حتى تخومِ الأرضِ
سقفِ الأرضِ
كم ناديتُ، والأبوابُ موصدةً.. ولا أحدُ
مسجى في فراشِ الموتِ، قبل الموتِ
سال دمي.. قُتِلتُ..
والأبوابُ مشرعةً.. ولا أحدُ
سوى رجعِ الرياحِ
سوى.. رجعِ الرياحِ

* * *

دمه يغادر صمته

من يسمع الصوت الخضب في دماة ! !
رحل الغريب.. دماً يهزم في سماء الأنجم السوداء
والأستار مسدلة.. ولا أحد.. ولا أحد
سوى.. رجع الرياح

* * *

أنا يا الشهيد..

تنام في جفني.. وتنهض في الصباح معني
تحدثني عن الشرق المولع في مرايا العتيقة.. في الرحيل
الى الينابيع الخفية.. تشعل الأصداء في عينيك وجدّ السحر
لا يرقى الكلام الى أعاليه.. وخمر الصم
صوت البوح.. صوت الماء
أجراس الصدى، مختومة أصدائها
ولطالما.. شاة الكلام..

يا ابن اللغات الخمس يا ابن الفلاسف
مشرقاً ومغرباً في كُنْهها، في عتمة الأيام..
يسفر الصم، يسفر الريح، والصدى المعتق في المرايا
في تجاعيد الظلام..

حلّم يلملم ما تكسّر من شظايا
من تباريح الصدى المسكون بي
جرّح تسعّر في دمايا

* * *

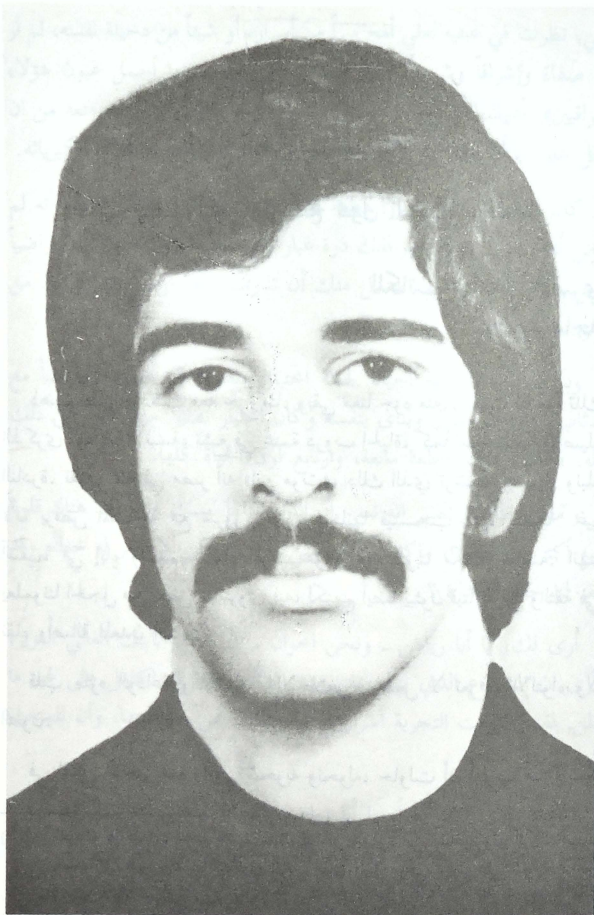
تنأى.. فلا تعلو السماء
ولا تطلُّ نجومها
لا أرض لي في الأرض.. لا ظلُّ ولا شجرٌ
هي الأيامُ أصداءً.. وأشباحُ
دروبُ الليلِ والهةً.. تنُّ الرِيحُ. لا قمرٌ، ولا مطرٌ
سوى ما اصفرَّ من ورقِ خريفي، وناياتٍ مجرحةٍ
وللصبواتِ شوقُ العشبِ للماءِ المُسجى في الضفافِ
ظماً السرابِ، وللندی بردُ الرماذِ
ومذُ أتيتَ نُذرتَ للعطشِ العتيقُ
وللرحيلِ، ولاغترابِ الدمعِ، يا المنفي.. سنبلَةٌ دَوَتْ
وتغربتَ عن مائها وهوائها..
عادَ الصدى.. عادتْ رسائلنا من السفرِ الأخيرِ
عادَ المدى كِسَرَ السرابِ..
رحلَ الغريبُ
ماءٌ يُعْنُ من الظما.. وصدىٌ تقطعُ في السهوبِ

* * *

عامٌ يمرُّ.. ولم تعُدْ
كم مرةً هبطَ المساءُ
لا صوتٌ يطرقُ بابي الليلي
وحدي في عراءِ الرِيحِ..
كم ناديتُ مَنْ سهرُوا.. ومَنْ رقدوا

ولا أحد.. ولا أحد
وشرذني الصدى.. ولا أحد.. ولا أحد

١٩٩٣



شهادات (*)

ذهب لك الغروب وحده متذرعاً
في كبرياته.. وارتفع فوق الحياة كلها

للكاتب التقدمي المصري
محمود ماجد

ذهب نصير، وذهب معه جزءٌ منا، وبقي معنا جزء منه.. بقيت لنا منه تلك
الذكرى اللطيفة الأنيسة، تشع في عتمة دروب الحياة، كما تشع الماسة الأصيلية
النادرة. نقول عنه في مصر أنه «ابن موت»، ذلك الذي ترشحه سجاياه ونبله
لأن يرفض المصالحة مع شرور الحياة وسيئاتها فينسحب منها متعجلاً غير
أسف، في إباءٍ وشمم. لأبناء الموت هؤلاء في قلوبنا مكانة خاصة. انهم
يعلموننا الخجل من بعض ما نتروى فيه، لكنهم أيضاً ييثون فينا الأمل والثقة في
نقاء وأصالة المعدن البشري.

قلب ملؤه الوداعة والسماحة والإخلاص، ونفس لا تعرف الإلتواء ولا
التلون.

في لقائي الأخير معه راعني شحوبه ونحوله، حاولت أن أقرب منه فابتعد

(*) القصائد والكلمات التالية هي لأصدقاء الراحل (نصير) ابن الشاعر، وقد أثر الشاعر أن
يضمها إلى ديوانه لتبقى كذكرى للحلم الذي رحل. وهي تؤكد على شغافية الراحل
ونزعة الانسانية.

الناشر

عني، نظرت في عينيه لعلني ألمح سرّاً من أسرارهِ أو شيئاً من دخيلة نفسه، لم أر إلا صفاءً وإشراقاً وشجواً خفيفاً. وقلت في نفسي «ما أجمل عيون هؤلاء العراقيين». أدرك الآن انه عرف ان طريقنا غير طريقه، وان حياءه منعه من ان يتقل علينا بالأم الوداع، وهكذا مضى الى الغروب وحده متدرعا بكبريائه.

كان نصير، يا أبا رياض، قطعة منك رجلاً وموقفاً. وأنت تعرف أنه لم يرض أن تلتحق بك ولا بمواقفك ذرة غبار ولو متوهمة، وانه دفع الثمن راضياً وأحسبه لو كان بيننا لما احتمل منك أن تذرِف دمعة أو يمر بك طائف من الحزن.

ولكن الإنسان تأتيه أحياناً لحظة اختيار صعب: إما أن يتحول ذئباً مع الذئاب، واما أن يعتزل ويتأى بنفسه وكان اختيار نصير حديداً دفعه الى ذلك نبله، فكانت عزلته قاطعة مانعة، وارتفع فوق الحياة كلها.

وكان خطأ من نصير انه نسي ان الدنيا كلها ليست ذئاباً وان هناك قلوباً تحبه أكثر من نفسها، واكثر من أي شيء آخر. ولكن ألا تغفر له خطاه وقد غفر لنا خطايا كثيرة؟

أرى لك، يا أبا رياض - ونحن اخوان - ان تفتخر بابنك الغالي العزيز، وأرى ان المشروع الذي بنيتهُ على مدى ثلاثين عاماً قد اكتمل على غير ما تظن. لقد استوفت التجربة أسرارها، وتمخضت عن خلاصتها، وأن للمتعب أن يستريح.

ولكنني أرى لك أيضاً، يا أبا رياض، ان تحزن على نصير الذي فقدناه معك، ونحزن عليه معك، ونذكره دائماً معك. ولكن ليكن حزنك - كما كان نصير - حزناً هادئاً وادعاً جميلاً، يدعونا الى الحب والغفران، حزناً لا يدمر النفس بل يجعلنا نقلب صفحات كتاب الحكمة، ونفتح صدورنا وقلوبنا

للدنيا والناس، كشمس الله التي وصفها المسيح بأنها تشرق على الأشرار والأبرار.

قلوبنا معك ومع أسرتك، وانتم ذقتم حلو الحياة ومرها وتصلبتم في منعرجاتها العنيفة. وهذه كأس شديدة المرارة فلنشربها في ذكرى نصير التي سنتطوي عليها قلوبنا ما بقيت لنا حياة.

بكين ١٩٩١/١١/١٠

كان نصير.. كتاباً سحرياً غامضاً

خليل موسى (*)

سنوات طويلة عشتها في (بكين).. حملت أعذب وأرق الذكريات مع
نصير..

كان له من الربيع ألقه، ومن الفجر نداءه، ومن البحر عمقه، ومن الصخر
صلايته.

كل المعاني السامية الشامخة تجسدت به، وكنْتُ أجد فيه تناغم الطبيعة
وتجانسها، واصطراع المشاعر والعواطف. بين الثورة والصمت

كان نصير كتاباً سحرياً غامضاً، يرحل المرء في هدوئه الى بحار لا
شواطئ لها، ويغوص في صمته الى كنه الأشياء.. وجوهرها..

أخي أبا نصير.. منذ عرفتك وأنت رمز العطاء لقد منحت وطننا كلما
استطعت.. شبابك.. وفلذة كبدك.. وما تزال تبحث بعد هذه التضحيات عن
شيء تهبه لنا.

١٩٩٢/١/٨

(*) استاذ اللغة العربية في جامعة بكين.

مرثية.. «نصير السماء»

هادي العلوي

عنا مغيباً يا «نصير»
يا طائراً نفته القصور
نرتوي حرفه وعش صغير
والسفارات للبغياء نذور
النفط دفاقة وفيها تغور
حانيات وأنكرته القبور
رحمة الخلق واستجاش الضمير
كوكب الصبح والشعاع الغزير
وسرب الحمام جنّ وحوور
عين بغداد حول قبرك سور
وهي في الصبح موجة وعبير
البحر يزكو به ثراك الطهور
إنما الموت طائر مسحور
ويبقى في الشاطئين الهدير

قدر جائر لعيرك ان ترحل
يا شريد الحرمان في وحشة العالم
هان فينا الطموح سطر كتاب
والمقاصير للكلاب ظلال
وبحير الرمال تجري سيول
يا غريباً غدت عليه السوافي
نور (التاو) (*) في تراه وماجت
وتلا آية الشباب عليه
وتطير الحمام حولك أسراباً
لم نشيعك بالدموع ولكن
رفرفت فهي نجمة في دجاها
ساربات وإن بُعدن كملح
سائح الأرض ! لم ينم في سراه
تتلاشى الدروب مثل فقاعات

بكين ١٩٩١

(*) الفلسفة التاوية الصينية وكان الفقيه ملماً بها.



الحارس

الى روح صديقي نصير السماوي

آدم حاتم

هكذا - بعد أن مات الغريب -
وَجَدَ نَفْسَهُ إِلَى جَانِبِ الْوَرْدَةِ
وَرْدَةٌ بِيضَاءٍ
عَالِيَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ اللَّهْبِ
إِنَّهَا الْغَوَايَةُ الْمَجِيدَةُ
مَنْ أَجَلَ أَنْ يَبْقَى الْغَرِيبُ
يُحَرِّضُهَا بِعَيُونِ الشَّهَدَاءِ
يُغَيِّرُ رِيَاخَ جَمَالِهَا
يُدَوِّنُهَا فِي « كِتَابِ النَّارِ »
أَوْ يَرْسِلُ إِلَيْهَا الْخَطَابَ الْخَفِيِّ
لِيَفْكَ أَسْرَارَ وَحْدَتِهَا
وهي الوردة - البلاد العالية بين النجوم
الوردة الملتائة بالنور
حيث لا أحد يعقد معها الوعد
سوى صمت الغريب الساهر
تحت قناطر الخراب
الشهيد الذي اعتادته ذاكرة الحروب

الى مقاطعات الليل والزوال
هناك، في ذلك الوطن المجهول
لا يستطيع القتل ان
يرحل نحو الجنوب
انه يستطيع ان ينادي البلاد
التي شرده صغيراً
ينادي الوردة
العالية كبرج من اللهب
يبعدها عن تلك الطرقات
التي خاض غمارها ذات يوم
يبقى تحت جلالها
حارساً
مخلصاً
يقتفي آثار النبوع
الذاهب اليها أبدأ

دمشق ١٩٩٢

قصائد للرحااص.. قصائد للمطر

١٩٧٣

وانت الضحى أثبتت وانت الضحى.. ستأتني

«سيتحول الكثيرون ممن عاشوا الرعب.. والاضطهاد، الى مقاتلين.. وسوف
تتبدل وجوههم».

الكاتب الفيتنامي نغودين

وماذا؟.. لو أنّ الشراعَ يشقُّ الأعاصيرَ
وما كنتُ مستوحداً
ونحنُ وراءَ المتاريسِ.. قامائنا كالرماح
وفوقَ الزنودِ لهاثُ السلاحِ
هو الجمرُ لم ينطفئْ بعدُ
تاللهِ كُنّا الرجالَ
وإنْ شردتنا الفياضي
وان اغرقتنا السيولُ
وجدرأنا العريُّ.. والطينُ
ولكنها الرياحُ التطوّحُ.. أحصِنَّةُ
تحمحمُ بينَ الأعنةِ والشمسِ.. والطلقةِ العاشقةِ

* * *

ربما الليلة.. النجوم التي اطفأتْ وهجها
ستشهدُه واقفاً يموتُ..

وعيناهُ نَسراً، تجوُّبُ فجاجِ الدجى
ربما اغتيل.. قبل أن يشهد الصباح الأخير

* * *

متى أيها المثلث بالصمت.. والوعود العجافُ
خبا وقدّها.. نخرتها «المناشير»، و«الجملُ الثائرة» !
ولم تتعدَّ المسافة بين الصدى، واغترابِ الصدى
وللريح.. والرمل، والطقوس العتيقة !
أعودُ الملاجئُ سرِّيَّة !
والشفاهُ الغضابُ مطبقة !
والعراقُ الحزِينُ يعشقُ في سرِّه الماء.. والبندقيةُ
أيها المارِدُ المسوّرُ بالبدو.. مثلما تستديرُ حولك أفواهُ بنادقهم
أقيمُ حولهم..
وكن مرة.. مرة، شجراً للحرائق
غابةً للبنادق
انها الثورةُ الابجديةُ في البدء
ان يكون السلاحُ منشوركِ الأول،
الخطوةُ الضد..
ومن أين تبتدى الخطى
ومن أين تنتهي الخطى..
ويغدو - الزمان - المكان - هما..

* * *

اما يستريئك ان يطرق الطارقون

- للمرة الألف -

أبوابك المُشرعاتِ على الزيج

وهذا الذي انتهيت إليه.. وكنت السماء

فلست العشيّة رمحاً.. ولست مئذنةً

وما كان لي لغة الوهم..

والساحة التي شهدتك تغسلُ مديتهم !

هو الزمنُ الرملُ..

والدماءُ تغسلُ قتلاها !

الوجوهُ التي غرُبت.. في الهزيع الأخير من الليلُ

والوجوهُ التي وُلدت في ارتعاشة العَبَشِ الأزرقِ

بين دماءِ الرحيل.. وموتِ الأجتة في الرحم

وبين شحوبِ الصدى..

تقولُ الرياحُ التي سَفَتْ

والرياحُ التي ستهبُ

مباركةً دماءَ الرجالُ

هي الجهشةُ النازُ.. للسلاخ

هو الطوفانُ الحريقُ.. ينكسرُ الصمْتُ

يهدرُ الكونُ لو تملمت.. ايها النسر

وانتِ القصيُّ

وانتِ العصيُّ

وانتِ المؤصلُ والفرعُ

وانتَ التَّوَهُجُ.. والجمُرُ
وانتَ الذي أتيْتُ، وانتَ الذي ستأتي

١٩٨٣

تداعيات.. في ليلة الاعدام

ما بين الأبواب المسكونة بالريح.. وبين الصمٹ
تنشطى اللحظاٹ الثكلى
تحفر في شفئك.. وهمس يديك
لا تغسل ايديهم..
ستهب رياح النار.. تفور النار
ترتج الأصداء المقتولة.. في الريح
تشرق شمس غد.. أو لا تشرق
أتزى شلوا أزرق
عيش أسود
عيش أصفز

* * *

يعبر بي.. وجه أبي المكدر الاسمز
كان أبي حزناً وعموناً ليلية
وفماً مزموماً، ويدا تحمل خبزاً
صمناً أحمز
صمناً أسود

* * *

عيناها.. حناء حمراء
ويداها.. مسبحة سوداء
وشموع نذور
شمع احمر
شمع اسود

* * *

تتهاوى الجدران..
القمر الاحمر، وهج دمي
غيش احمر
مطر احمر
مطر.. مطر.. مطر.. مطر.. ز

١٩٨١

١٦٢

سقوط عرش الطاووس.. وصعود الفارس الشيخ:

وَعَنَيْتَ.. «شِيرَازَ» احلامها

سلاماً.. هو الفجرُ يشرقُ فوق الذرى
لهيبُ الدمِ المستباحِ يشقُ القبورَ التي كتمت سرّها
فما نورتها الشموعُ، ولا دثرتها الأكاليلُ
غير نواحِ الثكالي
وحزنِ السيوفِ تلوذُ بأعمادها
وغير اصفرارِ السهوبِ، فلا همهماتُ الرياحِ.. ولا رعشاتِ المطرِ
هو الليلُ، موثُ القناديلِ، بين انطفاءِ الرمالِ.. وذلي الصخرِ
فلول المساءِ الجريحِ، العباءتُ مزمومةٌ
يحاصرُها القتلُ في الطرقاتِ.. الحرابُ.. الرصاصُ
حُطى تتعثرُ، تنأى.. تدور
وما بين ان تبتي المسافاتُ..
تفقَدُ أبعادها..

* * *

مرّة.. مرتين، تنطفئُ الرياحُ
يعلنُ الحرسُ الملكيُّ اقتلاعَ الجذورِ.. احتضارَ السنا
مرّة.. مرتين يتردُّ الجمُرُ، ومن أين ؟
تهبُ الرياحُ ثالثة.. عاشرة
هو الومضُ لا ينطفئُ في العيونِ

الدوائر مغلقة، ترسم الحصار
هو الحقد، والسحب الحمؤ.. وجهاً لوجه
هو العنف.. يلوي به العنف
وكم أخرست صرخات الغضب
وكم اطفأوا رياح اللهب
هي اللحظة التي ان تكون
او لا تكون...
هو الوجد والعشق والحريق الأخير

* * *

لك المجد.. طهران.. انها البندقية الطريق
وكم اصحرت لياليك.. غير ريس الصدى
والمصايخ شاحبة
يرسم الشارة.. السيد الولي
فارسك الشيخ.. يرتدي قميص الدم.. السلاح.. القضية

* * *

سلاماً.. هي الكلمات.. النداء ترتج مسحورة
توحدت أيها الشيخ والسلاح
وعدت مع الفجر، والراية الناز
وغنيت «شيراز» أحلامها
آه.. كم هفت اليك مؤرقة تحمل النور
ويغدو التساؤل، بين الطريق الى الشمس
ومنحدر السيل بين اشتباك الجذور

.. الغصونُ تورقُ ثانيةً
قبلَ ان تعصفَ الرياحُ الغربيةُ .. هل قُلَّتْهَا
يطول انتظاري .. وحدي
يطول انتظاري ..
وقد يهجعُ السامرون ..

١٩٨٠

السماوة^(٥) .. والنخيل، والطفولة..

أشْمَسَ الوعودُ تظلُّ النخيلاتُ ظمأى لعينيكِ
يظلُّ الفراتُ الجنوبيُّ جرحاً.. وآةَ انتظارِ
وما بين جفنيكِ راياتُ نارٍ.. وصمْتُ انكسارِ
وفي مسمعيك.. صدى الاغنياتِ على شاطئيكِ لظى وانطفاءِ
وكنتِ لهيبَ الدماءِ
جحيمَ الخنادقِ.. وهجَ السماءِ

* * *

وكنتِ عيوناً على ظلمةِ الليلِ، ومضَّ السنا
شفاها تُزْمُ على هاجساتِ الردى
أيادٍ على الزند، رغمَ ارتماءِ المدى
ويوماً.. وليس كأيامنا!
يعمّد تاريخنا بالدماءِ
وكنتِ سهيلَ الخيولِ
صليلَ السيوفِ، وكنتِ اللظى
هلاهِلَ فجرِ نديِّ الرُؤى
إذا ما تساقطَ (زحفٌ) قُبَيْلَ المسا

(٥) مدينة الشاعر.

تدفق (زحف) قبيل الضحى
وكنيت على كل أفق.. صدى

* * *

هرعت تغسل القوافل - رمل الصحارى
على شاطئيك. وما بين نجد، وبين الفرات
يهوم تحت الهزيع الأخير الحداة
وتترد «الهييم»^(١) تحت لهاث الهجير، وجمر الفلاة
وتصدح قبرة تحت سقف النجوم السكارى
تغامز فوق النخيل العذارى
وملن قبيل طلوع الغيش
قبيل سقوط الندى، وارتشاف العصافير من قطرة.. ترتعش

* * *

زماناً.. ويا (للسماوة) مر الزمان
ودارت ليايه - ولما يزل
صدى خطوه - يتملى السنين
ويعلم أن هنا - دارة الأنبياء^(٢)
وأنتك بوابة للسماء
وبين مخاض الدجى. والضياء
أطل هنا حُلماً عابراً

(١) الجمال.

(٢) إشارة إلى (المتنبي) تنبأ في بادية «السماوة».

تعتق رغم الليالي.. صداة
وكانت سماؤك - همس النجوم.. الرمال، البوادي سماه

* * *

سلاماً.. نخيل «السماء» ترخي الشيعات ظلاً
على وهج رمانة تُعْتَصِرُ
وإغفاءة حلوة في الرموش، وغمازتين، وهمس الخنز
فرائية يتمنى الفرات على قدميها.. يَمُرُّ
وهفهافةً. من بنات النخيل
تكاد على خصرها تنكسر
وزند تمر المرايا به..
لماً.. ومن خجل تنحسر
ولكنها وهج الكبرياء
تعمم هامتها بالقمر
تشد على جمرات الزناد
وتظمي المياة، وتدمي الحجز

* * *

سماوتي.. سماءة النخيل والشمس
من دون أن تدرين يا حبيبي.. أمس
زرتك قبل الفجر يا حبيبي، كالحلم.. كالهمس
جلست تحت سقف بيتنا العتيق
مررت في الدروب والأسواق.. والزمان
يعود بي.. يعود بي..
وعدت ذلك الصغير

تسير بي الدروب، والزمان
يعودُ بي.. تغسلني الشيطانُ !
يُسهرنِي الفانوسُ، والسعلاةُ..
يا حبيبتِي،

وقصّةُ الخطابِ والسلطانِ !
كنتُ تقيراً جائعاً، ولم أزل
عشيرتِي، العراةُ والجياغُ
وكنتُ يا حبيبتِي مضئعاً..
ولم أزلُ في غمرّةِ الضياغُ
عارٍ من الألقابِ. والأسماءِ
أواه.. يا حبيبتِي..

لو تصدقُ الألقابُ.. والاسماءُ !

* * *

وعدتُ قبيلَ انطفاءِ النجومِ
قبيلَ اشتعالِ النهازِ
وفي مسمعي دوي الزمانِ.. ورجعُ الصدى
وفي مقلتيّ دموع.. ونازِ
ولستُ بدارِ غداً قد أعودُ ؟
وقد. لا أعودُ !
ولكنني. كنت - لو تعلمين
هنا.. أتملّئُ طيوفِ السنينِ !
وفي كل دربٍ.. تعودُ السنون

* * *

أبنتَ الزمان العتيقِ ولما يزلُ
يطلُّ على السَّعَاقَاتِ .. القمرُ
يعودُ غداً.. سيعودُ المطرُ
يعودُ.. يعودُ المطرُ

١٩٥٩

الليل.. في بولين

اليوم الحادي والعشرون
من شهرٍ لا اعرفُ ما اسمه !
وزماني الغابر، والحاضر، والآتي
يترائي أطيافاً سوداء، كأنَّ الليلُ
طال.. وطال فلا يُطليغُ فجره
وكأنَّ اللفهةَ صخره
وسهوب القفرِ حجازٍ وسراب
وعبابُ البحرِ قفاً وبياب
الليلُ رماديّ غيمان
أطفأ ومضَّ النجم المتوشح بالموث
.. أطفأ شمسهُ
كسنا بل قمح عطشى
أشباح «قَطاً زُغِب»^(١).. أشباح ضياع
لا تدركُ ظلاً لزمان.. ومكان
لا تدركُ إنّا.. زمان
لزمان ولي.. وزمان
آب.. واخجلي من زمني

(١) أطفال الشاعر... طفولتهم في المنافي.

ان تغرقني مِخْنِي
فاذا جعتُ.. فاني اخترتُ دروبَ الجوعِ
ولأني اطفأتُ بروقاً وشموعِ
ولأني اخترتُ.. فإني ارفضُ ياسي
ألعتها.. إن ملئتُ.. أو فرغتُ كأسي
فأنا في صميتِ الصميتِ.. انا الصوتُ
وأنا النجمةُ في ليلٍ - الموتُ

برلين ١٩٦٩

الصمت

سرقطني السنونُ..

وجهي مُلقى !

بينَ بدءِ المسافاتِ .. والنهاياتِ !

بين ارتعاشاتِ هاجسٍ

لَمَّةُ الصبحِ بارداً..

كصداه البعيدِ

ثمَّةَ لونٍ يضيغُ

بين احضرارِ اللقاءِ

وحزنِ الرحيلِ !

* * *

لم يكن بيننا.. سوى الصمتِ

يمتد بين الدروبِ.. التي اقفرث !

والدروبِ التي ابتدأتُ

والدروبِ التي بعدُ.. لم تبتدىء !

ربما.. يسقطُ الفراغُ الذي بينَ بينِ !

ربما يُزهَرُ الحديدُ.. في الزمنِ القشِ !

ربما تُعلنُ الحقيقةُ بين المراثي.. وبين اغاني المهوِّذِ !

أن ماءَ الصخورِ، ينسابُ في الصمتِ..

يشرقُ الضوءُ في الزُرَيْقاتِ
دونما نأمة.. أو صدى !

* * *

ربما اعبرُ الجانبَ الذي.. نتقابلُ فيه
ربما نتقاطعُ.. أو نتوازي !
ولكنها الدروبُ المنافي !..
تمرُّ الرياحُ بها..
فلا تفرقُ الموائءُ شطآنها !
والمطارأتُ لا تنطفئُ مصابيحها
ترحلُ المسافاتُ...
تفقدُ المحطاتُ أسماءها !..
وليس سوى الذكرياتِ
ينأى بها الأمسُ..
تذبلُ.. أو تورقُ الذكرياتُ.. ولكنني
لم أغدُ في الرصيفِ المكابرِ.. منتظراً !
فاني انتظرْتُكَ.. أوقدتُ ناري:
فلم تقتربُ.. ولم تبتعدُ !
وكنْتُ اناشُدُ في بُردِكَ الكبرياءِ..
وصمَّت الخلايا الجريحيةُ
بين اللحاءِ.. وبين الشجَرِ !
وها أن جذورَ النخيلِ عاريةُ !
والبيارقَ مطويةُ !
والمناشيرَ تولدُ ميتةُ !

ولم تبق نافذة.. تطلُّ عليك !
وكنت كما كنت !
برقاً... ولا مطرُ !

* * *

في المساء الضبابي
يرتحلُ العاشقُ الأخيرُ !
وقد رحلَ العاشقون..
وما عادَ منهم.. احدُ !

هو الوهم

هو الحلم..

في شباكِ الرحيل يسقطُ في الطرقاتِ الزمانُ
ويستأنفُ الشوقُ أحلامهُ الحبيبةَ بين نافذةِ الزهورِ
وبين العيونِ.. وراءِ خطى معدنيةَ
تتقاطعُ بين الجدارِ الزجاجيِّ
والمزنيةِ العابرةِ

* * *

وتبقى المصاييحُ هائمةً
لونها لونُكُ الشاحبُ المتوجشُ في الليلِ..
كم غَسَلَتْهَا الشَّايِبُ.. قطرةً.. قطرةً
يهبطُ الدربُ الى الظلِّ، والعطيرِ، والملتقى
* * *

في الأماسي الغريبةِ
بين ارتعاشِ السَّنا، والمقاهي المضئية.. عروني، ودفءِ
يرتدي النهارُ معطفَهُ
وتمتدُّ حُضْرُ العيونِ في غابةِ الصمْتِ
يسقطُ الندى..
تركضُ المرايا الصغيرةُ في النهرِ

يهجع العشبُ
تقرعُ الكنائسُ .. أجراسها
ثم قبرةً .. تعشقُ النُجيماتُ
هو الوهمُ .. يأخذني منك !
هو الحلمُ .. أن نلتقي اليوم ولم نفترق بعد
أن في العشقِ نكهةً
ربما كنته .. حُلماً عابراً
جريحِ الصدى
ربما جئت في الزمان .. الذي لم يُفتَ بعد فيه الاوانُ !
ولم تكنهَلُ بي السنونُ الثلاثونُ
وماذا أقولُ معترراً ؟
قد وُجدنا معاً !
وماذا لو اسطعتُ
أمنحك الوجدَ مُحترقاً
كل يوم .. هو السؤالُ ..
البدايةُ التي ترتدني
النهايةُ التي خَلعتني
يشهقُ النداءُ الحزينُ
يصرخُ .. أو يتداعى
ربما كنتِ محمومةً الشفتينِ
فلا ينطقُ الوهجُ في مُقلتيك
سوى الصمتِ والنظرةِ الساهمةِ

* * *

في المساء النديّ. تنأى المسافات والأزمنة
قَدري العشقُ والرحيلُ
فأَيُّهما كان لي ؟

* * *

يا لجمالُ الشريدُ يحرقني الحزنُ
والنجوم التي سَطُفأُ في مقلتيكُ
مَنْ تُرى ؟ يَجْتلي الحلمُ
مَنْ تُرى ؟ يَعشِقُ الوهمُ
مَنْ تُرى سَيُجِرُّ بينهما ؟

باريس ١٩٦٥

بأرييس... صيف ١٩٦٨

أتيتُ.. وقد خمدت جذوتي
اليك فما تستبيني البروق
وكل مشوق غدا بارداً
خبا فيه وَجْدُ المعنى المشوق
وما راق بالأمس في خاطري
غدا طللاً موحشاً.. لا يروق
ثلاثون عاماً عرفنا بها
جحيم الافول، وبؤس الشروق
سقيننا الزمان، بإيثارنا
وعدنا نُجْرَع كأس العقوق
بأروع ما يُسرفُ الباذلونَ
نُديفُ الصبوح لها والغُبوب
أضأناءُ من ومضاتِ العيونِ
وجمر القلوبِ ونارِ العروق
على كل سوط، وارجوحةٍ
تسمر للحقد.. عينا رفيق
أباريس.. والصمت يغتالني
وينكأ بي ألف جرح عتيق
أكذبُ ما تجتلي مقلناي
كأنِّي من حليم أستفيق

ولم ادر.. حتى ارتجاع الصدى
تخازس في قعر واد سحيق
أباريس.. عفوك أن الهشيم
ستلفحه جاحمات الحريق
أباريس.. إن حساب الطريق
طويل.. وإن طال هذا الطريق

باريس ١٩٦٥

اغنية.. لك كوبا

«الى بطليها الثائرين على مشارف
الامبرياليين.. كاسترو - غيفارا»

يا حانة الليل اشربي من دمي
من أدمعي، من سغبي المُعَدِمِ
ما أنتِ ان لم تتقدّ شهوةً
محمومةً بالشَّبَقِ المُضْرَمِ
الا احتضارُ الریحِ في خففةٍ
لم تشتعل بالقَصْبِ العلقمِ
ان لم تذرّيه بأجفاننا
طيفَ سناً ملوّن الأنجمِ
البحرُ، والجازُ على موجهِ
ينكسرُ الحَصْرُ على معصمِ
يا زهرةً من الفِ صدرِ هفا
يرضعُ من صدرِ لهيبِ الدمِ

كوبا (الرومبا) الليلُ الأسمُرُ
كأسُ يسهرُ، نجمُ يسكُرُ
كوبا (سيجاز) دمُ أخضرِ
كوبا عسلُ القصبِ الشكُرُ

* * *

من أين شق الصمت هذا النداء
وأضرم الأفق وهزَّ السماء
أتوقدُ الشمسُ عيوناً حُبا
في ليلها الأسودِ ومضُ الرجاءِ !
أثشعلُ النيرانُ في موقدِ
نامَ به الوهيجُ، ومات الفداءُ ! !
أتعصفُ الريحُ، وهذا الشراخُ
خيوطه مشدودةٌ بالفناءِ ؟ !
بالموتِ، بالظلمةِ، يا هزةً
ألقت على الفجرِ سنا الكبرياءِ
كوبا البحرُ، الصمتُ الأربدُ
كوبا الغابِ، الدربُ الموصدُ
كوبا العريُّ، الخبزُ الأسودُ
كوبا الموضُ، السرُّ المُجهَدُ

* * *

جبالُ (سييرا)^(١) وحقْدُ السلاحِ
والنارُ، والرايةُ، والثائرونُ
كانوا... وكان الغابُ سقفاً لهم
والنجمُ همسٌ في خطى المدلجينُ
الصخرُ، والجوعُ، وظلُّ الردى
لكنهم كانوا هنا يولدونُ

(١) منها انطلقت الثورة الكوبية.

لم تشربِ الظلمةُ اجفانهم
وما أصابَ اليأسُ عزماً يلينُ
كوبا الناؤ الفجرُ الأحمر
كوبا لَهَبٌ، قيدٌ يُكسر
كوبا الشعبُ، السلمُ الاخضر

١٩٦٢

رحيل ناظم حكمت..

أمس التقينا^(١)، وظلال الأسي
يخنق زهو الشفة الذابله
وفي اليد المجهدة الناحلة
اغنية تحدو بها القافلة
لكن في عينيك أصداءها
يمور فيها غضب «الدرديل»
من أمس (اسطنبول) أمس البعيد
مما انطوى من ليل (عبد الحميد)
والقرن، والسلطان، والواعظين!
وكنت.. يا طارق ليل العبيد
تدور بالأسوار باباً فباب
تدقها.. فلا ترد الجواب
كانت هنا المدينة الميتة
أحجارها من أضلع الجائعين
أنهارها من أدمع البائسين
حتى سكبت اللحن فوق اللهب
فوق دم الثأر، وناير الغضب

(١) أول لقائنا فوق جدار الصين ومن ثم في مؤتمرات السلم العالمية في فيينا وموسكو وبودابست..
ظل صديقاً جليماً رفيق المنفى والمصير والحلم الانساني الكبير.

كتبته للسفنِ الراحلة
عبر الموانئ.. للغد الأبعد
للمجهدِ الأبيض والأسود
للجوع، للشقاء، والسهاد
للتائر القتيل في بغداد
رددته للنار في (بورسعيد)
وأنت تدري أنّ (عبد الحميد)
يُبعث ألف مرة من جديد
لكنني.. ما لستُ أنساه
ما لست أنساك.. وأنساه
فلم أزل أدورُ بالأسوار.. باباً فباب
أدقها.. أدقها..
ولست أنساه

١٩٦٥

الغاية

هرعتُ أَلْمَمُ جنحي الكسيرُ
وأمسحُ من جفني المُتعبِ
وفي مسمعي لهات السنينُ
يمور هديرًا، وينساب بي
أيا واحَةً الصميتِ.. في مقلتي
رحيلُ الشهيد، وحرزُ النبي
فمن لي ببوحك، سمح الرؤى
وراء اخضرارِ المدى الأرحبِ
كأنني أشربُ خمَرَ الظلالِ
تنوس على حُلْمٍ مُعْشِبِ
تسايبُح من لَمَعاتِ السنا
ودفقُ من السحر لم ينضبِ
ورفة «قبرة» في المساءِ
وأصداء «جندبة» تصطبي
وقد غَمَزَتِ عشبَةٌ عشبَةً
ومالت على أختها. تختبي
كأنَّ النجومَ فُويقَ الغصونِ
أطلتُ هناك، ولم تغربِ
كأنَّ الزمانَ هنا لا يرينُ
تسمرُ بالأبعدِ.. الأقربِ

كأن المدى ها هنا.. أخضر
يطوّح بالمقفر، الأجدب

* * *

أيا واحة الصمت.. ويحّ المنى
كأني هربت.. ولم أهرب
كأني.. وببي حرقه الظامئ
أعبُ الكؤوس.. ولم أشرب
فمن لي بمن يُخرسُ الهاجسات
تعاودن بالأشرس، الأصخب
فلما يزلُ في دماها.. صدئ
يلوّح بالظفر، والمخلب
وأعولتُ الريحُ في يابس
خواء من الغاب، لم يُحطب
وعاد يهومُ في مقلتي
رحيلُ الشهيد.. وحزن النبي

١٩٦٨

«الساقطون»...

وجوهكم ؟ ! يا شحوب السراب
وراء صدى ذكريات تموت
كريح تمزق في الهاوية
كحشرجة الصرخة الواهية
كأنفاس محتضري في الظلام
يضيئ به الأفق، والليل، والعبرون
وتطبق في مقتلته السماء
وتنأى به الأرض والأنجم
وما كان في غده.. يحلم
وجوهكم ؟ !.. وكأن السراب
تساقط عن موحشات اليباب
عن الرمل.. والنيه في لافحات الهجير
وجوهكم لا ترد الصدى
ولا يحتويها ارتماء المدى
سراب.. تغشى صداها السراب

* * *

ولما نزل رغم دربي الطويل
على كتفي الأنجم الحالم
ولما نزل، ألفت وجه يلوح

ويخبو على شفتي الباسمة
ولما يزل.. ما يزال الطريق
طويلاً برغم الدجى والضباب
برغم الدجى والضباب

١٩٦٥

المَجْوَل

اضرب بمعولك الصخورَ غداً.. غداً تنفجرُ
ويهلُّ من خليل الدجى المرئيدِ فجرٌ أحضرُ
ويثرُ سلسلُها النميزُ على الجديبِ.. ويزخرُ
اضربُ فساعِدُكَ الأطرُّ متى يهَمُّ ويثأرُ
ان لم توججِ ومضَ حاحمةً تهبُّ وتندُرُ
جرفُ وراءَ «السور»^(١) ما رزحتُ بهنَّ الأعصرُ
اشباحِ اغوالِ بأطباقي الظلامِ تُسمِرُ
ظلتُ تمصُّ من الدما شلواً.. وشلواً تعصرُ
حتى اذا ما عانقت وهماً يلدُّ ويُسكرُ
مُدت يدُ الجبارِ تعصفُ بالهشيمِ وتنثرُ
وأهازِ يومَ (البيضِ)^(٢) يومَ (اصفرِ)^(٣)
ضوى حنايا الداجياتِ يريغُ وحشاً يجأرُ
وبكل خطوٍ توري الزنادِ وتُسعرُ
غنى (غراموس)^(٤) الدماء.. فدى الكرامة تُهدرُ
ونمت لظاها (الفيثنام) تربُّ عهداً يزهرُ

(١) سور الصين

(٢) الأوروبيون المستعمرون.

(٣) الجنس الصيني.

(٤) جبل الثوار اليونانيين.

عهداً ترامته القرونُ ومخضته الأدهرُ
مدنه (كوموناتُ باريس) تشبُ وتصهر
حتى التوى الفولاذُ، وامتقع النجيعُ الأحمرُ
* * *

اضرب بمعولك الصخور، غداً صباحك يُسفرُ

١٩٥٣

رياح هانوي

١٩٧٣

رياح «هانوجي»

ليثم الجرح، جرحاً في حنايانا
ويدفن الليل - جلّ الليل - موتانا
ماذا لو ان الردى لم يبقِ هاجسةً
فينا، ولا كان يومٍ العار... لا كانا
لا اكتمنك ما هانت لمقتحم
لو لم يهن في نفوس القوم... ما هانا
ما ظل ينخر من خسف، ومن ضعة
من قبل امس.. وقبل الأمس.. لا الآنا
رهن المشيعة، ما شاء الطغاة بنا
كنا نصرف ممانا ومغداننا
كنا نزحزح سلطاناً ونخلفه
بعد انبلاج الغد الموعود سلطانا !
كأما لم نهدم عرش طاغية
حتى نشيد أعراشاً وتيجانا !
كنا نقدر قبل اليوم أوثانا
واليوم نعبد بعد الأمس أوثانا
* * *

ملّ الخواء كيانات موهة
تنداح فوق مهيل الرمل بنيانا

ضحّت بأضدادها، يا ليت مبتدعاً
ضمّ النقيضين، قديساً وشيطاناً
دامت به دولَةٌ هذي دواؤسها
للعالقين بها، فحوى وتبياناً
أحكمةً ان انضاءً ومسغبةً
تُزري.. وتجمع محروماً ومبطاناً ؟ !
ولّى السراةً وفي أشداقهم دُماً
مرأ.. ولم يعد الاقنأناً أقنانا
أتعجبونَ اذا هبّت جموعُهُم
تقارعُ البغي، جلاداً وسجاناً
اني ارى يهُمُ تنجابُ غاشيةً
تجتثُ سامقها جذراً وأغصاناً
حياتهمُ هي ان طالت وان قَصُرَتْ
فلن يفيئوا بها ربحاً وخسرانا

* * *

ماذا أنبيكَ والأيامُ مزجيةً
صبراً على صَرمِ الجُلَى وسلواناً
خمسون عاماً أضعنا في مجاهلها
مما أضعنا مقاييساً.. واوزاناً
وانسلَّ يفتكُ أدنانا بأفصانا
حتى أضعنا البقايا من بقايانا
إننا مشينا على اعقابنا حَقَباً
سوداءً، أجذبَ مرماها ومرمانا

لم يَبَقَ من وطنٍ تلتامَ وحدته
حتى تمزَّقَ أشياعاً وأوطاناً
لكن مشبوبةً تصلي بجاحمها
لم يطفئها الوغد... حاشاها وحاشانا
عشنا لها وقحمنا كلَّ نازلةٍ
حتى تضيقَ بجرحها وجرحانا
ولم تنزل هَبّوات الأفق تصبغها
بالفائرِ الاحمرِ القاني ضحايانا
فكم شهيدٍ دفننا في محاجرنا
وكم جريحٍ ضممننا في حنايانا
حتى تفجّر ليلُ الثأرِ بركانا
تباركُ الشأُرُ إعصاراً ونيرانا
تباركُ الحقدُ ما غارت نواجذه
مُحرقاً للدمِ المطلولِ.. ظمّانا
تباركُ الصمْتُ ما دوّت بنادقنا
ما كانَ أجدرها بالتطق.. ما كانا

* * *

يا فتيةَ الجمرِ كان الجمرُ منكيفاً
تحت الرمادِ، أسير الذلِ أزمانا
حتى خبا نجمُ ليلٍ كان وامضه
سَمحاً يَثيرُ شعابَ الدربِ.. أحياناً
أوقدتموها وما زالت مشاعلها
تجوب للثأرِ آجاماً وودياناً

تنشق عن جَنَبَاتِ الاض صاعقةً
 وترتبي أفتحها جِنّاً وغيلانا
 جئتم ولفح هجيرِ اليأس يلطمنا
 يا شرّ مُنْقَلِبٍ في الغديرِ أردانا
 يا فتيّة الموت، انتم موتٌ فاجرةٌ
 يلوي بمخطمها «الدولار» رنانا
 ذروا بأجفانها ذعراً يُسَهِّدُها
 وغورّوا الرعب، أظفاراً وأسنانا
 كُنّا على الدهرِ أسياداً وعبدانا
 ولم نزلْ بعدُ أسياداً وعبدانا !
 كان الغداء، وكان البذلُ ديدننا
 وكان ديدنُهم نكساً وخذلانا
 يأملهم الصبر كاذ الصبر يقتلنا
 فكم شكونا، فما انصاعوا لشكوانا
 هذي الجموعُ وهل تستطيعُ واهنةٌ
 عزلاء، تكبيحُ يومَ الزوعِ عدوانا ؟ !
 ماذا تصدُّ يدٌ مغلولة كَمَدّاً
 مما تغول «سيناء» و «جولانا» !

* * *

يا فتيّة الروع يا هاماً أُصعِّدُه
 كبراً على نَعْرَاتِ الجرحِ زهوانا

لا تسمعوا قول من ضلّوا ومن وهنوا
ما كان اغناهم عنا وأغنانا
ولّى زمان ضلالاتٍ وفلسفةٍ
كانت تُخْرِجُ للأذنيال أردانا
هذي مواكبنا لم تألُ رابضةً
تصاول الثأر آسداً وعقبانا
يا ريح (هانوي) هُبي في مرايعنا
حمرء.. تلهمنا حِقداً وإيماناً

* * *

ويا نجية^(١) ليلٍ لا يروعها
ان تمطرَ القاذفاتُ الحُمُرَ نيرانا
شَقَّتْ هزيعاً من الظلماءِ يلهبها
دُمُ الضحيةِ أشياخاً وشباناً
وأدجت تتحدى الروع والهةً
كما تولّه خِدْنُ الحبِّ هيمانا
تسقي ظما الرمليةِ الحمرءِ فائرةً
على أديمِ الثرى المسلوبِ.. قربانا
يا أخت (حيفا) وما زالت كواكبها
سُهداً تغايِرُ أحباباً وخلانا
آه على ربواتٍ للصبيا سُلِبَتْ
كانت تُقَوِّفُ نَسريناً وريحانا

(١) المقاتلة.

آه على زورقي في الشمس ملتحف
ساؤه.. يقبلُ أمواجاً وشطاناً
ويا مرابع (يافا) ما يرى دجى
لا بد أن يتحدى الموت... لقيانا

١٩٦٩

الرياح السوداء

لا الحقد، لا الهجوُ الذليلُ مثيري
- عفو الكرامة - لا ولا بمُضيري
أيروزني نفرّ تعرّى امسهم
عن كيدٍ منتهزٍ، ومكرٍ أجير ؟ !
هذا الهجين وذاك يا لهزّالها
ان تدعى شرفاً دعى الماخور ؟ !
أَوْ كَلَّ منهاضِ الجناحِ مُنْتَفِ
يستامُ رَحْمَ أجادلٍ وصقور
من تسامى الخزي عن اسقاطهم
أنضاء اجلاب، ومسخُ فجور
وبأننا ادري لأني ملقن
ولاي عرق ينتمي، وعشير
وبأي احضانٍ يلوذُ، ويرتمي
ولأمرٍ أي (سفارة) و (سفير)
ولأي منزوع الخالبِ يصطلبي
شرراً، وأي مسلطٍ مدحور
من كل ممتشقٍ (يراعاً) خابطاً
قذراً، يديفُ «بجيرها بعجير»
و (صحافية) ما ضارعتها حقبةً
ولّت، بعهرٍ ولائها المدثور

في كل اصباح تنوء بعارها
 كضميرها المنخور، سوذ سطور
 تجتئ ما اعتاد الزنيم شباتها
 هذراً، كشأن الفاجر المكور
 ريح الزقاق، ولم يزل متنفجاً
 تُفاحها، بلهائه المبهور
 أو هؤلاء يُؤَلَّبون كأنهم
 معزى تلز بقرنها المكسور
 ولن تمدى الارذلون، وأوغلوا
 في الدس والاجرام والتزوير
 وبهؤلاء تجوز صفة خاسر
 أشير يضك قليلها بكثير ؟
 والاكرمون منائر ومشاعل
 عبر الدما والقيد، والديجور
 طالوا على الأيام ما طال الدجى
 ما كان ليل كفاجهم بقصير
 صبروا على جمر الغضا وتمرسوا
 عُلب، لكل مُطَيِّر وَنذير
 فهم وقود الجاحمات اذا اصطلت
 وهم مشاعل نارها، والنور
 وهم اذا عرب الخطوب حماتها
 وهم على الظلماء عين خفي
 صبغوا الثرى فعلى الحراب نجيعهم
 ألق، مشاحب أضلع وصدور

ما آدهم وعز الطريق ولا انثنت
 في حومة الهيجاء خيل مغير
 من حيث تفغر للمخاطر هوة
 ويضيئ بالسارين درب عبور
 ويحيث ينتج السلامة قابغ
 متبلد في كنه المغمور
 لا توقظن له ضميراً خاملاً
 ما راح ينفخ نافخ في الصور
 ويمثل هذا راح ذاك مساوماً
 في السوق بيع كرامة وضمير
 ولقد أتانا أن عهدهم انطوى
 بخوائه المتهرىء المقبور
 فلمن يشق اللحد عن جثث خبت
 فيهن نامة (رجعية) و (نشور) ؟ !
 أمين العدالة ان وجه حقيقة
 بيضاء، تطمسها غشاوة زور ؟ !
 ومن النباهة ان فجرأ مشرقاً
 يرخي الغباء عليه مجهم ستور ؟ !
 ولأنه الأمر الذي لا تستوي
 فيه حصافة راجح وغرير
 أألف عام ترتعي ظلماتها
 أخرى، تغور بنكسة وضمور !
 اني أعيدك من هواجسها ومن
 ريح وراء الداجيات خطير
 * * *

لا الحقدُ، لا الهجوُ الدليل مثيري
 - عفو العقيدة - لا ولا يُمضيري
 لكتُّهُ نُذُرٌ عليّ وحلفَةٌ
 ان أبلغَ الأيامِ شأوَ نذوري
 رويتها خمَرَ الشبابِ، ولم ترلُ
 ربّما الظلال، بكأسيه الخمور
 عَفُ الضميرِ يرفُ وهجُ آبائه
 ما غامَ في الأحداثِ وهجُ النور
 وبأن أرى الإيثارَ خصباً باذخاً
 في قفر قاحلة، وجذب قَفير
 فلکم طويثُ الدربِ أربدٌ موحشاً
 متعثراً بجماجمِ وصخورِ
 لا المغرياتُ تشدُّ جمحَ شكيمتي
 عبرَ البضال، ولا وعيدُ نذير
 حسبُ الغنيّ اني أمرٌ على الغني
 في نغيبِ كوزِ ظاميءٍ، وحصيرِ
 هذا أنا كم قيلَ هل من ناقةٍ
 لك بين أكنافِ الحمى، وبعيرِ ؟
 وبحيث لا شبرٌ تلوذُ بظلهِ
 في قرّ شاتيّةٍ، ولفحِ هجيرِ
 فلمن تجافيتَ المنى ودروبها
 مفروشةٌ بنضارةٍ وزهورِ ؟
 أو ما بوسعكَ أن تغرّرَ، والعلی
 للضالعین، صناعةُ التفريرِ ؟

أو أن تروخ كما يروخ منصب
زخو القياد، مُوسِّم كالعير ؟
يا للرجال.. ولست (ذاك) وان دجى
(ليل) وأوغل (حاطب) بشرور
ما كنت ائمة ولا دار الهوى
بي حيث دار، فما الهوى بمديري
كم قلت فراح شيخ ضلالهم
جزعاً يلوذ بحلمه المذعور
قلنا لهم مهما تشامخ صرْحكم
سيغور في لجج الدم المهذور
سيهب من هنا وهنا عاصف
يجتذ سامقة، وغور جذور
فالسيل أقوى أن يُرد جموحه
أو أن يضيق بصخرة وحفير
قلنا بأن الشعب أكبر منكم
ان كان ثمة حرمة لكبير
فاذا تلبدت الخطوب فانها
في الأفق داجية، رفيف بشير

١٩٦٢

فجرُ الدِّمْرِ.. فوقَ الجزائرِ

سلاماً جزائرُ أمَّ العلى
فقد لآخ فجرُ الدما وانجلى
وهلَّ على الجمرِ للصاعدين
رفيفُ السلامِ، وراءَ الدجى
وقد عركتك الخطوبُ العضالُ
فعدت هوانًا يجرُّ الخطى
وقد كنتِ في الموحشات الجهمِ
يلوح لعينك ومضُ السنن
وأنتِ أدرى بأنَّ الردى
يدورُ... ويطحنُ، شأنُ الرحى
ففي كل دربٍ صريعٍ هوى
وفي كل دربٍ شهيدٍ قضى
وان أبا لن يعود الضحى
كما عادَ بالأمس، او في المسا
وان هنا ألفتَ باب تُصكُ
وليس سوى الريح فيها أحتبى
فما غممتُ هامةً بالسواد
ولا انهتُ في الروع صبرٌ وهى
ولا ذرفتُ مقلَّةً دمعَةً
نواحاً... ولا عيذُ ربُّ السما

وليس سوى خزير في العيون
تطاييرُ منه شَرَارُ اللَّطَى
إذا شَبَّ من غَضَبٍ، والتقى
به ثائرٌ ثائرًا فاصطلى
وهم خلف تلك الصخورِ الصلابِ
عيونٌ، وعند مهيلِ النقا
وهم عبر ذلك المدى.. أوتشا
هو ها هنا في شقوي الثرى
وهم في النهار رعاةُ الحقولِ
وإذ جُنَّ ليلٌ، صلالُ الفلا
هُم الغيدُ يَسْفَحَن طيبَ الشذا
ولكن على شفراتِ الطُّبا
سَقِينِ الختوفِ دمِ الواغلينِ
بأرضٍ يَمَجُّ ثراها الدما
عبياءٌ، وهُنَّ ضعافُ الذِما
يهددنَ خلف ثنايا الشفوفِ
سلاحاً تَنْزَى، وطفلاً غفا
كانهما يحرسانِ الحياةَ
فهذا يعانقُ أنفاسَ ذا
وما اربدُّ ليلٌ، ترامى الصدى
يردُّ في الأفقِ لحنَ الفدى
بذا جزعَ الصبرِ مما ابتلى
وأوغرَ ذو الحقدِ مما اصطلى

ويا لغبارِ السنينِ الطوالِ
يفلُ من العزمِ حدَّ الثِّبَا

* * *

سلاما.. جزائرُ، ان الدنا
تَطَوَّفُ باسمِكِ عبرِ المدى
فما راعَكَ الموتُ اَنِّي انطوى
وما هَدَكِ اليأسُ حيثُ ارتمى
سلامَ القلوبِ التي حوطنكِ
ترفُ عليها ظلالُ المنى
سلامِ الشعوبِ تحُثُّ الخُطى
وتقفو بأثرِكِ ركباً شأى
فأنتِ لها مَنَلٌ يُهتدى
به، وعلى كلِ دربٍ صوى
وأنتِ تدورُ بكِ العاصفَاتُ
فُحَسِرُ عن شامخاتِ الذرى
وما كنتِ في غمرةِ المُدعى
ولا رَدَ خطوكِ دربُ نأى
ولم تسألِي أينَ بدءَ الشرى
وراءَ الظلامِ، وما المنتهى ؟
وما كنتِ امعَّةً تُسلمين
زمامكُ أتنى يكونِ الهوى
ولم تجعلِي الرأيَ للمدعين
بأنهم «نخبة» تُصطفى

وأنهم سادة في الملا
 وغيرهم زبّد يُنتفى ! !
 تلذّ لهم شهوة الحاكمين
 وتنزو بهم سطوة تُشتهى
 وما هم مستأثرٍ نفسه
 اذا ما اعترى الخطب الأ (الأنا) !
 وما راعه ان تظلّ البلادُ
 بأمثالٍ أولئكم تُبتلى
 بكل هجين، وذو لوثية
 تُطرزُ أسماؤهم بالكِنى
 وهم يدعون ولا يخجلون
 بأنهم سورُ هذا الجمى ! !
 يظنون انهم يحجبون
 غباءَ تعرّى، وعاراً بدا
 وأمسٍ وما راح في ذكره
 صحائفُ من ذكرها يستحي
 عرفتهمو حين جدّ الصراع
 زنيماً عناً، أو بغيضاً قلا
 وانهمو سيلع قد تبور
 بأسواق (باريس) أو تشتري
 وحيث الخبائث أتى تُرى
 وأتى تكونُ لهم تُنتمى
 أذفتِ الصبوح لهم والغبوقُ
 بكأس تَمَرَّق منه الحشا

وقطعت أوصالهم ترتجي
 وراء الحنايا، وخلف الثنى
 فهم والسلامة لا ترتجي
 اذا رآن فيهم بقايا صدى
 وادركت ان كفاح السنين
 يدور به البدء كالمنتهى
 اذا كان للارذل المستيد
 تعود الامور به تُرتأى
 فمالك غير احتشاد الجموع
 ملاذاً، وأما سواها.. فلا
 همو الصامدون على النزالات
 بزنادِ أطنن، وفكرٍ وعى
 همو المدجون، همو المنعمون
 هم الحاصدون بيبس الجنى
 همو الكاظمون، همو الصابرون
 على الظلم، والنكر والمزدرى
 همو اهلك الاكرمون الألى
 بهم يُبتدى، وبهم يُنتهى
 وهم في غدي، والكفاح الطويل
 وما تنشدين، على ملتقى
 غداً، اذ يطل الصباح الأغر
 على عالمٍ مُشْرِقٍ يُجتلى
 على وارث من ربيع الدماء
 يتيه به السهل والمنحنى

على ألقى النور اذ يُزدهي
بأضوائه نجم افقِ خبا
على الحقل اذ تتهادى السفوح
بموشية من نُثار القُرى
على النافثاتِ دخانَ اللظى
تشامخُ بالأملِ المُرتجى
على العاملين، على الحاصدين
على الصاعدين بركبِ هفا
على الاغنياتِ ترشُ الدروبَ
ببوح الأريج، وهمسِ الندى
على كل ارجوحةٍ باقهُ
من الزهرِ ماجت بزغبِ القطا
وجيل سيأتي على أثرهم
يصون الذمامَ لجيلِ مضى

* * *

سلاماً جزائرياً.. انّ الشعوبَ
ترددُ باسمك عبر المدى
فما حومةُ النصرِ حدُّ المطافِ
ولكنّه أن تحثي الخطى

١٩٦٢

سَلَاماً... دِمَشقُ !

تلفتَ واجماً غربَ وشرقُ
وراءَ صدى كفاجك يا دمشقُ
وَرَوَّعَ كل مؤتمن نذيرُ
يُجهّم أفقه رعدٌ وبرقُ
بأنك ساحٌ مُصْطَرِّعِينِ، باغِ
يلصُّ دمَ الشعوبِ ويسترقُ
ومنفضٍ أخي حربٍ وسلّمِ
عَصِي، شرعهُ عدلٌ ورفقُ
وأنك في الزحام الجهم بابُ
عليها ألفُ طارقةٍ تدقُ
تكسرتِ النصالُ، وكم أريشتُ
وأعيا المستبيحِ الوغدَ، نطقُ
وكم دارت دوائرها الليالي
فما استامَ الأباةَ الصيدَ رِقُ
وأنك كنتِ في البلوى حديداً
وهل يُلى الحديدَ لظنٍ وطرقُ ؟

* * *

ردي حَمَم اللظى اما حياة
 لها فوق النجوم الزهرِ سُمُق
 واما أن يُسراقَ دَمَ زكبي
 فدى شرفِ يُصان به وعُنُقُ
 سَيَحْرِسُ أذُوباً غيراً، تعاوث
 عليك، وسوف يُعبي الفتقَ رتقُ
 وقل للموغرينَ الحقدَ صبراً
 فانك عصفُ ريجٍ لا يُشَقُّ
 لسوف يهبُ من هُنا وهُنا
 تُجذ به يدُ، ويُدق عُنق
 تعانقتِ الشعوبُ وليس يلوي
 بعزمٍ كفاحها ثلَمُ، وخرقُ
 تسامى العصرُ لا ذئبُ وشاةُ
 توأكبه، ولا لَوْنُ.. وعِرْقُ

* * *

صُموداً، ما تنكأُ منكِ جرحُ
 وعزماً ما تلبدُ فيكِ أفقُ
 ولا تهني، وان هانتِ وشاهتِ
 وجوةٌ رُنقتِ بالعارِ صُفُقُ
 صنائعُ للدخيلِ الرجسِ، قَيخُ
 تعفن، نُهزةٌ للعارِ، مُرقُ
 ورويدكِ سوف يذريهمُ رماداً
 ويُنخلُ عهدهمُ عَصْفُ ومَحقُ

وما طاشت رؤوسهم سيودي
بها في زحمة الأقدام سَحَق

* * *

دمشق ولم يئن لك أي عهد
ينوء بباذخ الأمجاد وسق
تردده كأنَّ الأمس حلَم
صدى في الغوطة الخضراء ورق
فيا سَحراً كهمس البوح تَذري
سناء أنجم في الأفق.. زرق
ويا نَفحات أنسام لطاب
يتيه بها هوى ويدلُ عشق
توهج في سراك دم الضحايا
يفوخ له على الظلماء غيق
فَقْدماً لا يهبك وعيد طاغ
يُراودُ حلمه سَقَّة وحمق
فللتأريخ ما دارت رحاها
وأبلغ عُقب ليل البغي حق

* * *

تلفت واجماً غربت وشرق
وراء صدى كفاجك يا دمشق

١٩٥٦

طارق الليل

أنت يا مَنْ طرقتَ بالأمسِ بابي
في دجى وحشتي، وتيه اغترابي
أنت أدرى فبعضَ عفوكِ - ما بي
لا تسلني عن حيرتي واكتسابي
أنت ان لم تجذِّ رواءَ وعطراً
وظلالَ المُنَى، وزهوَ الرغاب
شمعتي هذه، وهذا رغيفي
وأناشيدُ ثورتِي وغلابي
غرب النجم، غيرُ آهٍ شريدٍ
عبر هذا الدجى، طريدَ الذئاب

* * *

لا تسلني ما بي، فحسبُ جراحي
نزفُ هذي الدما، وحسبي ما بي
مدلجُ ملني السرى يا رفيقي
طال ليلي، وجفَّ كأسُ شرابي
ان لي موطناً هناك غريقاً
في الدياجير، موصدَ الأبواب
ليس من كوةٍ تطل عليه
غيرُ ومضِ الدما، ولمعِ الحراب

وصليل القيود في وحشة الليل
وسجور الدجى، وبؤح الخراب
هو في ريقه الأسار انطلاق
وانعتاق في زحمة الارهاب
وهو أن أحرصوا صداه هتاف
عبرتي في مسمع الأحقاب

* * *

ها هنا.. والنجوم سماري الزهر
ولمغ السننا وراء الضباب
أنا ان سُردت خطاي فحسبي
ان بُعدي يغار منه اقترابي
فأنا المدلج النذير وحسب اليأس
ان يرتمي على اعتابي
انا في غمرة الدجى روح شعبي
ومع الفجر عودتي ومآبي

١٩٥٥

رسالة إليه !

لك منا تحية وسلام
لو اراك - العواقب - الالهام
كم نصحننا فما انتصحت ولكن
لم تُقصّر من نصيحها الأيام
فمن الخير ان تخفّف وطعاً
بعد ان ضاق في سراك الرحام
ومن الرشيد أن تقصّر عما
طال فيه اللحاة واللوام
وكثير من أن نرى، يتناهى
في هواك الانقاص والابرام
قيل ما قيل غير انا عجزنا
عن مرام، يضيق فيه المرام !
أيم العدل ان تظلل غريماً
تتجنى، وداؤك الأوهام ؟
أهو فخر من ان يسود اللثام ؟
واقترار من أن يُهان الكرام ؟
واحتمال ؟ وان يضيق اصطبار،
وملام ؟ وان يبيع الملام ؟
أم هو الأمر لا بذلك وهذا
وهو ما فوق تدعي الأفهام ؟

* * *

وعوارٍ من الحياءِ، رجوةٌ
شُق عن عورةٍ لهنّ الظلامُ
لم يكن بدعةً لها الاجرامُ
لا ولا منكرًا لها الآثامُ
غير إنا وقد خبرنا الليالي
ليس هَمًا ان نجتلي ما يُرام
يا لعينيك.. كل خافٍ جلّي
لا تغطّيه دجوةٌ وغمائمُ
قد عرفناه منذ أدبرَ عامٌ
من شجون الهوى، وأقبلَ عامُ
وتنزى غيظٌ، وأوغرَ حقدٌ
صُب جامٌ منه، وأترعَ جامُ
شدّ ما جاوزت مداها، ووجنت
شِرّةٌ في دمائها وعرامُ
أهو مجدُّ الأمجادِ ان سُجَّ رأسُ
وتهرى لحمٌ، وديست عظامُ ؟
ام هو الفتح أن تنوشَ كراماً
بوضيعٍ من فحشها... أقلامُ ؟
أم هي الدارُ ليس يغمض جفنًا
في حماها مُورقٌ لا ينامُ
خابَ ما يُرتجى، ومُلّ المُقامُ
شاةٌ ظلاً، وأفصح التّمتامُ
أهو هذا العهدُ الذي كان حلمًا ؟
جلّ قدرًا ما ترتعي الاحلامُ

نحن من ربّها دماً وعناداً
وكفاحاً، ما طاله استسلام
نحن من شقّ ظلمة الليل عنها
وحداها، والأفقُ كابٍ.. جهام
انت ادري ولسْتُ أنبيكَ هلاً
أنبأتكَ الاغلال.. والاعدام
لم ترعنا الحوادثُ الهوجُ يوماً
لا ولا تُكسّث لنا أعلام
نحنُ في موكبِ الفداء انطلاقاً
فعلى الافقِ من سُرانا قتام
باطلٌ ما ترى، فما ضاع حق
وعليه من أهله قوام
لا تموتُ الافكارُ في عاصفِ البغي
ولا ينطفئ لهنّ ضرام
ذاك حكمُ التاريخِ دونك فصلاً
واعتباراً ما تنطقُ الاحكام

* * *

لكَ منا تحية وسلام
لو أراك - العواقب - الالهام

١٩٦٢

سلاماً يا عراق

سيحدونا وراء الليلِ بيرقُ
ويجمعنا غداةَ الروحِ خندقُ
تُلزُّ به المناكبُ عن جُمَاحِ
إذا ما أزيَّدَ جاحمُها، وأبرقُ
ويرغي فائراً ما نَزَّ جرحُ
دُم، فوق الشظايا الحمرِ يُهرقُ
وتشتبكُ الأكفُ على صمودِ
تسامحُ من جرابِ ليس تُخرقُ
تصاولُ أيةَ عصفت وجاشتُ
وأياً، ليلَ مجترمينَ أطبقُ
وقوفاً... قد يطول بكم وقوفُ
وقد يعيا بكم عَصَبُ يُمزقُ
وقد تندلخُ عن جرحِ جروحِ
وتوصدُ بابَ طارقيةٍ وتُغلقُ
وقد يُفتي الذي بالأمس أفتى
وغرَّب في مزاعمِه، وشَرِّقُ
وخلف ظلاله وطنٌ ذمَاءُ
يكاد خياله في العينِ يحقُ

لعنتُ الرملةَ الغبراءَ مما
 تمح^(١)، وليته من قبلُ يُحرق
 لهيباً من مسيلِ دمٍ تدفق
 وذوباً من دموجِ أسي ترقرق
 وجوعاً.. يا عراقَ الجوعِ، آه
 يُفْتَطِمُ على الأنداء يُزهقُ
 واشباح تدبُّ مُرَوَّعاتُ
 وقد أضنى الشقاءُ بها وأملقُ
 ومنتفضينَ ما برحوا عيوناً
 تجوبُ الليلَ مدلجَةً وتأرقُ
 تُخازِرُ ظلَّ جلادينِ حقداً
 وكم شنقوا عيوناً ليس تُشققُ !
 سلاماً أيها القتلى، سلاماً
 زهورَ دمٍ على الشطينِ تَعْبِقُ
 * * *

زماناً ! طالما كنا زماناً
 نشيخُ وجوهنا كبراً ونأبِقُ
 لعنتُ الأمتنَ، ما أمتنُ بعيدُ
 وقد غنأه من غنى وصَفَّقُ
 وكم ضيقنا بهم ذرعاً، وضاقوا
 وكدنا في الصراعِ الجهمِ نغرقُ
 تُرى خمسونَ عاماً مصحراتُ
 فما ازدهرَ الهشيمُ بها وأورقُ ؟ !

(١) النقط

بلونا منطقَ الواهين حتى
 سئمنا من تعقلٍ أو تنطقٍ !
 وقد ذهلَ الدهولُ، وُجِّنَ صبرٌ
 بما قد لا يُصدَقُ أو يُصدَقُ
 فقد هلَّ الدمُ المسفوحُ فجراً
 تدفقَ في العروقِ سنأً وأشرق
 وان رؤىً على جفني شهيدٍ
 تروُدُ الأفقِ شامخةً، تُحقِّقُ
 تبليجَ عن سنا حُلُمٍ تألَّقُ
 وأومضَ عن صدئِ زهوانٍ يُعتَقُ
 تحيطُ بها سواعدُ مُشرعاتٍ
 وتحضنُها عزائمُ ليس تُمَحَقُ
 وتلتامِ القلوبُ على قلوبٍ
 وتنزِعُ غَلَّهَا سمحاً وتُخفِقُ
 وقد تندی عيون في لقاء
 وكم نُجِرَ اللقاء، وكم تشقِّقُ
 وتلثم (كورباغي)^(٢) وجةً عابٍ
 يعانقُ في (الرميثة)^(٣) ظلَّ مُرهقُ
 سلاماً يا عراقُ.. وأي مجيدٍ
 كمجدك عبر هذا الدهر.. أعرق

١٩٧٢

(٢) في الشمال الكوردستاني.

(٣) مدينة فراتية جنوبية - اتقدت فيها شرارة ثورة العشرين ضد الاحتلال الانكليزي.

موتية «نسيب المنتج»^(٥)

أبكيك؟ هل أغنى البكاء وهل أجدى
دماً، لم يزل يروي السباسب والتجددا؟
إذا أنا لم أغمس يراعي بنوره
وألهب في أغوار اغوارها الجهدا
فلا أدركت روح الضحية ثأرها
وفاء العلى من أن نصور لها العهدا
وأن نجتلي الأصباح ما طال ليلنا
نروؤ له صدرأ، ونقحمه وردا
لئن أطبقت أيام لبنان جهمة
فقد كان ورد الموت في شرعها شهدا
تنادى بها الأحرار، تُصلى شواظها
وتسحق راس البغي ما جاز واستعدى
له الويل من قزم تطاول زعمه
بأن اباء الشعب (مزرعة) تهدى
تردى به لبنان لا ظل أرزه
وريف، ولا أنسام وديانه تندى

(٥) الصحفي اللبناني الجريء، اغتاله الرجعية اللبنانية في لبنان ١٩٥٦، كان شجاعاً في مواقفه ضد حلف بغداد، وضد العهد الرجعي المنذر في العراق جريدته (التلغراف)، كانت منبراً لنا في المنفى.

ولا القمم الخضراء زهوانة الرؤى
كأن بها مما بأهلها أودى
وانك لما ان تلبد أفقها
شقت لها نحرأ، وغالبتها صلدا
تذود عن الحق الجريح وتصطلى
بجاحمة تشوي لوافحها الجلدا
وكم قائل لله دؤك أروعا
أتسعى له جمعاً، ويقخمها فردا ؟
* * *

وكم ليلية ملّ الخلي وساده
وأنت تزود العبء، والحرف، والسهدا
ثلاثون عاماً، كم أراشت سهامها
عليك، فلم تلو العنان، ولم تهدا
وكم راودتك المغريات فلم تلين
كمن باع أمجاد الكفاح، ومن ردا
ولم تعط شأن الارذلين لها يدا
ولم تتهيبها نذيراً ولا وعدا
وانك أدري من همو ؟ شر عصبية
تصانعنا جهراً، وتطعننا عمدا
وقفن لهم كالليث تزأ مرعداً
تغالهم ممسئ، وتلوى بهم مغدى
فلم يبق الا الليل يستز جريمية
تشق لنور الحرف في جوفه الوأدا

لقد أوقدوها من دماك شرارة^(١)
يُشَبُّ بها ومضٌ، ويستضرمُ الوَقدا
تُسَعَّر من جمر الكفاح وترتمي
لهيباً، يَسُدُّ الأفقَ، والرحبَ، والوهدا
وتجرفُ اعراشَ الطغاة، وإنْ شأتْ
ذُراها، وتبني من جماجمهم سدا
وقد عصفت ريح الشعوب، فلا الردى
ولا التذُرُ السوداء توردها الحدا

* * *

وأنك نجم للسرقة وقمة
تعانق في اجواء لبنانك الخلدا

١٩٥٦

(١) اغتياله كان الشرارة لاندلاع الثورة في لبنان.

تَلْتَمِسُ ...

مهـما تجهّمت الخطوب، وما تلبّدت الظُّلم
واربـد هذا الدربُ، يعصفُ بالهشيم وبالرّم
وتوجفتُ أبصارُ مرتهبٍ تعودُ به القدم
فأنا هنا، أنا عبرُ هذا الليلِ عاصفةٌ ودم
أنا صخرةُ العزمِ العنيدِ أنا الزلازلُ والقمم

* * *

انا مشعل السارين في الليل الطويل، أنا الصدى
للنّار، نقسم أن نرودَ له القصي الأبعدا
للفجرِ، للحرية الحمراء، تعتنقُ الغدا
مهـما دجى الخطبُ الملمّم، وما تجهّم وادلهم
فأنا هنا، انا عبرَ هذا الليلِ عاصفةٌ ودم

* * *

أنا لا المشانقُ، لا السجونُ، ولا القيودُ، ولا العدم
تلوي باصراري، ولن تزري بنقمتي النقم
وانا هنا... أنا في جماح اللجة الحرساءِ فم
أنا صخرةُ العزمِ العنيدِ، أنا الزلازلُ والقمم
وأنا هنا، أنا عبرَ هذا الليلِ عاصفةٌ ودم

عراقية

عراقي تخارسَ فيكَ الصدى
وضاقَ على الزحَبِ منك المدى
لقد كنتَ يا كعبةَ الثائرين
تهبُّ اذا ما هضيمٌ شكا
وكنتَ اذا ما الخطوب اعترت
تخوضُ لها موحشاتِ الدجى
فما كنتَ تعطي يداً كالذليل
ولا نالَ بأسكَ عابِ غزا
فأنتَ على الدهرِ اسطورة
يسرُّلها كبرياءُ الفدا
تبلج في (بابل) فجرها
وأينعَ في (الكوفة) المجتنى
وما زلتَ انشودةً للحداءِ
اذا جدَّ للمجدِ ركبٌ حدا
فكم مرَّ من فاتحِ موغلي
فقصر في الخطو، وعثُ الخطى
فما نبئتَ غرسةً للطغاةِ
وما طالَ ليلاً به يُزدهى
وظلَّت الي ظمأً ترتوي
دمانا.. وما زالَ ذاكَ الظما

فبالأمس كان الذي لم يكن
سواهُ.. ولا كآلِهِ الورى ؟
وكنا نسوق اليه الحجيج
وما يشتهيهِ، تُزْفُ المنى
كما يعبدُ الوثني الجماد
نُسبِحُ في حمدهِ والشنا
وقد جدَّ في زوعه اننا
قطيع يُسَيَّر كيف ارتأى ! !
وقد فاتهُ ان عصَرَ الشعوب
لها التَّهي والأمرُ فيما تشا
وقد كُيسِر الصولجان الذي
يتيهُ به السيدُ المجتبي
ودكَّتْ سُلالةٌ من يدَّعي
على الدهرِ تيهاً بأني «أنا» !
فقل للذين على اثرهم
تُبَاعاً يجدون «ويح العمى»
اما جاءَ (نيرون) من قبلهم
بماذا ابتدى ؟ وبماذا انتهى ؟
عراقي.. أيا دفقةً من رخاء
ويا أملاً باسماً يُرتجى
سلامٌ عليكِ.. على دجلة
إذا ما طفا موجُه أو جرى
على الرملِ، في شاطِئِهِ ارتمى
بأمواجهِ في هُيام اللقا

على النخل في جَنَبَاتِ الفرات
يتيه مع النجم عند المسا
على قارب فوق موجِ غَضُوبِ
يشققُ أمواجه بالقنا
على آهيةِ الناي عند الغروب
وشدوِ الرعاة بسحرِ الهوى
على طلعةٍ من قُمرٍ شَحُوبِ
يشعشعُ فوقَ رمالِ الفلا
على قَصَبِ (الهور) تأوي الطيورُ اليه
ويَنعَسُ فيه الهوا
على كادحٍ في ندى غبشةٍ
يجد الى عَمَلٍ يُبْتى
على مبدعي الفكر في عالمٍ
يسودُ به النير المُجتلى
سلام.. وإن حانَ يومُ الوداع
سلام.. ولا بدُّ من ملتقى

١٩٦٤

أتموز

بوركتَ ليلَ البغي، والأصفاذِ
فقد تبلىج منك فجر بلادِي
لولاكَ ما اقتحمَ الأباةُ صراعَها
ترتاد وَهَجَ لظى، وشوكَ قَتادِ
وتصوُلُ حيثُ الأفقُ اربدُ كالخِج
متلاطمُ الإبراقِ والإرعادِ
لم يثنها الدربُ الطويلُ ولا الردى
ينداح بينَ مشارفِ ووهادِ
فهمو غناءً ملاحِمِ وبطولةِ
وملاذَ أمجادِ، وصخرُ عِنادِ
وهمو همو همس الشفاهِ على الدجى
ورسيسُ اطيافِ وسرُ جهادِ
يتلمس الجرحُ الخضيبُ صداهم
فكأنَّ ذاكَ اللمسَ سحرُ ضَمادِ
ويطوف بالسجنِ الرهيبِ هتافهم
عبر اللظى، ومجازرِ الجلاذِ
عَفَتِ السنونُ وهم على وعثِ السرى
نُذِرُ تدقُ معنأقلِ الأوغادِ
يترقبون لهم حسابَ رجولةِ
كترقب الأنصالِ في الاغمادِ

فلقد تحلبت الضروعُ يوابساً
أيدٍ تنزُّ دماً.. وأيُّ أيادي ؟ ؟
ولقد تجرعت الكؤوس طوافحاً
مزمومة.. بدمِ الشهيد الفادي
وخوت مرابعنا، فكل عشية
وصبيحةٍ قد جللت بسواد
ولكم تلفتت العيونُ هوامساً
في سرِّها عن ساعة الميلاد
هذا الهشيمُ فأين ومضُ شرارةٍ
تجتث عرشَ خنا، وصرخَ فساد ؟

* * *

بغداد والليل ارتماءً موحش
جهمُ الصدى، مترامي الأبعاد
لا الأنجمُ الزهر اللوامعُ تجتلي
ربداءً لم تقدح بجمرِ زناد
وكأتما القفر اليباب سهولها
وسكينةُ الاجداث سفح الوادي
لا نامةً، الا انطلاقةً صائح
طلقَ الجناح، مؤلَّهُ الانشادِ
ترنو اليه المرمضاتُ شواخصاً
أتى يُهومُ رائحاً أو غادي
وتعودُ تبحث في متاهات الدجى
عن كوكبِ الصبحِ المشعِ الهادي

حتى اذا حسبوا بأن شفاهها
زُمت، وآل عنادها لنفاد
دوّت على الأفقِ المرقّعِ صرخةً
مشبوبةً بلوافح الأحقادِ
وتأجج الومضُ الخفيّ مشاعلاً
ما كان قبل الامس طيّ رمادٍ
وتدفق السيلُ العرمرمُ جارفاً
مرسى العمادِ، ومضرب الاوتاد

* * *

بغداد.. يا أمجاد عهدِ غابرٍ
ريّا الصدى من طارفٍ وتلاذٍ
سَطَرَ العلى والهدى آي خلوده
وحنث عليه حواضرُ وبوادي
تتلقت الدنيا اليك مَشوّقةً
ويروُدُ ظلك موكبُ القصاد
في كلي جفنٍ حالمٍ اسطورةً
وبكل جانحةٍ روى بغداد
من ألف ليلٍ ما تزال وليلةٍ
مخمورة الالهامِ والانشاد
والخالدون على العصور صدهمو
عبر المدى، وتضرم الآبادِ
والمطلعون لكل ليلٍ فجره
بتعاقبِ الاجيالِ والآمادِ

يا بنت كل ملثمٍ ومخوِّضٍ
ليل الردى، ومخاطرِ الوزاد
ولكم تصاولتِ الخطوبُ فلم يهنُ
رجعُ النشيدِ على شفاهِ الحادي

١٩٥٨

الحق اللقاء في منفى آخر

١٩٧٤

مقدمة

كاظم السماوي..

رافد خصيب في النهر الكبير

الشاعر الدكتور ميشال سليمان^(*)

لأنه على غير موعد، يلتقي ذلك الذي قال، في منأى عن الرؤية البليدة،
وقطع مع اليأس:

«قل لهذا الموت أن يصمت

هذا الذي كان بلا حول طوال حياته

وموج كالبحر في تمتعات عابثة

عبر الكارثة المجترة»..

حتى ليخيل ان مطاردة العمر ضرب من هواية آخذة على صاحبها كل
صيواته، وما مطاردة العمر هنا نزوة مما يتصل بيدعة أسرة، أو ضيق في الصدر،
وإنما هي العمر في سياق مراحل الآخذة بجديّة المسار.

ذلك هو الشاعر كاظم السماوي. أما المسار، فأبته ان الدارج في صعيده،
مولع كما لا يعرف الفرار، وان عرف، فلحظة من تحفز للانطلاق الجديد،
يكلاًها في المناهات اليقين بأن على الشمس أن تهدي المبصرين، كما عليها
بالضرورة أن تبصر.

(*) رئيس اتحاد الكتاب اللبنانيين سابقاً.

درج كاظم السماوي في الشعر العربي الحديث، مدرج الكشافة الأول، فألسلس له الجواد قياده. فسار به جموحا، وسار خيباً، وكان في الحالين، ذلك الذي ينعقد خلفه الغبار، وينقشع أمامه. وكانت الاذن العربية في ذات الوقت، تستنيم له على طرب ينيء عن ذاته:

«ها هنا.. تبتدي الخطى!»^(١)

تبتدي الساحة التي لم يكن

للخيول الهزيلة فيها

سوى اصطفاق الحوافر!»

ولا تنتهي الرحلة البدع، برغم نأي المسافات، وثقل الخطى، وفراغ الزجاجات من عطرها، وصفير الرياح، ما دام ثمة:

«دم جف أمس

دم.. لم يجف

فلا تغسلوا بعد أيديكم»^(٢)

وما دامت الثورة تمشي على ارضها، ولا تستعير السلاح من القاتلين. لقد كان الشعر لدى الشاعر عينه، فأضحى العين والوجدان معاً. وكلاهما لديه في الحلبة نداء جهير، يعلم أن الصمت هو الموت الآخر. وسيان لديه اكان رائياً، أو غائراً في قرارة صدره. فالمهم عنده ألا يتيه في جزالة الوصف، وتداخل المعاني، ما دامت النبرة تحمل في غضونها بعض صورته، وبعض نكهة مما يشكّل الغرض الفني ومبررات ظهوره.

فالشاعر هنا ليس الباحث عن الحرز الزجاجي، يضفره عقداً يزين به عنقه، أو سبحة وهاجة البريق، مما يتباهى به المنجمون، في عمليات السطو على

(١) و (٢): من «ملحمة الهجرة الثالثة».

الآخرين السذج.. وجيوبهم معاً، فهو العليم، بتجاربه العديدة، ان للمفردة وجهين، الأول، انها تعني أكثر مما تناول، أو تدور في اطاره، وانها، بما هي كذلك، قادرة على حمل الشحنات العاطفية التي تعتلج في ذاته الشاعرة، وقصارها ان تمد الجسر الى الآخر، وتمهد للعبور:

الوردةُ في كفى..

تتأجج ومضاً.. انهاز دماء^(٣)

أما الوجه الآخر، فمعالم صور تكاد ان تكون مرسومة بالدم، يطالعك باستمرار، فجائع كأن لها على الخناجر والنصال عهداً: أن لا تكف عن الطعن، وأن لا تكف عن النزف المعطاء. وانها لصور تسد عليك لحظات التفلت الى سواها، والاندراج في لحظة من السكينة ماتهة...

صور الدم، يفور حيناً، ويهدر حيناً آخر، وهو الطاهر بلا بركة، والظافر دوماً على احتمال..

صور الاقدام التي تدب على الجمر، وما همَّ ان تُعرى، وتكتوي حتى العظم، فثأنها ان تمد النار بالوقود، فهي قدرها، الى أن تصنع قدراً لها آخر، ربما أقل التهاياً.

صور المأساة التي، مهما تنوعت فيها عوالم الرؤية، تبقى مأساة هذا الانسان العربي المعاصر، الذي، دنيا امنيات، ان يبقى طواعية، عامل المأساة الأول، وان تبقى المأساة حتى ينهد بها جدار التمثيل. فتنهد بدورها بددا..

وانها لصور، في النهاية، شعرية، تتمنطق بواقعيتها، وتأيي ان ترى لها غير الواقعية مما يشكل في الشعر الحديث واقعاً آخر، مركباً باللغة والمجاز، وحسبها

(٣) من قصيدة «الوردة والبرغ».

من هذا انها اللغة الشديدة على ذاتها، الشديدة بما هي لغة العنف الأصيل، ولا يضيرها انها تبدى لتسمع. فالاحساس بالفاجعة فيها، هو قاعدة الحديث، جرثومته التي تعبر عن ذاتها، كيفما دارت بها الرؤية واللغة، وفي أي من الاتجاهات المعدة للجهر، فالاسماع، فالتحريض..

وينجم عن هذا كله، ان «الى اللقاء في منفى آخر» يتسم بتلك الرعشة الرقيقة والطامعة بالفتح معاً، وهي الالتزام بما يلزم، ما دامت طريق الحلم مكشوفة لدى الشاعر، يصب بها مواد غضبه، ووقود تجاربه التي باتت من الكثرة حتى أمست لديه مفتاح الذات وقفل الموضوع في آن واحد. ولا بأس عليه في هذا، ان يشد الرحال من صوب الى آخر، بحثاً عن أقفال ومفاتيح، تجعل الحد الفاصل بين نأي وتغريب نسبياً في صحارى ليلنا العربي الطويل. حقاً، ان الشاعر كاظم السماوي، لرافد باهر الخصب، في نهر الشعر العربي الحديث.

بيروت في ٢٦/٢/١٩٧٨

ملحمةُ الهجوةِ.. الثالثة

- ١ -

يقولونَ لي «لا تهاجرِ» إذا اسطعتِ.. وامكثِ
هنا «وتدأ» لا تُضيرهُ
ان تهبَّ الرياحُ
ان تعصفَ الثُّدُرُ السودُ
ان تشبَّ الحرائقُ !

* * *

مُثَقِّلٌ خطوكَ المُعَفِّرُ باليتمِ
ما مقامكُ بين الرجالِ الذبابِ، ووخزِ العيونِ
وموتِ الصدى ! ؟
وطرَنَ انتَ؟ ... يُقَتِّلُ الفَرَّخَ الطِفْلُ.. فيه !
وتستريبُ الظنونُ التي لها
رؤوسِ الجِرابِ جَثَّتْ كالرصاصِ !
تَرَمُّ الشِّفَاةُ على فُوهِةِ الزجاجاتِ
في الليلِ بين الكؤوسِ التي
افرغتِ خمرَها
والوجوهِ التي...

تغادرُ حراسها
لتتَبَّ.. ما بين ظلٍ وظلٍ.
حراباً.. رصاصاً على الأرصفتِ

- ٢ -

ها هنا.. تبدي الخُطى !
تبدي الساحةُ التي لم يكنْ للخيوِلةِ الهزيلةِ فيها
سوى اصطفاقِ الحوافزِ !
ها هنا كانَ للعيونِ اتقاؤُ
وانطفاءً.. ما بينَ جفنيّ وجفنيّ
كانَ للنارِ طائرُ
يعبرُ السهبَ السودَ
والجراحَ العتيقةَ
كان ما بينَ ان يطلَّ
وأن يدركَ الصباخَ
وما بينَ ان يتدي
كانت الخطوةُ الألفُ.. فابتداها
ولم نزلْ نبتديها !

* * *

ها هنا الساحةُ.. التي تبدي منكَ مثلما
تنتهي فيهمُ غيرِ إنّي

٢٤٢

يتنزى جرجي
ويخجلُ حزني
ان أرى الفارسَ المثلّمَ
في وحشةِ الليلِ مُجهّداً
يعبرُ الصمتَ
يعبرُ العيونَ التي
تحرّقُ السنا..
تطفئُ الشررُ
الصدى... يُرجمُ الصدى..
- : «لست من يركبُ الموجةَ الجموحَ» ومنْ
يرحلُ الصوتُ.. والصدى
تطفئُ الريحُ ومضةَ البرقِ
في العيونِ التي..
تعبُرُ الجمرَ والحراثَ
يسقطُ الفارسُ المثلّمُ
في وحشةِ الصمتِ
تحت شمسِ الظّهيرةِ

* * *

صوت: أُسدلوا آخرَ الستارة.. وأنفضوا
يعدّونَ مشهداً للقتيلِ
الذي.. سيأتي

لم تكنْ غيرَ جذرٍ يغورُ ما لامستهُ
بعدُ في الماءِ
رعيشةٌ وولادةٌ
لم تكنْ واحةً غيمَةً.. ولم تكْ ظلاً
ومراحاً، يعشوشبُ الرملُ فيه
حجراً حرَّفتهُ الشموسُ كنتَ فعادوا
وأتموا للزمانِ، أتموا
ولم ينتمِ الزمانُ إليهمْ !
* * *

صوت: لا تصرخُ.. مبحوح الصوت
وُلدوا، ماتوا قبل الموت
دُفِنوا دون قبورٍ

تعزُّوا.. تعزُّوا.. تعزُّوا
ولم يبقَ غيرُ «الغفاريِّ»^(١) مُستوجداً
يلمُّ على كتفيه العباءةَ في القفرِ
لاستغفأتِ النخيلُ
تفسيُّ أأيامه المُثَقَلاتِ
ولا نَفحةٌ من دُخانِ القرى

(١) ابو ذر الغفاري.

مطرقٌ بين صمته، وصمتِ البوادي
وما يومُهُ.. غيرُ رَجْعِ الرياحِ
وَبُوحِ الصَّخْرِ
وغيرُ الذي بينَ أضلاعيهِ
تَشَامَخَ كِبَرًا
رفيقُ الصَّخْرِ
وحيثُ تصلُ الحصى
في مرايا المياهِ
يرى وجههُ
وقد غيبتهُ ليالي الزناةِ
وعهْرُ النخاسةِ والحاشيةِ
يمدُّ يداً للرياحِ التي لم تلامسْ
قِبابَ دِمَشقَ..
ليقرأَ فيها الشهادةَ اليكْرَ
يرفَعها رايةً في العراءِ
ها أنا لستُ أملكُ..
هذي يدي...
ها أنا... واقفٌ بوجهِ الرياحِ
أَعزِّيكمُ قبيلَ السقوطِ الأخيرِ
ومن قبل أن تُخْلَعَ اللافئاتُ التي
حملتها الشوارعُ المستباحةُ
من قبل أن تُشْرِعَ المدينةُ أبوابها
وتكسرَ أقفالها

ها أنا واقفٌ أمامكم
أباركُ نفسي
وماذا ..؟ لو آتِي نُفَيْتُ
شَقَقْتُ مِهْلَ الرمالِ
وكانت لي الشمسُ سقفاً
وبيتي فوقَ تخومِ النجومِ
ولكنَّ وجهي.. الذي ظلَّ وجهاً
بلا أفتعةً
توحدُ بين الوجوه التي مُرَّغَتْ
تحتَ أقدامِ سلطانيها
* * *

صوت: مُتَعَبٌ ليس يشكو العياءَ
متى يستريحُ التَّعَبُ
متى والرياحُ تصفرُّ في التيه
ويُغتالُ جمرُ الغضبِ

- ٥ -

يقولون لي: لا تهاجرو. وقد هاجرتُ دماءَ الضحايا
ولم يبقَ للثورة التي سرقتها
علوُّجُ أُميَّةَ
- واللَّهُ يُغتالُ فوقَ المنايرِ -
يُزنى بكلِّ المحارِبِ
غيرُ المجوسِ

وغيرُ الخطايا !
وغيرُ «عمامة حجاجِها» الرجسِ
يجأُ بين الضحايا
كما يجأُ الوحشُ مستعدباً
مسيلُ الدماءِ التي لم تزلْ
تسيلُ وتُنبِثُ أزهارها
وكم ثورةٌ سُرقَتْ بعدها !
فيا عازِ ثوارها
يا عارَ من بايعوا واستكانوا !
وهانَ السلاحُ عليهم فهانوا
ولم يدركوا إنَّ سيفَ المقاتلِ يصدأُ
إذا خاسَ في غمدهِ
وكم كان أجدى !
لو أنهمُ لم يعودوا
يفوصونَ ثانيةً
في حواشي القراءتِ
وما جاءَ من قبل ان يولدوا
ولا شبيهه.. في قولٍ من نظروا !
ولكنَّه جهلُ من فسروا
إذا الحرفُ لم يختمزُ بالدماءِ
يشيخُ ويأسنُ في جبره
فلم يكنِ الحبيرُ ناراً وما كان يوماً
ولم تكنِ الناؤُ حبيراً ولم تكُ يوماً

فيا ليتهم أدركوا
ويا ليتهم قبل أن يُسَلِّموا
لليقينِ زمانَهُمْ شكَّوا !
ويا ليت من دفتته النصوصُ
يشقُّ الرياحُ، ويستدرِكُ

* * *

سلمت «أبا ذر»
ليت الشكوكُ القديمة، عبر اليقينِ
تعودُ فتَنفِضُ عنها الغبارُ
وما بين أن تصطلي بالعنارِ
وما بين أن تتخطى العنارُ
مسافةً أن يُشكَبَ الفجرُ
في التَسعِ الغضِّ
وما بين أن يحتويه الظلامُ

* * *

صوت: ويمرُّ الذي يمرُّ ويمضي !
دَعهُ يمضي
ما تَرانا نُغضِي
كأنَّ لم يمروا
كلهم أَمس..
فوق عينيك مرُّوا

يقولون لي لا «تهاجر»

ولم تتقدَّ نجمةٌ

في حواشي السرى

ولم أرَ في الأفقِ

برقَ الرياحِ

ورعدَ الغيومِ

ووعدَ المطرِ

تعزُّوا تعزُّوا

وصانِعَ مَنْ لم يصانِعِ !

وبايِعَ مَنْ لم يبايِعِ

وها هم أولئكِ صرعى الكؤوسِ التي لم تزلْ

تُدارُ عليهم ودوازها

يديرُ.. إذا ما الرؤوسُ انحنتْ

تقيءُ وتلعقُ أشعارها !

* * *

أي شعرٍ لم يضاجعِ ولاتهُ ؟ !

ذاك عهدٌ يُغلى به «القبضُ» و «الدفْعُ»

«فالصكوك» التي تكنُ

لغيرِ «المقاول» قد «جُيرتْ»

بأسمائكم.. شاعراً ساقطاً

شاعراً ساقطاً

وها أن شعر «لنا»
والزمان الذي
ولدتم سيفاحاً به
لم يعد.. عاز هذا الزمان ! !

* * *

لم يزل «شيخهم»
يحمل الموازين في السوق
من يطقف.. يبعه دم الناثرين يقلب !
وإن لم يكن !
فتأج الخليفة..
والحكيم والحاكمين !

* * *

صوت: يا آحر.. «قائمة الشعراء الشحاذين»
ويا «مُتخف شعر الزيف»
يا سبَّه هذا العصر..
وقد ماج الإعصار
يا شعراً ما عرفته الناؤ
ويا تحسباً.. يُلقى في الناؤ

— ٧ —

يقولون لي «لا تهاجز» !
وفي ليلة هجرت فجزها
تبادلتم القلاع وأخرستم

دويّ الأعاصير
والثورة المُعلنة !
فيا كلَّ مَنْ غادروا موافقهم !
وكانوا السقوف التي غمرتها المياه !
ويا كلَّ مَنْ كنتَ تنأى بهم
عن الشبهات الصغار
فكانوا الجراح وملخ الجراح
إليكم.. فما أنتم والرياح التي ستعصفُ
إن الطريق الذي ينتهي فيكم
بعد لم ينته
فسيُف المحارب لا يستريح
وها أنتم في الفراغ الذي يدور ويصفرُ
مُستفرغون
وتنأى المسافاتُ

تنأى بنا

ها أنا

أعدُّ سُقوطكم في المحاق الأخبير
ولم يبقَ غيرُ انتمائي

— ٨ —

يقولون لي.. «لا تهاجز» ؟ اذا اسطعت
يا وطناً.. طال فيه اغترابي
كلُّ ما فيك ؟
ماذا تعيّر عن أمس ؟

يَمْحِي الصَّبْحُ
تَمْحِي الشَّمْسُ تَصْدَا
لُغَةُ الْعَشْبِ
يَكْتَسِي النُّجْمُ لَيْلَهُ

كَمْ صَبَرْنَا
وَكَمْ قُتِلْنَا مِنَ الصَّبْرِ وَالصَّمْتِ
وَالسَّنِينِ الَّتِي تَرُوخُ وَتَأْتِي
لَمْ يَكُنْ صَبْرُنَا الْمَكْرُوسَ لِلْعَقِمِ مَاءً !
لَمْ يَكُنْ غَيْرَ رَمِلٍ .. سَرَاباً
فَيَسِنَا وَلَمْ يَعُدْ
فِي عُرُوقِنَا الدَّمُ يَسْرِي
لَمْ يَعُدْ فِي وَجْهِهَا الدَّمُ يَسْرِي
حَطَباً يَابِساً
عَلَى الدَّرَبِ مَلْقَى

* * *

مُنْقَلٌ يَا خَطَايَ.. مُنْقَلٌ
نَاءً كَتَفِي بِنِ حَمَلْتِ صَلِيْبَهُمْ.. وَاسْتَرَا حُوا !
لِنِ اسْمِيْتَهُمْ.. فَهُمْ يُعْرَفُونَ بِغَيْرِ الَّذِي امْسِ كَانُوا !
جُنْتُ بَيْنَنَا الْيَوْمَ
لَمْ يُعْذُ فِي عُرُوقِهَا أَوَاژُ الدَّمَاءِ
وَلَا صَرَخَاتُ النُّسُورِ
وَلَا مَضَاتُ الْبُرُوقِ
وَمَنْ لَمْ يَنْزُ.. يَنْطَفِئُ

تعالوا فتلك «الدماء في الشوارع»
تعالوا فلماً تزل ريح هانوي
تمطرُ الافقَ والنوافذَ
والصمتَ.. بالدماءِ التي
لم تهادنْ
فهذا زمانٌ..

تغني به الغاضبونَ
وأيديهم على البندقيةُ
وهذا زمانٌ.. تطاردُ فيه الضحيةُ
وهذا زمانٌ.. ينأى السلاحُ مع الحيزِ، والماءِ
عبرَ الخنادقِ
وهذا زمانُ الحرائقِ
وهذا زمانٌ.. تموتُ اللغاتُ بهِ
الفلسفاتُ تموتُ.. وتحيا
على «فوهةِ البندقيةِ»
وهذا زمانُ السلاحِ الذي
يكسرُ النابَ والظفرَ
يحرسُ العشبَ
والليالي اللواتي يلدن
قناديلَ حضراءِ للعيون الجديدةِ
ويا قادةَ الزمنِ المستباحِ
هذا.. أو أنُ السلاحِ

وقد نامَ اعداؤكم
في فراشكم ايها الخالمون

* * *

لم يُعُدْ ما ترونَ فيه وجوهكمُ
فقد كُتِرَتْ جميعُ المرايا
ومنَ ذا سيمسُحُ عنكم
غبارَ السنينِ
خسرتُم ولم يبقَ
غيرُ «ثوبِكُم الداخِلِي»
وغيرِ صدىِ الكلماتِ التي
تموتُ قبيلَ الولادةِ
وغيرِ القشورِ التي تلوكونها بينَ فكَّينِ متعبينِ
من اللغو... والنصوصِ المُعادَةِ
ولم يبقَ للعطيرِ
غيرَ الزجاجاتِ
تصفُرُ فيها الرياحُ
فلا تسألوني لماذا قبيلَ المواسِمِ
يدوي الزَهْرُ؟
وفيَمَ قبيلَ الحصادِ
يموتُ الثمرُ

* * *

صوت: وهي يسقط ما بين نضوي.. ونضوي
لافتات عتيقة واجترار
وظلال مهزوزة وانحسار

- ١٠ -

يقولون لي، «لا تهاجز»
إذا اسطعت وامكث هنا
غبار المواطىء في الوطن المستعار
لكل الفصول
وكلي المخادع
كل التكايا
وكنا ولما نزل مرتبطاً
للخيول المغيرة في الزمن البربري
الذي امتد حتى الحشا
وتلك مياسمهم
فوق شَم الجباه
وفوق الوجوه
.. الظهور.. التي لم يزل قبحها
ولم تبقى غير خدور النساء.. استبيحت
بكل العصور النساء!
فماذا تبقى لكم؟! !

* * *

٢٥٥

بيخ.. للحمأة الغيارى
من الأطلسي الى شرفات الخليج
وهل أنجبت حرّة. قبلكم ؟ !
وها ان كلّ الأكفّ
وكلّ الإذاعات والنشرات
وكل المواخير والبصمات..
تشيرُ اليكم !

* * *

أنتيكم، فاحسوا، بعض أنفائكم
هكذا ابتداء الخبز:
«قطعوا بالفؤوس رؤوس الصغار
زنوا بأعراضكم !»
هكذا.. انتهى الخبز
وانّ الخنادق قد أغرقت بالدماء
وأن الرؤوس طفت في الدماء
وأن النساء. استبيحت.
ولم تبقَ اخت لكم أيها الحاكمون
ولم يقتصبها الزناة !

* * *

اقرأوا وابصقوا !
إنه زمن للبصاق !
اقرأوا ما تقوله الصحف المشتراة

اقرأوا ما يقوله كلاب الحراسة في الوطن المستباح
بأنهم... يجهلون الطريق الى المذبحة !
ولا يملكون جواز المرور

ولكنهم يعرفون الطريق
الى.. ما وراء البحار
الى المدن الفاجرات
الى.. العُزفِ المقفلة !

وعما تُصَّب عليها الحقائق
من خازنات تبدل وجهاً بوجه
وعاراً... بعاز !

* * *

بخ لكم.. أيها الحاكمون الغياري
من الأطلسي الى شرفات الخليج
فإننا.. قُتلنا... انتصرنا
كُسيرنا !.. ولكنها جمره الصحو
إن الوجوه.. الأكاذيب
.. والواجهات التي تدعي العمرة الكاذبة !
ولكنها الخدعة التي زنت واستباحث
وها نحن والموت
... واللعبة الفاجرة

* * *

دمّ جفّ أمس
دمّ.. لم يجفّ
وها نحنُ تحت انقائنا
عيونٌ خبثُ
سيشَقُلُ فيها الغضبُ !
لكم طلقّة
وننا طلقّة

سيبقى الدمّ ما بيننا
فاخرجوا من العرابتِ القلاعِ المتاريسِ
إن الحسابُ طويلٌ ولن نَمُحي
ياإمّاءة.. من رؤوسكم ! !
فقد آنّ.. أن يهدرَ المخاضُ الرهيّبُ
وقد آنّ أن تعرّى الخناجرُ تحت العباءاتِ
وتمشي على أرضها الثورّةُ
لا تستعيرُ السلاحَ من القاتلينِ
وتنسفَ كل المعابرِ
ان السهام.. تشيرُ إلى «اللدّ».. و «القاهرة»
لتكشف كل العواصمِ.. أوراقها !

* * *

مسرّحٌ للدمى..
من الأطلسيّ إلى سُرفاتِ الخليجِ
فمن يملكُ فمه.. فليؤدّنْ
على المنائرِ فوق المنابرِ

إن المرائينَ باعوا فلسطينَ
للمرة الالفِ.. وها هم
يبعون أسلابها !
عيون الصغار التي انطفأت
والنساء اللواتي هُتكنَ
على مسمعٍ من السُّطاتِ..
التي تحتسي قهوةَ الصبحِ على نشرةٍ
للاداعاتِ فلم يرتعش برغم الجريمةِ
جفناً لها ! !
وتمسي فتخلع اثوابها..
- وجهها الذي
لطختهُ المساحيقُ -
والسحنةَ الكاذبةَ

وما بين بين.. «تحيا
تموتُ» الشعاراتُ.. والملصقاتُ
واللافتاتُ والخُطبُ الزيفُ
وما غادروا مواقعهم ! !
كأنَّ المعابرَ مغلقة،
والمطاراتِ مقللةً
كأنَّ البنادق قد أُخرِست
فيا لغةَ السلطاتِ اخجلي

* * *

ألا فاحذروا...

ان هذا الذي يسمونه الوطن العربيّ

ستجتاحه الهجمة البربرية

كلُّ.. سيدفع قسطاً

سينشبُ للصمت ظفرٌ ونابٌ

وإنَّ الصواري التي تمخرُ الموانىءَ

إنَّ المطارات.. والغرفَ المُقفلةَ

تموزُ بأسرارها

فإنَّ المذابحَ قادمةٌ

إنَّ خلفَ الظهورِ.. السكاكينَ مُشحذةً !

من يمثُ واقفاً

يعانقُ رشاشتهُ

فلا بدَّ من لغةٍ للتخطي

تردُّ السلاحَ الحكوميّ. محترقاً

في العواصم، العربية

إنَّ الطريقَ الى البندقية

حسبُ أخيرٍ

وكئيُّ الجراحِ التي بعدُ لم تندملُ

ولم يبق سوى الاحتراقِ

أو... الانسحاقُ

* * *

ويا أنتم الذين نسميكم بأسمائكم

ونعرفكم قبل تلك السنين الخوالي التي انصرفت

والسنين التي اصبحت تلك اسماؤكم
غير أسمائكم !!
وقد هجرتها الحروف القديمة
عادت ضباباً
رماداً وما عدتكم
سوى لافتات الطريق العتيق
وقد سارككم وما سرتموه !!
فيا شجرات الخريف التعرت
ولم يبق سوى بعض اوراقها اليبسات
ويا أيها الرجال الأرامل
إن المحطات، قد أبدلت
وإن الاشارات توميء للجمر
والدم والغاضبين
وما كنتم الجمرة.. كنتم
رماد السنين
وما زلتكم في الحضور القديم
غياباً.. وها انتم.. غياب جديد

* * *

مرّ بالأمس من هنا
وجهه الومض والمطرز
صمته الرعد والصخر

دمه النار والحديد

مرّ من هنا الشهيد

* * *

صدره مُشَرَّعٌ للرياحِ

لنارٍ.. ينأى

صمته.. يعبرُ الخنادقَ

والقمرَ الأحمرَ.. الطبولُ تدوي

يتنزى فحيحها !

لم يزل دمه ساخناً،

مَطْرَأً.. للعصافير.. للرصاصِ

* * *

كَانَ مَا بَيْنَهُ وَمَا بَيْنَ مَدْرِيدَ.. خَطُوتَانُ

كَانَ مَا بَيْنَهُ وَمَا بَيْنَ هَانُويَ.. خَطُوتَانُ

كَانَ مَا بَيْنَهُ وَمَا بَيْنَ بَغْدَادَ.. خَطُوتَانُ

١٩٧٧

الوردة.. والزنج

الوردة في كفي تحتضر
تحلم بالشمس، وبالماء، باحلام وردية
وانا اعبر ليل - الاشباح الليلية
أعبر من ظل.. أسقط في ظل، يمتد الصمت وينفجر
الوردة في كفي.. تشحب.. تحتضر

* * *

أعبر من ظل، أسقط في ظل يمتد بعينها
كانت تعبر ظل الشجر المتوحد في الطرقات المنسية
تأكل ثديها..
قتلوه.. قتلوا الله.. بعينها
كانت تسأل عن معنى الصمت، وذلل «الكتب الثورية»
تسأل رب (الحجر الأسود) في قرآن الجدلية
ماذا عندي لك غير الوردة ميتة في كفي..
والشوك بعيني
فأنا مثلك عابر هذي الطرقات المنسية
اسأل عن زيف (التكتيك) وجوف «دعاة الوطنية»
أسأل عن كل دفاتهم.. أترى كانت عريية!
ما زالت، ما برحت جوقات الطبايع

كلّ يعشق سلطته.. ولتسقط ألف «فلسطين»
كانت من قبل... وما زالت سلعة بيع وشراء
كانت من قبل وما زالت في أيدي النخاسين
ما زالت عامرة أسواق النخاسين
أقسم يا رب «البيت»
اقسم ان الزيت.. و «ناقلة الزيت»
أعلى من ألف فلسطين!
أعلى من كل شعارات «القومية» و «الدين»
ما زلنا باسم الصيغ المستهلكة الثورية
ما زلنا باسم شعارات الزيف.. نبيع «الجزر العربية»
ويباع عقال «أبي ذر» في «مكة» بالفلسين
هذا عصر أبي لهب.. عصر «أبي سفيان»
ما زال العبد القرن، وما زال السلطان وحاشية السلطان
ما زالت بعد طقوس «الاقنان»
ما زال الانسان يباع بحفنة تمر، أو حفنة ملح!
ما زال الجرح.. هذا الجرح
ما زالت صرخات الزنج تذر الملح على الجرح
ما زالت بعد الطبقة.. في الطبقة
ما زال التأريخ بدون هوية
ما أكذبنا - لم نتفصد عرقاً، حَجَلاً..
ما زلنا نتشدق بالثورة والثورية!
ما زلنا نخطب، نكذب في كل الموجات..
نثرثر في الصحف اليومية

نزعق خلف مكبرة للصوت.. فما أتعسكم خطباء العربية
ماذا؟ هل ارجعتم شبراً مقتصباً من ارض عربية
كذب في كذب.. فليقرع طبل الطبايرن
كل يعيش سلطته ولتسقط الف فلسطين!
ماذا تعني الجزر العربية!
ماذا تعني الف فلسطين!
بعنا.. ونبيع اليوم فلسطين
ما زالت عامرة أسواق النخاسين
ما زلنا احفاد «ابي ذر» ما زالوا احفاد «أبي سفيان»!
ما زال الوطن العربي المنفى..
ما زال المنفي به الإنسان..

* * *

الوردة في كفي.. تتأجج ومضاً.. جمرأ
رايات «الزنج» عبيد «السبخ» «الأقنان»
الطوفان.. سيجتاح الارض.. الطوفان

١٩٧٧

التائر.. والسلاح

الى الشهيد التائر السوداني «عبد الخالق محبوب
.. ولن تسقط رايته الحمراء»

- ١ -

كنتَ ندلاً.. كنتَ حتى العظم ندلاً.. وستسقى
كأسك المر الذي بالأمس منه.. كنتَ أُسقى
وستلقى.. أو تنسى ما الذي بالأمس ؟ !
سيدور الكأس، والايام، والتأثر.. يدور

أعينُ القتلى تدور
وهي في إثركَ ظلٌ يترصدُ
وهي ما طالَ بها الليلُ واربُدُ
سترى كيف يُشَقُّ اللحْدُ عن ألفِ شهيدٍ.. وشهيدُ
وتدورُ الأرضُ، والاصداءُ، والصمْتُ يدورُ
أعينُ القتلى تدورُ

لم تزل.. حتى وإن طالَ بها الليلُ.. تدورُ
هي في الزنزانةِ السوداء، والظلمة، والجرح.. تدورُ
الدمُ القاني يدورُ
جثثُ القتلى تدورُ
اعينُ القتلى تدورُ

سكبوا في فمه الصمّت، وقالوا لا تعتي
ومشى في ظله الموت، وما زال الصدى
من تُرى يدرأ ريع الموت في ليل التجني !
من تُرى؟ .. رددت الريح الصدى عبر الدروب
كان ملقى.. كان في كل مكان.. كان ملقى..
كان ريحاً.. كان إعصاراً.. وبرقا
اعولت من بعده الريح.. وما زال وراء الليل مُلقى !

كان ما كان.. وما كان السلاح !
ألف منشور، ومنشور.. وما كان السلاح !
واستحالت كتب الثورة بركاناً.. وما كان السلاح !

كان للثورة نجماً، كان أصداءً نشيد
كان لا يغمض جفنيه وفي الأرض جياح وعبيد
كان في المطبعة السرية الحمراء حرقاً يحترق
كان فوق الجدر السماء منشوراً وخذق
كان ريحاً، كان اعصاراً.. وبيرق
يتحدى السوط والجلاد والموت. و «حكام المدن»
عفناً كانوا وما زالوا ويا جل العفن

كان فلاحاً ينامُ الشوك في راحته، في مقلته
كان للثورة والثوار في الأرضِ صدئٌ في مسمعيه
كان في «كوبا» وراء الراية الحمراءً زنداً ولواءً
كان ظلاً يتملى وجهه (غيفارا) شموخاً ومضاء
كان في «الفيتنام»، و «اللاوس» في «كمبوديا» فجرَ انتصارٍ
كان في ليلِ فلسطين.. وفي (غزة) في «اللد» كلاًشكوفَ نازٍ
كان اصراً ولكن.. كان يا ويح الرماد
لم تكن تعرف سبائهُ نازَ الزناد
كان ما كان.. وما كان السلاح
كان تيهاً، وضياءً، كان قشاً في الرياح
أوثقوه، أسندوه للجداز
كان نسرأ، كان تحت المطرِ الناريِّ.. نازٍ
وسقوا في جيبه المنثور، والحربَ دماءً
مال كالنجم.. ولكن كان للشعبِ إله

أترى دون سلاحٍ كان ثائرٌ؟
أترى منشوركم حبرُ المحابزِ!
أترى ثورتكم وهمُ مكابزِ
أترى ثورتكم قبضُ الرياحِ
كان من قبل.. ومن بعد، وما زال السلاح

«ظفار» الحمراء

الدم في ليل «ظفار» يسيل
الدم فوق رماد الاحراش، وحزن الادغال
الدم في الطرقات المسكونة بالريخ
ما زالت بعد قوافل قتلاها
ما زالت بعد تنز دماها
ما زالت بعد تشق ليالي الملح، وذل الرمل، وصمت العاز
ما زالت تُغتال «ظفار»
ما زالت تصرخ بالشرف المثلوم وراء الرايات المطوية..
ما كنتم جمز «القسم الاحمر» في صوت (ابن زياد)^(١)
ما كنتم أسياف «الزنج».. ولا مطراً يغسل عار الصحراء
ما كنتم زهو الشمس، وطهر الرمل، ولون الحناء
ما كنتم غير زناة «المبغى النفطي» ربيبي الدخلاء
وقراصنة الشيطان الثكلي بالسملك الميت.. والاحزان
وبقايا الأشرعة المطوية في ليل «عُمان»
ما كنتم غير مسامير الردة في عرش السلطان
هذا الرق المنتفج تيهاً..
يتوضأ بالخمر.. ونفط الآبار

(١) طارق بن زياد.

من يحرق نפט الآبار !
يا سلطان العصر الحجري.. وما جدوى الاوهام
ما زال التاريخُ يخطُّ على شسع نعال الحكام
يتوجسُّ (طير البرق) نذيرُ «الجيلِ الأخضر»^(٢)
ان يمتدَّ وراء عباءتك الخنجر
يتوجسُّ طيرُ الناوِ
ان تُغتال «ظفار»

* * *

يا سلطان المبعي النفطي، وما جدوى ان تعرى الأسراوِ
ما زالت بعدُ «دكاكينُ» الحكم العربيةُ
تتعاطى كل بضاعات «الصفقاتِ الثورية»
تُظفيءُ باسمِ الطبقاتِ المسروقة «نار الطبقة»
وتهجَّن باسمِ الزيفِ النظري.. «النظرية»
وتحلل باسمِ «العنفِ الثوري» دماءَ الثواوِ

* * *

وسياتي بعدُ زمانٌ عبر زمانٍ.. عبر زمانٍ
تلقى الاصدااء، شعارات الزيف.. وتذوي الكلمات
وستنخم هذا الجيلُ الثوري ويغدو طبقاً من الطبقات
وسياتي بعدُ.. وبعدُ زناة، ولصوص.. ومغول
وسيوث جيلُ الصمت، الجيلِ القن، ويعقبه جيلُ
وتسيل.. تظل تسيل دماءُ «ظفار»

(٢) في ظفار.

الوعظ..

ايلول الاسود

الأرض تميّد، الغضب، الافق يمور
كتأ رعب الموت، وصوت الحرس البدوي المذعور
معذرةٌ خبراء الحرب، فان الارض تدور
كانت عمان - الجرش، الضرم الثوري دماً مطلول
المقتول الالف العاشر تحت بقايا مقتول
معذرة ان وقفت «عمّان» الثكلى تندب موتها
ان تصمت أجراس القدس، ويرفع كأس النصر
ثلاثاً من «الرعدان»

ان تفرع للنصر طبول «الظهراّن»
معذرة ان ظل التاج المهزوز ترصعته
في مملكة المملوك.. جماجم ايلول
هذا الالف العشرين على طبق.. يا مولانا السلطان
هذا رأس ابي ذر، يرفع فوق الرمح المكسور
عيناه تخازرُ اسيافَ الجلادين
تنهض أشباح الشهداء، الالف التاسع بعد العشرين
ترفع اكفان الموتى من ساحات الاعدام يبارق نيران
ترحف عمان المسبية في ليل الاحزان

* * *

يا وطن الموت.. وبا منفى الاحياء الاموات
كمت افواه بندقنا.. سرقتها السلطات
قتلتنا في عز الظهر بناذقنا المسروقة
معذرة خبائر الحرب فإن الارض تدور
الارض.. تدور.. تدور

الحدود

في ليلِ التيه.. وحيداً وقُمير الليلِ
الجرحُ.. يصيحُ بكَ الجرحُ..
اما كنت هنا.. بين الأمواتِ الاحياءِ
«هذا انتَ ال.. واسمك هذا..»
يجلدك الصوتُ الذئبي
- «ونعرفه.. تعرف إنا نعرفه»
اطفاً عُقبَ ل حنينته
القي بجواز السفرِ المُتعب، في الجهةِ اليمنى..

* * *

القمرُ الاسودُّ، والليلُ.. الدربُ امتدَّ الى الوطن المنفى
ظلي يتعثُرُ في ظلي..
يجتازُ سهوبَ التيه
الى ما لا ادريه.. وأدريه

* * *

كان يَزُمُّ الصحفَ السوداءَ
وكان اسمي، يُقتالُ على شفثيه
يدري إني أدريه
طويثُ جريدته السوداءَ

عبرتُ رصيف الموتِ..
الى مالا أدريه.. وما أدريه

* * *

القمرُ الأحمرُ، والصمْتُ، ونهرُ دماه
كان هنالك ملقى..
ورددتُ البابَ وراء الليل
الى ما لا أدريه.. وما أدريه

١٩٦٤

٢٧٤

خيمة.. وهوم (*)

وما كان من قبل
وما كان من بعد.. هذا الذي سمعتم، وما تسمعون
ولما يزل يهتف الهاتفون..
«يعيش.. ويحيا» ومن ذا.. سواة !
له الأمر آتى يشاء.. وآتى ارتأى.. له ما يراه !
وما لا يراه برغمكم لا يُرى
تُرى والحياة التي مُرغبتٌ بوحل الهوان، وعارِ الأساؤ
تُرى.. والعيون التي أطفئت ولم يبق في مقلتيها.. شراؤ
تُرى.. من تُرى فيكم.. منكم ؟ ! يتحدى القراز.. المصير المُهين
وها نحن في «خيمة القتالين»
نبيع - ونعلم علمَ البقير - دماكم، واشلاءكم في القناة
جماجمكم.. فوق تلك الرمال
ولما تزل فوق تلك الرمال...

* * *

وكانت دماة
تهومٌ بين نخيل «الصعيد»

(*) خيمة (١٠١)، خيمة الحياة - ضمت السادات - والاسرائيليين بعد حرب ١٩٧٣.

وكانَ المساءُ.. وفي مقلتها يطلُّ مساءً جديدٌ
وفي نحرها الأنجمُ الزرق
كان المساءُ، وكانَ الوداعُ
ايا (خضرة) الحب، كان اللقاءُ، الوداعُ الأخيرُ
وكانت مياه القنأة
ضراماً، دخاناً، وكنا ذراعاً يلزُّ الذراعُ
وكانَ العبورُ على صهواتِ الرعود.. اللهيثُ
صدى الحشرجاتِ.. النفير
اللهاثُ، الجراحُ تفوزُ
وكان المساءُ.. وكانَ..
عبرنا على صهواتِ اللهيثِ
وكان رفاقُ العبورِ لواءً يثبُّ الرياحُ
وكانت تطلُّ قبيلَ الصباحِ
نجومٌ.. كتلك النجماتِ في نحرِكَ الحلو.. كانت دمايُ
تلون تلكَ النجومُ
فتبدو نجومَ دمٍ في السماءِ
أيا «خضرة» الحب - مرَّ رفاقُ العبورِ
على جثثِ العابرينِ
على مقلتيك، على الوشمِ في نحرِكَ الحلو..
تلك النجومُ.. نخيلُ الصعيدِ
رفاقُ العبورِ.. النجومُ تغورُ..
تغورُ.. تـ.. غـ.. و.. رُ

* * *

جماجمكم، فوق تلك الرمال..

ولما تزل..

جماجمكم صخرات «الهرم»

بعد ألف.. وألف، دماكم تشق الظلم

تعالى «إله الهرم»

هو الواحدُ الاوحدُ !

هو المانع، الواهب، السيد !

بيعكم.. يبيع الحدود..

بيع الجنود.

بقاياكم.. جماجمكم.. وهل من مزيد !

* * *

سجى الدرب، الأرسيسُ الشفاة

وهمسُ العيون.. ووهجُ الغضب

تُرى هل يموت الشعب !

تُرى... والليالي تدورُ وهل.. الف هل !

والعيونُ الغضب !

والزنودُ الغضب

تدور الليالي، الجراح، الدماء، الضحايا.. تدور

تضيق بك الدائرة

تضيق السماء، الدروب.. فأين المفر ؟

تدور العيون، الزنودُ الغضب

وما كنت.. كنت.. فأكبر منك الشعب

* * *

انبئك انى تدور الليالي.. السنون
يقيناً.. واعلم علم اليقين
ستدفن غي «خيمة القتالين»^(١)

(١) النبؤ وقد تحقق.

عَادُوا.. قَبِيلَ الْفَجْرِ^(٥)

تعودون ؟

حسبَ الذي لم يعد.. كفته الرمالُ
وياقاتهم لم ينشها الغبارُ
ويا لمساتِ الحريرِ
ويا وشلاً في الكؤوسِ
فدى الليل، والحر، والساهرين
فداهم نموتُ، ونُدْفُنُ بين الرمالِ العراءِ
سواءً لديهم سواءُ
وكان الذي لم يكن في الحسابِ
وكان الذي لن يكون.. ولكنه الف كانُ
عبرنا اليهم، قُتلنا.. قُتلنا، وخضنا بأحشائهم
وَرُوعَ حتى الحديدُ
وكانت دمانا لهاتِ الوريذِ
وراياتنا في عناقِ السماءِ
وها نحن عدنا.. وعازَ السنينِ

(٥) جنودنا - أبناء العمال والفلاحين، والكسبة.. لم تجف دماؤهم بعد فوق ربوات «الجولان» و «جبل الشيخ».. العائدون منهم.. كسرتهم الحياة.. وكان لهم ان.

سلمتم وهاماتكم فوق اكتافكم !
وياقاتكم لم ينشها الغبار !
نموت ؟ .. فداكم نموتُ، فدى الكأسِ والسامرينُ
فدى ليلكم.. والمجُونُ
وما بيننا الفُ ليلٍ.. وليلٌ..
وها نحن عدنا.. وراء توابيتنا المغلقةُ
أتيناكُم باشلائنا، من وراء الحدود
وهلا علمتم.. سمعتم، بانا انتصرنا، حُذِلنا !
وكان الذي لن يكون..
ولكنه الفُ كانُ !
وسالت دمانا على الأرض ماءً
سقيننا الرمالُ..
وكنا نغني من الموتُ
من الف جرح عتيقٍ.. جديدُ
وها نحن عدنا.. توابيت عدنا
واسماؤنا.. لم تعد بعدُ اسماؤنا
سراباً.. طواها السرابُ
ومن نحنُ منُ ؟ .. في عدادِ الحسابِ !
سوى ان نكونَ الوقودُ
وكنا الجنودَ الرماد
وكان الذي لا يكونُ
ولكنه أَلْفُ.. كانُ

لنا ؟ .. ما تبقى لنا، للرياح ..
لهم ؟ ما تبقى لهم ..
للرياح

١٩٦٧

٢٨١

اغتيال..

ورُسِّتْ على كلِّ أفقٍ دماءُ
نجوماً تنائرُ حمراءَ.. رعداً وبرقا
فلا البحرُ يدري
ولا الصخرُ يدري
ولا المطبقاتُ على صمتهن..
سوى ومضٍ عينين. يضطربان بالجمرِ
لم يَعِدِ العشبُ، والبرتقالُ، يغني المواويل..
وصمَّتْ الهوى
وبوح العيون
وليلُ «البيارات» ما عانقتهُ القناديلُ
والنهاراتُ موحشة كالبياناتِ
باردة.. كالظنونِ المريبةِ

* * *

من يكونُ القتيْلُ الذي سَيقتلُ
ما بينَ أروقةِ السلطانِ
وما بين حوارِ القياداتِ
ومزدحمِ العجلاتِ.. في الطرقِ المُعتمةِ

* * *

ربما كان مثقلَ الخطى
ربما كان يضغط الزناد.. ولكنه..
بين منعطفٍ لا يضيقُ به.. او يضيقُ
هوى جَبَلًا في زحامِ الرصيفِ
ونهرُ دماه
يخضب اسفلتَ ذاك الطريقِ

* * *

ومرت به العجلاتُ مسرعةً
والمصاييح في الطريقِ المؤدي الى القصرِ واجفةً
والمصاييح في الزوايا المُضيئة في القصرِ واجمةً
وقد أعلنت ساعةَ القتلِ في الثانيةُ
وقد أعلنت ساعةَ الدفنِ في الثالثة
ومات حوازُ البنادقي.. في الرابعة ! !

الراجلان..

أَسْأَلُ !.. مَنْ أَسْأَلُ ؟ هل يُجِيبُ ؟
ظلامُ القبر، والصمْتُ الرهيبُ
أُنْشِئِدُهُ، وَمِنْ أَضْغَاثِ وَهْمِ
إِلَى وَهْمِ، تَقَادَفَنِي الدُّرُوبُ
ارِى لِكَمَا بِكِلِّ خُطْبَى خِيَالَا
وَمُرْتَادَا، هُوَ الطَّيْفُ الحَبِيبُ
أَسْأَلُ عَنْكُمَا، فَتَنْدَاةُ
وَيَجْرُعُ هَالِعاً دَمْعَ سَكُوبُ
هَنَا.. وَالذِّكْرِيَّاتِ صَدَى بَعِيدُ
تَلُوْحُ كَأَنَّهَا الأَمْسُ القَرِيبُ
وَكَمِ هَمِّهِمَا، «طَالَ المَعْيَبُ»
وَأَبَ المدلجُونَ، فَهَلْ تَزُوبُ ؟
تَصْرَمَتِ السَّنُونُ وَنَحْنُ سُهْدُ
عَلَى البَلْوَى، وَلِلْبَلْوَى ضُرُوبُ
وَنَحْنُ هُنَا شِفَاهُ مُطْبِقَاتِ
وَمَلءُ إِهَابِنَا وَجَدَ سَبُوبُ

نُسائلُ عنكَ ما ضوى شروقُ
وما ألقى بشارقةِ غروبُ

* * *

فديتكما أبا سَمحاً وأماً
وعفوكم، وإن عَزَتِ الخطوبُ
نأى بي عنكما ليلَ حلوكِ
وهلhel شملنا يومَ عَصِيبِ
وقد أُعيتما عشرينَ عاماً
بما يعيا به الرجلُ الحريبُ
شَقِيتُ خلالها، ورغيفُ أمسِي
كأيامي المريعة لا يطيبُ
ووسدتُ العراءَ نجى همُ
تناهتني الخالبُ والنيوبُ
فجن منفى الى منفى أجوبُ
وقد أودى بأكتافي الصليبُ
وها انا عائدٌ ! هل عُدت حقاً ؟
لأيكما ؟ وهل عادَ الغريبُ
هرعتُ إليكما وطرقتُ باباً
تغشاها الظلامُ فما تُجيبُ
سوى ريجٍ، وأشباحٍ، ووهيمِ
تلوذُ بمقلتيّ وتستريبُ
كأنَّ الأفقَ أطبقَ لا نجومُ

تهدهده، ولا عَبَشُ يُهَيِّبُ
تَنَاهَسَنِي مَشْحَذَةُ نُيُوبُ
وتلطمني مشققة جُيُوبُ
كَأَنِّي عَدْتُ مَغْتَرِباً شَرِيداً
مَهِيضَ الْجَنَحِ، بَعْدَ كَمَا أَلُوبُ

* * *

أسائلُ ! مَنْ أسائلُ ؟ هل يُجيب ؟
ظلامُ القبرِ، والصمُّ الرهيبُ ؟ !

ويزهو.. الرمان !

ويظل صمّتك غربةً، لا ومضٌ لا ألقُ انتظارُ
عادوا وجمر الماء في نَسغِ الجدوزِ
يمور كالأعصارِ
لا عادوا و «سيزيف»^(١) اليسارِ
لما يزلُ ينداحُ ما بين انهيارٍ.. وانهايزُ !

* * *

دُلُكم.. ذلُ الرصاص العتيقِ
يا غابةَ النارِ، ووهجِ الحريقِ
«سيزيف» ما زال.. ولما تزلُ
صخرتهُ.. تزرخُ فوق الطريقِ

* * *

يا وحيداً تمضي ليليه نكلى
سهدتهُ ثمالةً من كؤوسيه
مَن تُرى تصطفيه.. والليلُ داجِ
موحشٍ.. والطريقُ عادَ يبابا !
والرجالُ.. الرجالُ عادوا ذبابا !

* * *

(١) الاسطورة.

ان المسافة بين ان تهب الحياة
سناً، ودفقاً.. واشتعالاً
ان تُسَمِّرَ قِبْضَتَيْنِ
بين الزناد.. أو الرماذ

المخاض

يعبرُ وجهي ظل مرأياً مكسورةً
يتباعدُ ظلي بين الصورة والصورة
ويهوّم صوتي في اعماقِ المدنِ المهجورة
في الطرقاتِ المسكونة.. بالريح
وظلّ الاشباح المذعورة
وتدور الاحداقُ وما زالت
حول الاسوار تدورُ
وتغورُ عيونُ الملح تغورُ

* * *

ما بين شجيراتِ الريحِ المتهدجِ في الصمتِ
علقتُ.. قطراتُ دماء
.. زَهْرَاتُ حمراء

* * *

أمسِ مروا من هنا
زرعوا الليل بالحرابِ
احرقوا الطفل.. والكتاب
أطفأوا الهمس.. والعيونُ

* * *

وتمرُّ الاعوامُ.. تمرُّ الاعوامُ
يا ليل القمر الأحمرِ في «الفتنات»
هل مروا... هل مروا ؟
أه.. لو تنطقُ (سايعونُ)
ستهبُ الريحُ الفيتناميةُ
ستهبُ.. ستهبُ الكونُ

* * *

أه.. لو تنطقُ «محرقةُ الاجساد»
في «داخاو»^(١) الذئبية.. في بوخن فالد^(٢)
لو تنطقُ.. لو.. لعبُ الاطفال المحروقين
هل مروا.. مروا ؟ مروا ؟
أه.. لو تنطقُ «برلين»^(٣)

* * *

ما بين حقول الارز.. وبين الالغام
ما بين مخاضِ الطفل، وبين الاعدام
يتوهجُ.. «عصرُ الفيتنام»

(١) داخاو.. معتقل نازي قرب برلين..

(٢) بوخن فالد.. معتقل نازي آخر قرب (فايم) للمحارق البشرية.

(٣) عاصمة النازيين.. تحولت الى رماد.. وارتفع العلم الاحمر فوق «الرايخستاغ».

الأغنية التّجدي.. لم نُكتب بعد !

ولو اتنا بعدُ.. لم نكتبِ الأحرفَ الجمز.. لم نحترقُ
ولم نصعدِ الطرقَ الموحشات
ولكنها الليلي، المواقد للنار..
وما غادرَ السرُّ بعدُ.. الشفاة

* * *

ستظلّ النجومُ باردةً تمتلى السماء
الدروبُ واجمةٌ كالصخورُ
تظلّ البيارقُ مطويةً، لن تمرّ الرياحُ بها
ولم تلتصقْ في الترابِ الجذورُ
وما هلهلّت طلقاتُ المساءِ الأخيرُ
ومن أينَ للعيونِ الإشارةُ في البدءِ !
ولكنها تظلّ مسهدةً.. تظلّ المسافاتُ بين الإشارةِ والبدءِ. واجمةً
فلا تسألوا الريخ،.. ان الشراعَ
ولما يزل بعدَ نهبِ الرياحِ
وما أعلنتُ (ساعةُ الصفرِ) ميلادها..
ولم تتقدّ عتمةُ النكباتِ التي تسرقُ الشعبَ.. والسلاحِ
وتبقى بناذقكم خشباً لا تجيبُ..
وهذا الذي باعكم واشتراكم الف مرةً دون ان يستريب

يبعكُم من جديدُ
فكل الدروب تؤدِّي الى «تل أبيب»
وما زلتم سلعاً للنخاسة في الوطن العربي
وكل عواصمه المقفلات...
وما شرفَتْ سلطَةُ سلطَةٍ
عشقتْ عرشَها الملطَّحُ بالقيءِ
ولما نزلُ بعدُ تنزُّ الجراحِ..
الدماء.. الصديدهُ.. تنزُّ الجراحُ !

* * *

ستشرق شمسٌ.. وتغربُ شمسٌ
سيزحف «تل الحيانة» للحكم
ويسقط رتلُ الحيانة.. في الحكم
فمن ينسفُ التُّكناتِ
ومن يشعلُ الثورةَ التي.. ليس ترتدي
بدلةَ العسكريين..
ولا جُبَّةَ الفقهاء التي لها الف رذن
فلا تعرفَ اليسارَ.. اليمينُ !
الهجين الذي بينَ.. بينَ !
فتمَّ رداءً لمن يرتدي
وتم ادعاء لمن يدعي
ويصدأ الرصاصُ
وتغرقُ في صمتها البندقيةُ

* * *

النازُ وليس سواها النازُ
يا اغنيةً لم تُكتب بعدُ..
وما رددَّها التوازُ

١٩٦٧

الصمت

لم يكن بيننا سوى الصمت
يمتدُّ بين الدروبِ التي ابتدأتْ
والدروبِ التي.. بعد لم تبتدئْ
ان ماء الصخور ينساب في الصمتِ، يشرق الضوءُ
دونَ نأمةٍ.. أو صدى

* * *

ربما، عبر الجانب الذي تتقابلُ فيه
ربما تتقاطعُ.. او تتوازي.
ولكنها الدروب.. المنافي..
تمر الرياح.. اشعةً تنطوي.. وتُنشَرُ
لا تغرقُ الموانئ شطآنها
والمطارات لا تنطفي مصابيحها
ترحلُ المسافاتُ.. وليس سوى الذكريات
ينأى بها الأمل..
تذبلُ.. او تورقُ الذكرياتُ.. ولكنني
لم أعُدْ في الرصيف المكابر منتظراً
فأني انتظرتك.. اوقدتُ ناري
فلم تقترب.. ولم تبتعدُ

وها ان تلك المسافات موحشة
ولم تبقى نافذة تطلُّ عليك
وكنت.. كما كنت، برقاً ولا مطر

* * *

في المساء الخريفي.. ترتحلُ الذكريات
يرتحل العاشقون..
وما عادَ منهم أحد..

١٩٧٦

بودابست ١٩٨٦^(٥)

ماتَ الصباخُ
فلا سنا النجم الصغيرُ
ولا صدَى للأغنياتِ الهائماتِ مع السَحَرِ
بالأمس، كان هنا.. وقبل امسِ صدَى خطيِّ للعابرينُ
تشقُّ أعطافَ الدروبِ
وحيث «بائعةُ الزهورِ»
تشدو مع الغَيْشِ.. الأخيرِ
* * *

مات الصباخ
كأنَّ أصداءَ العصورِ
تمورُ في وادٍ سحيقِ
كأنَّ أرضاً بي تموزِ
كأنَّ طاحوناً تدور، ولا تدورُ
ولهاثُ مدخنةٍ.. تصاعد كالغرابِ
كألفِ جنٍ. شقَّ اجوازَ الفضاءِ
وصدَى عميقِ
ظمانَ يهتفُ للدماءِ..
«قائيلُ».. والجرحُ العتيقُ
* * *

(٥) كانت بودابست تحترق في حجم الثورة المضادة ١٩٥٦.. كان الشاعر هناك.

مات الصباخ.. وكان أمس هنا
ظلّ.. وشطآن يغنيها الهوى
زهوانة الأطياف. ماج بها السنا
من بالها.. شاهت، فلا ألقّ.. ولا..
ربداء.. حاقّ بها الدجى

والرعب، والصمّتُ الرهيّب
شوهاء.. حاكّ لها الردى. كَفَرَنَ المغيّب
* * *

لهفَ الربيع.. فلا صدئُ للاغنيات
الهائمت، الشاردات مع الروابي.. والتلولُ
ولَهْفَ آهات الوتر
وظمأ يحرقه الهوى

ورؤى.. يهددها السّمخز
حتى اذا ما هَوَمَ الكأسُ الأخيرُ
وشقّ أستار الدجى نجمُ الصباخ
دوى قطارَ وارتمى عبر «المعامل» و«الحقول»

* * *

الصمّتُ.. والآه الجريح على الشفاه
ترمدتُ بَسَمَاتِهِنَّ مع اللظى، والرعب، والدم، والرمادُ
ستشّب.. وتضرم من جديدُ
النار... تضرم من جديدُ
.. ولن يعودُ
لن يعودُ
غَدَ العبيدُ

بودابست ١٩٥٦

الدانوب

الأفق، والسحب الصغار الشاردات
كأنهن غلائلُ العذراء ترفصُ للريغ
وللفراشاتِ السكارى الهائماتُ
على دروبِ الزهرِ.. يرشفنَ السنا
وانا... أعزُّقُ في ضفافك ناظريَّ فيغرقان
مع الموجاتِ الصغائرُ،
ورجع أصداءِ الزمان
وتمرُّ أشرعةٌ تمرُّ وتختفي، بيضٌ كأجنحةِ الحمام

* * *

دانوب.. يا همسَ الشفاهِ المطبقاتُ على الجراح
وأهةُ الناي الحزينِ وراءَ أطيايفِ الصباح
دانوب... يا دانوب، كم شاهتُ أعاصيرُ الرياح
وتكشَّرتُ فوق الضفافِ الحمرِ آهاتِ احتضارِ
كم أمطرتك يد الردى لهبَ الفناء
ومزقت حلُمَ المساءِ
فلا صدئى عبثَ الدروب...
وغير أشلاءِ تهوِّم من الدماءِ
وظلالُ طفلٍ مات من لفح الظما وعلى الشفاهِ سرابُ ماء

وتناثرت كسُرُ المرايا
لم يبق ظلٌّ في الحنايا..

* * *

دانوب.. حتى لم يُعُدْ للنجم همسٌ في ضفافك
العشبُ.. ماتَ على ضفافك
وتدور من خلل الرماد
تدور اسواژ.. تدورُ
فلا سنا يندأخ من ليج الظلام
حتى إذا سُئلَ الزمانُ.. فلا وراءَ ولا أمام
شهِقت وراءَ الأفقِ تعصفُ بالهشيم،
ويهلُّ فجرك فوق أعشابٍ تضمَّخها الدماءُ
(النجمَةُ الحمراء) بعضُ شعاعِها تلك الدماءُ

* * *

وأنا اغرقُ ناظري.. فيفرقان
مع المويجات الصغار..
ورجع أصداء الزمان
دانوب.. يا دانوب.
يا همسَ الشفاو.. المطبقاتِ على الجراح
وآهة الناي الحزين
وراء اطياف الصباح !

بودابست ١٩٥٤

رحيل أبجي.. والمنفك !

الصمتُ والليلُ ونجمُ الشرى
ولم يزل يصرخ في أعماقك.. الصدى
ولا يرد الصمت
ولم تزل تعتمر الضباب
يا أيها الليل.. غداً ينسدُّ الستار
ولم تزل للتيه. للسراب
يا ألف بابٍ في سهوبِ الليل.. في زناتني يصطفق
ولا قدوم زائرٍ.. سوى صدى الرياح
ورايةً سوداء، والغيوم، والدموع
والغيوم.. والدموع
ورجعُ اصداءٍ تشق وحدتي
تقول لي.. ابوك ماث

كان له قلب من الصخر الذي لا يبوح العشب..

لا

كانت له عينان كالبحر، كأعماقه

في صمته الأشواق والحنين

كانت له يداين مكدودتان

كان يرى يدري، اني لها
نذرتُ أيامي، ولكني كسيرُ الجناح
وقبل أن تلمح عيناه شراعَ الصباح
مات أبي... .

مات.. فُتِيل الصباح

يا ألف باب في شحوب الصممتِ في زنراتي تصفق
ولا قدوم زائرٍ.. سوى صدهاء
عيناهُ لا تحلمان
يداهُ. لا تومئان
ولا صدئ.. سوى صدى الرياح

* * *

يا أيها الشريدُ، والغيومُ والدموغُ
وأفقُ هذا الليل راياتٌ من الشموغُ
وألف باب في الدجى... تصطفق
ولا قدوم زائرٍ
سوى صدى الرياح
سوى صدى الريا...ح

بيروت ١٩٦٥

الحرب والسلام

ملحمة شعرية

١٩٨٣

ترجمت هذه القصيدة الشاعرة الروسية (اللاكراديستيا) الى اللغة الروسية شعرا، وعنهما
قام بترجمتها مكتب الترجمة في مؤتمر الشعوب في فيينا الى اللغات الافرنسية والانكليزية
والاسبانية والالمانية ونشرتها جريدة المؤتمر بهذه اللغات

مقدمة

الدكتور جورج حنا

لم تسبق لي معرفة بالشاعر العراقي كاظم السماوي. ولا اعرف اذا كان أبيض اللون أو أسمره، ولكن ما لا يمكن إلا أن يكونه، نفساً ثائرة متمردة، وانسانية أبية سامية، وفكراً تقدماً مجدداً، وشعلة من شعلات النور والحرية في عالمنا العربي. ان ملحمته التي بين يدي تقول لي أنه كذلك.

هناك خلاف في وجهة النظر الى الشعر من حيث الغاية منه. من الشعراء أو نقاد الشعر من يعتبر ان للشعر غاية وحيدة هي اللذة العقلية وسمو النفس، واثارة المسرة أو الحسرة في الصدور وأن لا شأن للشعراء في أن يشغلوا أنفسهم بالحقيقة، والذهن، والواجب والضمير، واذا شغلوا أنفسهم بشيء من هذا فيجب أن يكون اشتغالهم بها بصورة عرضية فقط. هؤلاء هم الخياليون وسكان الأبراج العالية، الذين لا يرون للشعر قيمة الا في ذاتيته. ومنهم من يعتبر ان الشعر تعبير عن نفسية الشاعر ومشاعره، يستمدّها من واقع الحياة، فيسكبها في قالب يستطيع بواسطته الوصول الى قرائه أو مستمعيه، عن أعذب الطرق، لبلوغ غاية يرمي اليها، وهي سعادة الانسانية وخلاصها وتثقيفها وتوجيهها. فالشعر بنظر هؤلاء ليس فناً قائماً بنفسه، ولا قالباً جميلاً وحسب، انما الشعر ذهن وحقيقة وواجب وضمير وثقافة وعلم أيضاً.

على أن أجدود الشعر بنظري على الأقل، وأظنه بنظر الكثيرين غيري، هو ما يجمع بين الغائيتين، اي بين اللذة العقلية والشعور النفساني، وبين الارشاد والالهام الذهني والفكري والضميري ؟ بحيث لا يكون الشعر قالباً فناً

وحسب، كما ارادته «جورج ساند» مثلاً، ولا يكون صناعة مثل سائر الصناعات، لها غاية مقصودة تستهدف بلوغها، دونما نظر الى روعة الوسيلة وتأثيرها في بلوغ هذه الغاية.

على ضوء نظرتي هذه في الشعر، استقبلت الملحمة التي جادت بها قريحة السماوي وطربت لها. فشاعرنا جمع في ملحمة عن السلم والحرب، كما جمع قبلاً في (أغاني القافلة)^(١) بين الغائتين. فهي تثير في القارئ شعوراً نفسانياً وهو يقرأها، ثم لا تلبث حتى تنتقل به في ثورة نفسية كلما استمر في قرائتها، حتى اذا انتهى شعر بشعور الشاعر، وأحس بدافع يدفعه الى مشاركة آلامه وآماله، وأحس بدافع آخر يدفعه الى النقمة على مبعث الألم والارتياح الى مبعث الأمل، ثم يدفعه أيضاً الى عمل ما، يقضي عليه واجبه الضميري والانساني.

انظر ايها القارئ كيف يغور بك الشاعر الى مكان الألم ويبعث فيك روح النقمة على مسببه.

ويكل درب قلب والهة تولول هل يعود
أو لا يعود الخ وزوج أو حبيب، والحشود
من الجنود العائدين تمر في اثر الحشود
تجر سيقان الهزال من القتال
او العيون المرمضات من الكلال
وتظل ما بين الحشود
ولهى، تغمغم هل يعود
ويزمجر الصوت البعيد

(١) ديوان شعر للسماوي.

من الفناء، عبر الوجودُ

لا لن يعود، ولن يعودُ

ثم ينتقل بك الى نعيم الامل ويزحزح عن صدرك كابوس الهموم:

وغدا سينتفض العبيدُ

ويهل للفجر الجديد

سناً تُدك به السجون أو المعاقلُ والحديدُ

يذوبُ في اللهب المبيدُ

وسوف ينهارُ الجدار الاسودُ

ويموج، يدفع بالشعاع لنا الغدُ

فوق الحقول الزاهياتُ

وفي صفير القاطراتُ

وفي المعامل والدروب، يموج يرتعش السنا

ولنا الحياة، لنا الدنا

وغداً ستزدهرُ العصورُ

مدى الحياة، مدى الدهورُ

كأنه الحلم البعيدُ

يلوح في الفجر الجديدُ

لقد احسن شاعرنا اختيار موضوع الحرب والسلم للمحمته، فالحرب والسلم
موضوع الساعة والحديث عنه مالىء الدنيا وشاغل الناس. ولست أشك أبداً أن
هذه الملحمة العميقة المعنى ستبعث في قارئها روح الحقد على دعاة الحرب
وتهيب بهم الى النضال من أجل السلم والحرية والانعقاد.

الحرب والنيلم

- ١ -

ما زالَ يعلُقُ بالحِرابِ
دَمٌ يَسيلُ، وليسَ ينضُبُ، بانسيابِ
يظَلُّ يَهْدِرُ، ثُمَّ يهدُرُ باصطخابِ
وتظَلُّ امواجُ تَسيلُ، وليسَ تنضُبُ
من دموعٍ، من دماءٍ، من لهيبِ
ذابتَ بِها مِرْقُ الجفونِ او القلوبِ

* * *

وتَهوُّمُ أَلَشباحِ يزحمَنَ المَدَى
في عتمَةٍ رِداءِ بُحِّ بِها الصدى
وَحَفيفُ أَجَنحةِ العُرابِ
يجوسُ أَطلالَ الحِرابِ
وتضيءُ من خَللِ الضبابِ
بَسَماتُ أَطفالِ تَعورُ وتنظفي بدمِ الشِبابِ

* * *

وتلوحُ من خَللِ الضبابِ
أُمَّ تَمزُقُ تُدبِها، وسقى الترابِ
دَمُ الرضيعِ، يفورُ في وَهَجِ الحريقِ

ويستحيلُ الى رماذ
يُداسُ في جنبِ الطريقِ،
ومديهُ الجَزَارِ تصعدُ في الفضاء...
حمرَاءَ تَقَطُرُ بالدماء
وتلوحُ في وَهَجِ الشَّفَقِ
لَهَباً يَمُورُ على الأفقِ

* * *

وتعودُ من خللِ الضبابِ
أطيافُ شيخٍ ما يزالُ مطوقاً عُتْقَ الحفيذِ
وبقيةً من لحمه فوق الصعيدِ
ذَابَتْ فسالت من صديدِ
تسقي التراب...

* * *

والوحشُ عَبَّرَ البحرَ يسألُ من جديدِ
وملاء شذقيه العظامُ أو الدماء
بأي دمع، أو دم، أو حلمة بغم الوليدِ
يسقي الترابُ أو الرمالَ، أو التلوجُ أو الحديدُ ؟

* * *

وتهبُّ عاصفةٌ ويضطرُّمُ اتقاذ
ويطير من هنا ومن هنا حصادُ
من الدماء واللحم يُبَثَّرُ في الفضاءِ
وتطوفُ اشلاءً بأمواجِ الدماء

وتُدكُّ هاماتُ البيوتِ على الثرى
يبدأ، وتخنقُ في الدخانِ الحشرجاتُ،
فلا تعي همس الحياة، ولا ترى
الا الدخان، أو الدموعَ، أو الدماء
وتظلُّ تصفرُّ في الفضاء
ريخُ الفناء...

* * *

ويخيمُ الليلُ الهلوكُ يشدُّ استارَ الظلامِ
على (الثمالة)^(١) في الخرائبِ، والدموعُ
تغيمُ فيهنَّ المدى، وإذا الصدى
للبرقِ، للرعْدِ المزلزلِ، والجموعُ...
أثرُ الجموعِ، تشقُّ استارَ الظلامِ
وسنا الشظايا الحُمُرِ تخترمُ الفضاء
وذرى الشواهي تختفي برشاشِ نازٍ
وإذا ثمالاتُ الخرائبِ، والدروبُ
قد استحلنَ الى هياكلَ من عظامٍ
او استحلنَ الى مسوخٍ من صديد، أو نثار...
* * *

وتولولُ الريخُ العصوفُ، تذرُّ اكوامَ الرماذِ
من البيوتِ الهاوياتِ
تعبُ اشداقِ العَدَمِ

(١) بقية الجرحى والمعزة والمشوهين

ومن الدماء اليابسات
على الثرى، ومن الرمم
ومن العيون، من الشفاه، من القلوبِ الداميات
تذُرُ اكوامَ الرمادِ وتستحيلُ الى الظلم
وتلولُ الريخِ العصوفُ
على التلال، وفي الكهوفُ
كأنَّ انسانَ القرونِ السالفاثُ
من كهفه المهجورِ يُبعثُ للحياةَ !
وكأنما أخذتْ بأعناقِ الدهورِ
هذي السلاسلُ، فهبي واقفةً تدرؤُ
الى الوراء، الى الوراء، الى القرونِ السالفاثِ...
تسير خجلى وهي تعثر بالتلول من العظام
من الدما والوحدل في المستنقعات
وكأن انسانَ القرونِ السالفاث
من كهفه المهجورِ يبعث للحياة ! !

* * *

وبكل درب قلبُ والهية تلولُ هل يعودُ
أو لا يعودُ؟ أتحُ وزوج، أو حبيب، والحشودُ
من الجنودِ العائدينَ تمرُّ في إثرِ الحشودُ
تجرُّ سيقانَ الهزالِ من القتالِ
أو العيونَ المرمضاتِ من الكلالِ
وتظل ما بينَ الحشودُ
ولهي تغمغمُ هل يعودُ ؟

ويزمجزُ الصوتُ البعيدُ
من الفناء، عَثِرَ الوجودُ...
لا لن يعودُ، ولن يعودُ...

* * *

وتعودُ للبيتِ الكئيبِ ولا تعودُ ! !
لمن تعودُ لمنْ؟ وشطَّ بها الشرودُ
- بابا - وتهتَزُّ المهودُ...
ويزمجزُ - الصوتُ البعيدُ -
من الفناء... لا لن يعودُ ! !

* * *

في الخندقِ المهجورِ عَثِرَ البَحْرُ قد صَمَّتْ يداهُ
صورَ الحبيبةِ - كلُّ ما صَمَّتْ يداهُ ومقلتاهُ من الحياةِ
في الخندقِ النائيِ البعيدِ، وقد تَخَيَّطَ في دماهُ
وتردُّ الامواجُ أصداءَ تردُّ لن يعودُ
وهناك ما بينَ الحشودِ العائدينِ من الجنودِ
ولهي تغمغمُ هل يعودُ؟ وهل يعودُ؟؟

* * *

وتضجُ أَرْصَفَةُ الشوارعِ والحدائقِ والحنايا
بالعائدينِ من (الرحى الحمراء)^(٢)، من وادي المنايا
يتسكعونَ وَلَمْعُ أوسمةِ الحديدِ على الصدورِ

(٢) الحرب.

تيها بما سفكوه أو ذرّوه في وهج السعير
ما زالت الأيدي تلطّخها دماء الأبرياء
ولم يصكّ صدى النداء...
اسماعهم أن يسخروا بدم القتل
هم هؤلاء العاطلون على الرصيف
الزاحفون الباحثون على الرغيّف
ألقي بهم سفاكو (شيكاجو) و (مرسيليا) وقطاع الطريق
من اللصوص، من القراصنة الذئاب، من الرقيق...
في (الدردنيل) و (لندن الحمقاء) جلادي الشعوب
الشاربين دماءها، والنابحين، المشعلين لظى الحروب
وقد تعانقت الشعوب
فأيّ درب يسلكون ؟
وقد تشابكت ألاكف
فأيّ كف يقطعون ؟
أأكفّ مكدودي المعامل والمرافئ والحقول ؟
عزّ المهامه - ما يزال - يشدّها عبر السهول،
عزّم الى غديها المنور بالحية والسلام
وقد تعانقت الشعوب ومزّقت حجب الظلام
فأيّ درب يسلكون ؟
وأأيّ كف يقطعون ؟

* * *

وتجلجلُ الأصداء بين البيض أو بين الزنوج
في (الميسيبي) في (جورجيا السوداء) ما بين المروج

في (بُردواي) على موانئ، والجسور، أو البروج
اصداؤه (جوزيف)^(٣) يُهيبُ الشارينُ
دماءً (جون)^(٤) على الرصيف، ولن تلينُ
عزَماته تُهدي الرفاقَ السائرينُ
الى التحرُّر، أيُّ عارٍ أيُّ عازٍ !
هذي المشانقُ للبعيدُ
يلهو بها ملكُ الحديدُ
أو النحاسِ أو الزيوتِ، أو النضارُ^(٥)
أو تصطلي بشواظِ نازٍ ؟
هذي الشعوبُ وأيُّ عازٍ ؟
ألأجلِ أربابِ الزيوتِ أو الحديدِ أو النضارِ ؟

— ٢ —

صوتٌ من (الشرق)^(٦) البعيدُ
من أفقِ (آسيّة) المديدُ
مع الرياحِ العاصفاتُ
في حمأةِ المستنقعاتِ
مُدُّ الشراخِ على اللهبِ
على دمِ الشعبِ الصيبِ
يُعيدُ ما لصَّ الذئبِ

(٣) جوزيف نورث: الشاعر الامريكى الانسانى المعاصر

(٤) جون: من حمالي ارضة الموانئ الامريكية

(٥) النضار: الذهب

(٦) الصين

من ناطحاتٍ للسحابِ
وما استحالَ من المطاطِ
الى سلايِلٍ، او سياتِ
تدمي ظهورَ الجائعينِ
من الحفاةِ الكادحينِ
في حماةِ المستنقعاتِ
مع الرياحِ العاصفاتِ
شعلوا الفتيلَ من الصخورِ من الهواءِ
من الرغيفِ من الدموعِ، من الشقاءِ
من ظلمةِ الاكواخِ، من نارِ توجَّحِ في الصدورِ
من جائعِ عارٍ ومن كَفَنِ تَمَرَّقَ في القبورِ
من هجعةِ الاجيالِ في ذلِّ، ومن حقدِ يفوزُ
مُدُّ الشراعِ على اللهبِ
على دمِ الشعبِ الصبيِّبِ
يعيدُ ما لَصَّ الذنابِ
من ناطحاتِ للسحابِ
من وَغْدِ (فرموزا) وأعلاقِ الدمِ
ما زالَ أحمرَ قانياً في المخطِّمِ
ستخطُّ قبركِ كلَّ ذراتِ الرمالِ
حولِ (الجزيرة)^(٧) هي تضطرمُ إشتعالِ
ويلفكُ الموجُ المزمجُ للزوالِ

(٧) جزيرة فرموزا

وتشْبُ ادغَالُ (الملايو) وهي تفتحُم القِلاغُ
بدم الضحايا، باللهيبِ، وفوقَ اشلاءِ (الرعاعِ)
تشيدُ صرَحَ غِدِ الحُفَاةِ المدقعين، غِدِ الجِيعِ
في الغابِ والمستنقعاتِ
وحيثُ يمتصُّ الطغاةُ
من الوجوه الشاحباتِ
من ألاكفِّ الراعشاتِ
دمَ الجِيعِ، دمَ الحفَاةِ
يطفُو ويرسبُ في الكؤوسِ المُترعاتِ
بدمِ القلوبِ، دمِ العيونِ، دمِ الرثاثِ
دمِ الضحايا، باللهيبِ على الدماءِ مُدَّ الشراغِ
وفوقَ اشلاءِ الرعاعِ
تشْبُ ادغَالُ (الملايو) وَهِيَ تفتحُم القِلاغُ

* * *

وتشقُّ استارَ الظلامِ
حمرَاءَ تهدرُ باضطرامِ
ومن القلوبِ، من العيونِ، من الدماءِ، من العظامِ
تجري وتهدرُ في الحقولِ
وفي الروابي والسهولِ
كالسيلِ نازِ (الفيثنام)...
تجتاحُ ما علقَ الطريقِ
من الغزاةِ العابرينِ مدىً بعيداً من بعيدِ
وتُذيبُ في اللهبِ المبيدِ

رَمَمَ القِيودَ ولا تَعوِذُ...
والرِيحُ تصفُرُ في الظلامِ
وتظَلُّ تَهْدُرُ باضطرَامِ
كالسِيلِ نازِ «الفيتنام»

* * *

ونشيجُ مُحْتَضِرٍ تَلْفَعُ بالهجوِغِ
وصدى الرصاصِ يَمُوزُ، يَخْتَرِقُ الضلوعِ
وللحراِبِ فحيخُ أفعى، وهى تخرمُ البطونِ
من الحبالى، والمخالبُ وهى تقتلعُ الجفونِ
وذبالَةٌ للنورِ تسطعُ بالدماءِ وبالدموعِ
ولم تزلْ فوقَ الثلوجِ، هناكِ تسطعُ باتقَاذِ
ضوَّتِ (غراموس)^(٨) السَّمُوخِ، على الروابي والوهاذِ
تلكِ الذبالةُ لم تزلْ في الأفقِ تضمها الرياحُ
عَبَرِ الجبالِ البيضِ تخفقُ بالدموعِ وبالدماءِ والجراخِ
وبالضحايا، بالقبورِ الهاجعاتِ على الروابي والبطاخِ
مَدَّتْ الى غدها الشعاعُ من الظلامِ...
من المماتِ الى الحياةِ، من الرمادِ الى الضرامِ
وعلى ثراها سوفَ تنتثرُ القلوبُ
وتخزُّ إجلالاً قوافلُ للشعوبِ
ولسوفَ يحصنُها الخلودُ
وسوفَ تضطرُّمُ الوعودُ

(٨) جبل الثوار في اليونان.

وبالعهودِ الدامياتُ
ان لا يعودَ غُدُ الطغاةُ...

* * *

ومن الجراحِ الحُضْرِ في افريقيا السمراء، في لفتحِ الهجِيرِ
تجتازُ عَيْرَ الغابِ اصداءُ النذيرِ، وللسعيرِ
لُظي يحرِقُها الكفاحُ فيغتلي حتى الجمادُ
في كلِ واذ...

وفي ربوعِ المشرقِ
بصقتْ على ديمقِ المَدِيلِ، دمِ الطغاةِ الازرقِ
(مالان)^(٩) والليلُ الرهيبُ سيجتليه سنا الشروقِ
وقد تهزأتُ «العروقُ»

فلا دمٌ للبيضِ يستامُ العلوجُ
- من الضبايحِ الناهشاتِ - به الزنوجُ
والمجدُ للانسانُ

من أي لوي كانُ
والخزيُّ يا (مالانُ)
والموتُ للمقرصانُ
مستعبدِ الاوطانُ

* * *

وهنا على رملِ (الجزيرة)^(١٠) حيثُ يكتحلُّ العبيدُ

(٩) مالان: رئيس حكومة جنوب افريقيا. الطاغية العنصري وارث النظرية النازية العرقية.
(١٠) الجزيرة العربية.

(بالكاديلاك)^(١١) الحاطراتِ تقلُّ «قاروناً» جديداً !
 وحولهُ المتمرغونَ على الترابِ
 العاصرونَ مُنى الحياةِ من السَّرابِ
 الناقمونَ على الهوانِ، على العذابِ
 وتظل تدفقُ بالنضارِ وبالرغابِ
 هذي (الأنابيبُ)^(١٢) الطويلةُ عبْرَ صحراءِ العَرَبِ
 للمشعلينَ لظى الحروبِ، الموقدينَ سنا اللهبِ
 من بئرِ (كركوك)^(١٣) ومن زيتِ (الجنوب)^(١٤)
 وحولهُ المتمرغونَ على الترابِ....
 سيُشقُّ للفجرِ القريبِ دُجىً يجهمها الذئابِ
 من الطغاةِ، من البرابرةِ اللصوصِ، ولن يعودُ
 للكاديلاكِ تقلُّ قاروناً جديداً
 بل للجياحِ الكادحينِ
 المجدُّ والوطنُ السعيدُ

- ٣ -

... وغداً سينتفضُ العبيدُ
 ويهْلُ للفجرِ الجديدِ
 سناً تدُّكُ به السجونُ أو المعازلُ... والحديدُ
 يذوبُ في اللهبِ المبيدُ

(١١) من السيارات المترفة.

(١٢) انابيب النفط.

(١٣) مدينة النفط العراقية.

(١٤) المقصود آبار النفط في جنوب العراق في منطقة (الزبير).

وسوف ينهار الجدار الأسود
ويموج، يدفق بالشعاع لنا العُد
فوق الحقول الزاهيات
وفي صفيح القاطرات
وفي المعامل والدروب، يموج، يرتعش السنا
ولنا الحياة، لنا الدُّنا
وغداً ستزدهر العصور
مدى الحياة، مدى الدهور
وترفُّ اجنحة السلام
وتغورُ اشباح الظلام

* * *

وغداً ستبتسم النجوم
في الأفق من خليل الغيوم
ويطلُّ إشعاعٌ جديدٌ
على الضفاف، على الحقول
من السنايل... والتلول
أو الجداول... والأغاني للحصاڤ
سكرى، تردها الشفاة الهامسات
أو القلوب الخافقات
وفي المهود الحانيات
يموج اشعاعٌ جديدٌ
زهوان يبسم للوليد

وفي الرياضِ العاطراتُ
بغامِ اطفالِ، وسقسقة الطيورِ
فوقِ الاراجيحِ الصغيرة...، والزهورِ
كأنها الحُلْمُ البعيد
يلوحُ في الفجرِ الجديدِ

* * *

وصدى اللحنِ الساحراتِ الغامراتِ مدى الفضاءِ
تنسابُ كالشلالِ تهتفُ بالحياة، وبالرجاءِ
وبالغدِ الجبارِ، بالاملِ المنورِ، والصدى
يروى القصيَّ من الزمانِ ويستثيفُ الأبعدا
ومواكبُ التاريخِ تهتفُ من بعيدِ
وتجتلي الأطيافَ في الفجرِ الجديدِ

* * *

وتدبُّ ما بينَ الدروبِ الحلماتُ
تشقُّ أغلالَ الصباحِ
هذي الجموعُ المنشداتُ
وفي الغدوّ وفي الرواح...
كأنَّ اصداةَ اللحنِ على الطريقِ
تروي لنا احلامَ عانٍ لا يفيقُ
نشوانَ يحلمُ بالحبيبِ وباللقاءِ
في واحةِ الحبِّ المعطرِ بالهناءِ

* * *

وبكل مدرجة يهلُّ من السجوف
هذا الشعاعُ الارجواني الشفيف
يلقي الرشاشَ من السنا فوق الصخور
أو الشواطىء، فهي من جذلي تمور
مخمورة، نَفَصَت غَلالاتِ الدهور
يسنا الربيع، وحيثُ يُستاف العبير
وحيث تزههُ القفارُ المجدبات
من الحقول، وتغتدي المستنقعات
عرائساً، تَدوي بهنَّ الصافرات
من المعاملِ...، والقبابُ الشامخات
للمبدعين، وحيثُ يجلو الداجيات
فكراً، وزندٌ بينانٍ وبيدعانُ
غَدَ الشعوب...، غداً بأعماقِ الزمانُ

* * *

غداً تغيضُ بهِ الدموعُ من الجفونُ
من القلوبِ الواجفاتُ
ولن ترى غيرَ العيونُ
يشعُّ فيهنَّ الفتونُ
او الشفاهة الهامساتُ
رسيسِ اطيابِ اللحونُ
أو الثغورَ الباسماتُ
المشرقاتِ على الحياةُ

بالسحر، بالحلم البعيد
يلوح في الفجر الجديد

— ٤ —

وغداً سيندلع اللهب
وسوف يجتاح الشعوب
ما لم تمدّ يداً تشدّ يدي
عهداً، وتدليج في الظلام المرئيد
حتى يهمل من الدجى فجر الغد
من قبل ان تغدو بأشداق العدم
زماً تدرّيه العواصف في الظلم
فإذا وجمت فمن يغور ويُنجد
خلل الدجى، ومتى يهمل لنا الغد؟
خلل الدماء، أو الخراب، أو الحريق!
وقد ترامى ركبنا عبّز الطريق؟
نحن الرماذ غداً اذا اندلع الضرام
نحن الفناء، أو الدماء، أو الرميّم، أو العظام
ما لم تشدّ يداً تناشد بالتحزّر، والسلام
وقد تعانقت الشعوب ومزقت حجب الظلام
فأني درب يسلكون
وقد تشابكت الأكف
فأني كف يقطعون؟

الحق الأمام.. ابداً !

١٩٥٤

مقدمة

الدكتور جورج حنا

الشعر فنّ، ومثل سائر الفنون يجب ان يكون في خدمة الحياة.

والشعراء فنانون، ومثل سائر الفئتين، مسؤولون عما ينشدون.

بل لعلّ الشعراء اكثر مسؤولية من غيرهم، لما يملكونه من انقياد المعنى وسلاسة التعبير ورنه الكلمة والوزن والقافية، مما يسهل معه اجتذاب مشاعر قرائهم أو المستمعين اليهم.

وعنصر الحساسية في الشاعر اقوى مما هو في غيره، ولولا ذلك لما كان يصحّ ان يسمّى شاعراً.

فالشاعر اذن، اذا وعى نفسه ومسؤوليته، بمقدوره أن يستلهم ويلهم، ويتحسّس ويجعل غيره يتحسّس، كما ان بمقدوره ان يذكي في نفوس الشعب روح اليقظة على مآسيه، ليعمل على انقاذ ذاته منها.

قديماً قيل «اعذب الشعر أكذبه». هذا في زمن لم يكن فيه للحقيقة الشأن الذي لها اليوم في حياة البشر وتطوير عقليتهم ومفاهيمهم. كان الشعراء يكذبون على انفسهم ويكذبون على الناس، سواء في المديح أم الهجو، في التفاخر أم النواح، في التباغض أم التغازل، ذلك لمجرد الاستمتاع، أو اللذة، أو التسلية، أو الالهاء، او اذكاء الحماسة في صدور الجماعات، المراد تهميسها عند الحاجة أو تخديرها عند الحاجة. كان الشاعر قارع طبل أو ضارب صنج، قيمته بقيمة قرعة طبله أو الحان صنجه، وليس للحقيقة شأن يذكر في حياته الشعرية. غير أن الشعر، في مفهوم العصر الحاضر، وسيلة أخذاة من وسائل

التعبير عن نفسية الشاعر ونفسية البيئة التي يعيش فيها. هو يأخذ منها ويعطيها، يستلهم شاعريته من حالها، ويدعوها الى النضال لايقاظها على واقعها، والعمل المجدي والايجابي لتحقيق امانيتها. فاذا كان أعذب الشعر (القديم) اكذبه، فاعذب الشعر (الجديد) اصدقه.

على ضوء هذا المفهوم للشعر، نضع في الصف الامامي من شعراء العرب، شاعرنا صاحب هذه المجموعة، كاظم السماوي، لانه من رعييل شعراء الحياة. ومن أجل أن يصير كل شعرائنا شعراء حياة أُسجَلُ هذه الكلمة في مقدمة مجموعته الجديدة الرائعة.

بلادي

جراح تفاعرُ أشداقُها
بلادي.. جراح، وليل رهيب
لقد ملّ فيها السهاذ الجفون
وعاف دماها التراب الحضيّب
تمج السياط النجيع الصديد
ويعيا الهوان برأس تريب
ورّت الحديد وجن الردى
ولما نزل تستجير الخطوب
تميد من الرزء فيها الجبال
ويغزو الطفولة وعث المشيب
ولكنها موقد المدلجين
سيضرم فيها اندلاع الشوب..

* * *

دياجيرُ تعول أشباحها
بلادي، دياجير.. غير المدى..
لقد عربّ النجم في أفقها
وأخرس حتى احتضار الصدى !
وليس سوى (البوم) في أرضها

يتيهُ بها ناعباً أسودا
ولكنها موئلاً الصاعدين
سُطِّلِعْ رَغَمَ الدياحي الغدا...

* * *

شفاءٌ تُزَمِ على سرها
بلادي.. صمّتْ، وسجّتْ كبيرُ
تضيئُ الدرؤبُ بأغلايلها
ويعتصرُ الأفقَ حقْدُ مرير
تهومُ فوقَ الرؤوسِ الجراب
ويخطرُ فوقَ العيونِ النذيرُ
تنامُ على صاحبِ أربيدِ
وتصحو على أصخبِ مُستطيرُ
ولكنها صخرةٌ للعناد
وصمّتْ يَمُورُ بسرٍ خطيرُ

* * *

لهاتُ حياةٍ، وقيدُ قديم
بلادي.. ضبابٌ، ودمعٌ، ودم
جبيرٌ تغضنُ فيه السأمُ،
وروخٌ تعتنقُ فيه الألمُ
وأضغاثُ شوقي، ونبيلُ طريد
وقلبٌ تجمّدُ فيه الحُلمُ
وأطلالُ مجدٍ عتيقٍ عتيق

تَهَاوَى... وَأَخْنَى عَلَيْهِ الْهَرَمَ
وَلَكِنهَا قَمَّةُ الْكِبْرِيَاءِ
تَبَدَّدُ فَوْقَ ذُرَاهَا الظُّلْمَ

* * *

بِلَادِي.. طِفْلٌ لَصِيقِ النَّرَى
وَتُدِّي يَبِيسٍ... وَأَشْلَاءُ آه
وَصَدْرٌ تَمَزَّقَ فِيهِ الشُّعَالُ
وَوَجْهٌ.. تَخَارَسُ فِيهِ الشَّفَاةُ
وَكَوْخٌ غَفَا اللَّيْلُ فِي جَوْفِهِ
وَنَضْوٌ تَحْشُرُجُ فِيهِ الْحَيَاةُ
وَمَحْرَقَةٌ لَمْ يَزَلْ وَقْدُهَا
جِمَاخَ الزَّنُودِ، وَشَمُّ الْجِيَاهِ
وَلَكِنهَا قَسَمٌ أَحْمَرٌ
سُيْضِرْمٌ فِي كُلِّ يَأْسٍ رَجَاءُ

* * *

بِلَادِي نَائِي، وَفَجَزَّ أَعْرَ
وَسَحَرَّ تَنَاءَبَ فِي الشَّاطِئِينَ
تَنُوسَ النَّخِيلُ بِأَعْدَائِهَا
ظَلَالًا تَرَاقَصُ فِي الرَّافِدِينَ
وَمَجْدَافُ سَارٍ يَشْقُ الدَّجَى
وَيَنْفِضُ عَنِ مَوْجِهِ نَجْمَتَيْنِ
وَأَصْدَاءُ حَادٍ، طُرُوبُ صَبَا

هياماً تأجج في المقلتين
ولكنها ويح اطيافها...
شحوب يهوم في الوجنتين

* * *

بلادي، ومن كبلادي العلى
منارا توّج فيه السنا
تتية الكرامة في ظلها
شموخاً، وتخصب فيها المتى
تغنى الزمان بأصدائها
دهوراً، وما دبّ فيه الونى
على كل ثغر صداها الحبيب
يتيه ببغداد سحر الغنا
ولما يزل ألف ليل بعيد
وليل يطوف بهذي الدنيا

* * *

بلادي أمس تليد الرؤى
يتيه بأمجادها الغابرة
تمور (بكوفتها) الذكريات
ومجلى (ببايلها) الساخرة
على كل درب لها معلّم
نجي قوافلها السائرة

ستنفضُ عنها الرمادُ العتيقُ
وتوقدُ وثبتها الغامرةُ

* * *

بلادي زند، وفكرٌ وضيءٌ
وركبٌ يجد، وعزمٌ عنيدٌ
شهيدٌ تساقطُ أثرُ الشهيد
وجرحٌ ينورُ ليلَ العبيدِ
فان زويت أرضها بالدماءِ
نجيعاً، وان كبلتها القيودُ
ولكنها غيهُبُ المدلجين
تطل على دفقِ فجرٍ جديدِ

١٩٥٢

ديان بيان هو^(*)

شُقِّي الدربَ الأحمرَ شُقِّي
وَرِدِي دَفَقَ «الفجرِ الشرقي»
فَإِذَا مَا ارْبَدَّ دُجَى الأفقِ
هَدِي الاسوارَ.. الأسوارا
لَهَبًا، تُدَكِّي النارُ النارا
إِعصاراً يَلطُمُ إعصارا

* * *

الشُّهُبُ تَشَقُّ الآفاقا
حمرَاءَ تَفَاعَزُ أشداقا
للموتِ.. أتوجِّفُ عملاقا ؟
ان ضاقَ الأفقُ بِه رَحْبًا
شَقَّ الاغوازَ له دربا^(١)
يُصمِي قَبْلَ الجَلدِ.. القلبا

* * *

(*) معركة القلعة العسكرية الفرنسية . الكبيرة في قلب فيتنام.. وسقوطها على ايدي الثوار الفيتناميين.

(١) حفر الفيتناميون الثوار نفقاً طويلاً تحت الأرض وخرجوا بعد منتصف ليل في قلب القاعدة العسكرية الفرنسية.. وسالت الدماء في الظلام.. ليرتفع علم الثوار.

من أين الدربُ ومن أيننا
في ليلِ الروعِ تناديننا
أشباحِ الهولِ فألويْنَا
بشواظِ لظى يُذري الصلْبَا
العَضْبُ تلوكُ به العَضْبَا
والرُعبُ يُجْرُنُ به رعبَا

* * *

أقسمتِ.. فما عَرَفَ الحِقْدُ
قَسَمًا ينشِقُ له اللحدُ
قَسَمًا بالشعبِ له المجدُ
وله العهدُ.. حُمْرًا حُمْرَا
راياتكِ تستبقُ الفجرا
فشمُرْها دهرًا دهرَا

١٩٥٢

•

٣٣٥

من أين يبحر مجذف الملاح

ليلُ الشِراة، ومديئةُ السفاحِ
شقا غمازَ توثبي وكفاحي
فندرت للركبِ المجدِ يراعةً
حمراء، تلهب خفقةً للمصباح
حتى تشقُّ الداجيات، وتجتلي
رغم ارتقاء الليل، وجة صباح
يا ايها اللاحي^(١)، وحسبك ان ترى
كأسَ الطغاة يعبُّ نرفَ جراحي
ان لم تخض وأخض عباب صراعها
من أين يبحرُ مجذفُ الملاح ؟
لا لا تقل مات السناء، وعلى الدجى
للمدلجِنَ الصيد خفقُ جناح
جسيء الحديد، وأين من عزماتهم
نُدُّرُ تهيب، وقععاتُ سلاح ! !
هُم هؤلاء وراء كل دجنة
ريداء توحش، جهمة الاشباح

(١) اللاحي: العائب

هم هؤلاء أراهموا وقد ارتقى
أفُقُ يمورُ بخابطٍ وقراح
صُعداً يمدون الحياةَ من الردى
حتى يهَلِّ سنا الغدِ الوضاح

* * *

شَقَّ الغمازَ وَثُبَ فكلُّ سحابةٍ
سُتْدأحُ عن وجهِ الصباحِ الضاحي
أيمَنَ الكرامةَ ان تظَلَّ محايداً
تضفي على الاهواءِ الفَ وشاحٍ ؟ !
أَتظَلُّ مشلولَ الخطى، متملفعاً
بالصمتِ لم تُنيسَ عن الإفصاح ؟
والأهلُ اهلكَ يقحمون شواظها
حطَبُ اللَّظى في الجاجِمِ اللفاح
ما بين مُنتَهك يفتُّ بعظمه
غِلُّ، وبينَ مُهدَّدٍ ومباحٍ
والجائعون، وهذه اشباحُهُم
صفراء، تنذرُ صولةَ المحتاح
والمدعونَ وكلَّ افقٍ كالج
فهمو عليه عواتبُ ولواحي
ومشرثرونَ يغالبون طباعهم
ويفلسفونَ طرائقَ الاصلاح
عُكِّفَ باجحارِ البيوتِ تخالهم
مجرداً تهابُ سنا الضحى اللماح !

حتى اذا ناش الغبار ظلّالهم
جزعوا من الأكدارِ والأتراحِ
هم هؤلاء، وقد أُميِّطَ لثامهم
عن مكرٍ منتهزٍ، وكذبٍ (سجاح)

* * *

لا لا تقلُّ مُلَّ المقامُ اذا التوى
نَفَرِ وآلِ مخاضُهم لصراحِ
واعذرهمو حسبوا دروبَ نضالهم
ما بين جِدِّ تُجْتَلَى ومزاجِ !
أمنتُ في ان لا تشق غمارها
الا اكفُ (مطارقي) و (مساحي)^(٢)

* * *

أُحْيِيَّ والدربُ ارتقاءً موحشُ
ينداحُ بين مشارفِ وبطاح
هذي يدي فاشدّد عراكَ تشدُّ من
عزمي وتوقدُ جذوتي وجماحي
وحدي؟ ومن وحدي؟ صراخُ باهتُ
يغدو على الافاقِ قبضَ رياحِ

(٢) جمع مسحاة.

مني ومنك سواعدٌ ومناكبٌ
تحتاج ما اجترمت يدُ المحتاح
ان لم تَحُضْ وَأَحُضْ عِبَابَ صِرَاعِهَا
من اين يبحرُ مجدفُ الملاح ؟

١٩٥٢

الموت والخبز

«عمالنا المشردون

في صحارى الكويت.. وراء رغيف»

الرمْلُ تسفيهِ الرياحُ
وللجموعِ الزاحفاتِ على الدروبِ
ظلالهنَّ، تَمُورُ كالشبيحِ الرهيبِ
لترتبي^(١) لمَمِ الثرى، وتدوفُ من قلبِ الترابِ
معاقلاً للموتِ في الارضِ الخرابِ
وقد عَقَّتْ عرصاتهنَّ من الوحوشِ الكاسراتِ
وؤرُوعتِ بمخالبِ «الوحشِ الجديدِ»...
وفي أزيزِ المطاراتِ؛
قنابلِ الهولِ المبيدِ...

* * *

لِمَ يا تُرى تلكَ القلاعُ
تشقُ اجوازَ الفضاءِ، وتغورُ في قلبِ السحابِ
لمنْ؟ تمدُّ ظلالها السوداء كالليلِ المدتِّرِ بالصَّبابِ
كعصائبِ الثكلي، كما مدُّ الجناحينِ العُرابِ
ولا كوى لسننا الصباحِ، سوى الغدِ الجهيمِ المريعِ

(١) ترتبي، اي تقصد الروايي. ولم الثرى، أي رؤوس التلال.

غداً سيشرق^(٢) بالدماء، وبالصدید وبالدموع
بنثار أشلاءٍ تضجُّ بها القِفَارُ الموحشَاتُ
وللظلامِ، وللرمادِ، وللشظايا المحرقاتِ
وللرياحِ، تذرُّ هاتيكَ القلاعَ الشامخاتِ
وللفناء غداً سيُعوّلُ بالفناء
وتغورُ في لُججِ الدماءِ
فلا قلاعَ ولا ديارَ
هنا سوى طليلٍ ونازٍ...

* * *

الشمسُ تجنحُ للاصيلِ
وموكبُ الزحفِ الطويلِ
يجدُّ في الركبِ الشريدِ
وكلهم ذاك الشريدِ
من الفراتِ، من الجنوبِ، من المدائنِ والقرى
تسعون الفأ أو يزيدُ
وللرغيفِ رؤى تهوّمُ كالسرابِ...
وسأذهم كُنْبُ الرمالِ
وشمعةٌ صفراءُ تعبثُ بالظلالِ
وتجتلي حلَمَ المشردِ، بالرغيفِ، وبالعيالِ
وقهقهاتُ العُهرِ في القصرِ المنيفِ...
هناك في الكرخِ العتيقِ

(٢) يفتح الياء والراء: يفضّ.

وحيث يلقي ظلُّه تمثال «مود»^(٣) على الطريق
ولم يزلْ يُلقِي هنالك ظلُّه الوقح الصفيقُ

* * *

الدربُ، والعرباُتُ، والزفت المذاب
تدبُّ في الافقِ المحمَّم بالتراب...
وباعَةُ الحلوى وأفواج الذباب
وَحَفَقَ دَرَاتِ الغبار، تذرَّ اجفانَ الحفاةُ
وهمسُ اسراب البغايا الهائماتِ على الدروب
وجولة السُّباحِ في السوقِ الغريب
تصور الحزبي اللعين...
وتَهتكُ السرُّ الدفين !...

* * *

«دحام»^(٤) يا همسَ الطفولة، والصدى الحلوى البعيد
أَلَسْتَ تذكرنِي، وقد شأت السنونُ ؟
عشرون عاماً، يوم كنا كالصغار...
نخوضُ في الغدران، أو نقضي النهار !..
نشقُّ هاتيك السواقي كالكبار...
وكالكبار ندقُّ في «عاشور»^(٥) بالأيدي الصدورُ

(٣) تمثال مود . القائم في قلب بغداد . و «مود» هو فاتح بغداد الانجليزي ا اقتلع بعد ثورة ١٤ تموز .

(٤) دحام: صديق الشاعر في عهد الطفولة وقد التقى به بعد نيف وعشرين عاماً... يعمل مع
المشردين...

(٥) شهر محرم.

ونلظمنَّ على الوجوه، وبالسلاسل في الظهور
وقد ذوى (حَمَدٌ)^(٦) وماتَّ بضربة السيف الخضيب
لكي يفني نُذَرَ (الحسين) أبوه، بالولد الحبيب
أتذكرنَّ ؟ وقد غزتكَ اليومَ اعراضُ المشيب
وقد شأت تلكَ الظلالُ...
وأثقلتُ كتفياك احداثُ السنين !

* * *

الدرّب... والعرباثُ، والركبُ الشريد...
وظلُّ «دحام»، يهوّم من بعيد...
ويختفي خلفَ القلاع... ويختفي خلفَ القلاع
وتدور بي دوامة سوداء، والدم... والصديدُ
ونواحُ ثكلى،... والحديدُ
يشقُّ انهارَ الدما...
وتهبُّ عاصفة الفناء
فلا قلاع، ولا ديارُ
هنا... سوى طليل ونار...

١٩٥٠

(٦) من اصدقاء طفولتهما . الشاعر، والعمل.

السارج

عواء الذئابِ يَشُقُّ عليكِ
ظلامَ الدروبِ، وترنو اليكِ
عيونٌ توقد فيها الشررُ
وتدوي الاعاصيرُ في مسمعيكِ
وانتِ رتيبُ الخطا، والشموخُ
يطلُّ على قَسَماتِ الجبينِ
على كتفيكِ، وفي مقلتيكِ
وتمضي تشقُّ الدروبَ الجهامِ
وتوميءُ الفُ يدٍ في الظلامِ
اليكِ كظل الردى...
وتدوي الاعاصيرُ في مسمعيكِ

* * *

وتمضي وراء الغيوبِ البعاذِ
ترمُّ على الهاجساتِ الشفاهِ
وتخنق آهاً على شِلو آه
وتدفنها تحت صخر العناذِ
وتبسم للسخريات الصغازِ
وتمضي رتيبَ الخطا

كأن وراء الدجى
يلوح لعينك افق رحيب المدى
وإصرار عزمك يلوي الردى
ويسخر بالقمم الراسيات

* * *

وتطوي الدروب بأثر الدروب
وفي كل مغرب شمس تجوب
ربوعاً، فتعلو هناك السحاب
فويق جبال علاها المشيب
وتحت الصواري تشق العباب
وما زلت في كل افق تجوب
فيرتد عن مسمعتك الصدى
ويقصر عن مقلتك المدى
وعيناك تلمح أفقاً بعيد
فتنفص عنك حواشي المساء
وإصرار عزمك ملء الرجاء

* * *

وتمضي تشق الدجى...
وتسحق اقدامك العاريات
زحام الدروب، وكم في الدروب
تهاوت بها كستر من قلوب
وأقدام مرتهب عائد

وجمجة من بقايا صراع
بقايا رمادٍ لظىٍ واندلاعٍ
وفي ذلك المنحنى الأسود
ظلالُ حبالٍ

تدلى بهن الرجال...
ولكنّ اصدقاءهم ما تزال
تشقّ البحارَ، تشقّ القفارَ
تشقّ الجبالَ

وفيما وراء الزمانِ
عبر المكانَ

تجدّ وتحذو الحياةُ
برغم الدياجي، برغم الطغاة...
وانتَ تتمتم: رغمَ الطغاة...
* * *

وتمضي تهوّم في الداجياتِ
وتسحقُ اقدامك العارياتِ
نشارَ الطريقِ

وإصرارُ عزمك يلوي الردى
ويسخرُ بالقمم الراسياتِ

* * *

وتعوي الذئاب
وتعبرُ سيماء وجهِ صفيقِ

يَطْرُقُ وِرَاكَ طَنْبِينَ الذَّبَابِ
وَقَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ وَجَهَ الصَّدِيقِ
ذُوى أَمْسُهُ وَانْدَثَرُ
وَهَمْسُ الْخِيَانَةِ فِي مَقْلَتَيْهِ
تَوَقَّدَ فِيهَا الشَّرَرُ
وَمَاجَ السُّبَابِ وَجُرَّ الْهَذَرُ
وَأَنْتَ حَدِيدُ الْبَصَرِ
تَجِدُ رَتِيبَ الْخَطَا
وَتَبْسُمُ لِّلْصَخْرِيَّاتِ الصِّغَا

* * *

وَتَمْضِي تَشْتَقُّ الدَّجَى
وَيَمْتَدُّ ظِلُّ صَفِيرِ
كَزَاوِيَةٍ فِي حَنَائِيَا السَّجُونِ
تَبَلَّدُ فِيهَا السَّنُونُ
وَتَلِكُ الْقُلُوبُ، وَتَلِكُ الْعَيُونُ
تَكْدُسُ فِي الظَّلْمَةِ الدَّاجِيَةِ
فَلَا الشَّمْسُ تَغْسِلُهَا بِالشَّعَاعِ
وَلَا زَرْقَةُ الْإفْتِقِ السَّاجِيَةِ
وَلَا النُّجْمُ يُكْحَلُّهَا فِي الْمَسَاءِ
وَلَا الطَّيْرُ فِي هَيْمَاتِ الْفَضَاءِ
هَنَّاكَ وَمَنْ كَوَى فِي الْجَدَا
يَمُوتُ وَيُولَدُ وَمَضُّ النَّهَارِ
وَفِي مَسْمِعِكَ صَلِيلُ الْحَدِيدِ

ويصخبُ في الافق رَجْعُ يعيدُ
نشيدَ الصراعِ المريرِ العنيدُ
ومن كوةِ في الجدارِ
سيدفُقُ نورٌ ونازُ
ويشرقُ فجرٌ جديدُ

* * *

وتمضي وتمضي ووقع خطاكُ
ستصغي ستصغي لها الأدهرُ
وسوفَ تدوي بها العاصفاتُ
ويجلي بها فجرُك الاحمرُ

١٩٥٣

ستالين

على قمة الاجيال ذل لك الكبر
وأحنى برغم الموت هامته الدهر
وعانقت الدنيا رؤاك، وهومت
يصارعها ليل وينشرها فجر
ويسري بها الاعصار في كل خافي
فيلوي بها عصر، ويحضنها عصر
وكم لبح سر الخاطبين عماية
فما انبلج المسرى، وما اومض السر
الى ان وعيت البئر للداء، فارتمت
ترفرق في الآفاق راياتك الحمر
طرقت بها الليل العريق ظلامه
وحوّضت نيراناً يوجبها النصر
ودهدت تيجان القياصر فانطوت
عهودهم الربداء، وانسدل الستر
أطرت بها حلم الطغاة فقطعت
جفونهم رعباً، وأرداهم الدغر
فأنت لهم حدّ يقلّم ظفرهم
وانت لهم درع، وانت لهم زجر
وغوّرت آفاقاً تغور نجمها

بما زُوِّعَ العاني، وما أجرَمَ الفَقْرُ
كفَرَتْ بقدسِ الناهجينَ شريعةً
يلصُّ دماءَ الكوخِ في ظلِّها، الفَقْرُ
وُدَّكَ بِكِ الاسْوَازِ وانداخَ أمْسُها
رماداً بشدقِ الريحِ، وانطمسَ الذِكْرُ
ولوحَ صبحُ الكادحينَ وقطعتْ
نياطُ عهودِ الرِّقِّ، وانعتقَ الأسرُ

* * *

فيا قاهرَ الطغيانِ، والريحِ زعزَعِ
وان الدجى طاعِ، وان الشرى وُعْرُ
وانكْ تُبِتْ الرُّوعَ، تجثمُ شامخاً
حديداً المتى، يرتاعُ من صبرك الصبرُ
ويا نافحِ التاريخِ روحاً جديدةً
يبينُ لما استعصى بها الفرعُ والجذُرُ
ويا واهبِ الاجيالِ نورَ حدائِها
اذا ما ادلهمَ الخطبُ، او ظلمةٌ تعرفو
ويا مودعِ الانسانِ سرَّ كمالِه
وكم رثُ إذلالاً، وكم أجحفُ القدرُ
تقادفُه الاعتابُ في كلِ حقبةٍ
فيعصرُه بغيي، ويزري به نُكْرُ
ويا منجزاً ما ابدعتُه يراعة^(١)
أطلتْ على الدنيا، فدان لها الفكرُ

(١) اللينبية.

شقيقا نبوغِ عبقرِيّ، ومُليهما
 طريق شعوبٍ سامها النابُ والظفر
 ويا مشرعاً للفلسفاتِ سبيلها
 وقد هدّها من قبلك المدُّ والجزر
 ويا مُشرعَ المخيلِ الجديبِ نضارةً
 يهشُّ بها حقلٌ، ويبتسم الزهرُ
 ويا عاصر الصخرِ الاصمِّ، لبائهُ
 ينازُ بها ليلٌ ويندى بها صخرُ
 ويا ملهمَ الزنيدِ الاطنُ حضارةً
 يتيهُ بها فكر، ويسمو بها الفخر
 ويا نائراً تلك القبابِ معاهداً
 تسامرها في أفيها الانجمُ الزهرُ
 ويا حاضناً للطفلِ عرشاً مخلداً
 يُنتثُ عليه العطرِ والحبِ والسحرُ
 ويا رائداً للسلمِ رفً لواءهُ
 وهلّ على الآفاقِ في ظلهِ البشرُ
 يمدُّ إراداتِ الشعوبِ صلابةً
 وعزماً وإصراراً يشدُّ به الأزرُ
 ويا عالماً اعشى الطواغيتَ نورهُ
 فدانت له قسراً ولججَ بها الذعرُ
 هفّت باسمك الدنيا تلوذُ بظله
 وما اسمك الا العدلُ، والسلمِ والفكرُ

* * *

ذَكَرْتُ بِكَ الْأَمْسَ الْقَرِيبَ وَلَمْ يَزَلْ
يَفْجُرُ مِنْ دَمْعٍ يَحْرُ بِهَ الصَّدْرُ
فَقَدْ كَحَلْتُ عَيْنِي سِيمَاكَ وَأَنْجَلِي
لِي الْمَجْدُ، هَلْ يَرْقِي لِعَلِيَّاهِ الشَّعْرُ؟^(٢)
قَرَأْتُ بِتِلْكَ النَّافِذَاتِ^(٣) غَيُوبَنَا
تَقَرَّرَ عَلَيَّ آتٍ يَغُورُ بِهِ الْقَعْرُ
وَشَمْتُ غَضُوءَ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ، مَائِلٌ
لِكُلِّ صِرَاعٍ مِنْ مَسَارِبِهَا، سَطْرٌ
وَقَفْتُ كَأَنَّ الْكُونََ حَوْلَكَ يَجْتَلِي
رُؤَاكَ، وَهَلْ إِلَّا لَكَ الرَّأْيُ وَالْأَمْرُ
وَمَرَّتْ بِكَ الْأَجْيَالُ مَخْمُورَةَ الرَّؤْيِ
وَقَدْ شَعَّ مِنْ قَلْبِ الزَّمَانِ لَهَا جَمْرٌ
وَلَا حَتَّ لِعَيْنَيْكَ الْغَيْرَاسُ تَرْبُهُ
يَدَاكَ، وَقَدْ أَوْفَى، وَقَدْ أَيْنَعَ الْبِذْرُ
فَأَيْنَ الْمُدَى أَنْ شَمَّتْ فِي الْإِفْقِ شَاوُهُ
وَأَيْنَ إِذَا اسْتَقْصِمَتْ أَعْمَاقُهُ الْبَحْرُ

* * *

سرى النَّبَأُ الدَّائِي يَجْلُجُلُ صَامِتاً
وَأُخْرَسَ إِجْلَالاً، وَنَاءً بِهِ الدَّهْرُ
وِغَامَ السَّنَا فِي كُلِّ جَفْنٍ، وَأَفْزَعَتْ

(٢) كان الشاعر قد شاهد الرفيق ستالين ورفاقه في الساحة الحمراء في ذكرى

.١٩٥٢

(٣) العيون.

من الذعرِ اطيافُ المِّمِّ بها الذعرُ
وأطرقَ من بالأمس ليجَّ به الكُرُ
خشوعاً ومن قد غلَّ اسماعهُ الوقُرُ
لقد حسنتُ كفُّ الردى ان تناله
ثرى، هل يموتُ العدل، والسلامُ والفكرُ؟
وما هو بالقبرُ الذي ضمَّ مجده
قلوب ملايينِ الشعوبِ هي القبرُ

١٩٥٢

غداً

«وإنا وياكم في الرهان...»

غداً يشهقُ الليلُ عن فجره
ويفصحُ عن مجتلى سرّه
غداً... ويحكم يا دعاة الرماذ
إذا ما تلظى سنا جمره
وإنا وياكم في الرهان
نجدُّ على العذبِ أو مرّه
فتعجمُ من عودنا النائباتُ
وتروي الصلابةُ عن كسره
حديثاً سيخرسُ نبخ الكلاب
ويجلو السحائبَ عن بدره
وإنّ لدى الرّوعِ فضلَ الخطابِ
وهتكُ الملتئم في مكره

* * *

شموخاً... ويا لك من صاعدي
ترامي لك الدربُ في صخره
تشدُّ على خافتي في الضلوعِ
يهوّم في السّر، أو جهره

وكم داهمتك الخطوبُ الغضالُ
فعدت صغاراً لدى كبيره
وانك في حلمك المُبتلى
بَمَنْ يحسبُ المجدَ في غدره
ولو شئتَ قَطَعْتَ هذا اليراعَ
نصالاً، تكسّرُ في صدره
ولكنكُ الراحمُ المستباحُ
بمَنْ حطَّ في الوُخلِ من قدره
وحسبكُ أنّك عَفُّ الضميرِ
تلوذُ الكرامةُ في خدره
وانكُ تستفُّ الترابَ
إبَاءً، وتصفخُ عن تبره
ولو شئتَ كان مَدَاكُ المدى
طواعاً على البرِّ أو بحره
وحولك زُغْبُ القطا، صبيّةُ
أريجٍ تفتّق عن زهره
تلمّهُم جنباتُ الحصيرِ
ويطويهمُ الليلُ في ستره
ولا تعطينَ يداً في الصِراعِ
كسيراً... يُساوِمُ في جبره
وانكُ صلُّ الجِهامِ الغضابِ
تروخُ على السهلِ أو وعره
ومن مَلَهُ اليأسُ في عزمه

وَمَنْ عَجَزَ الصَّبْرُ عَنْ صَبْرِهِ
خَسِئْتُمْ... فَقَدْ خَابَ ظَنُّ الْبِغَاثِ
بَأَنَّ تَوْحَشَ الْأَفْقَ مِنْ نَسْرِهِ
وَكَمْ قَبْلَكُمْ جُنَّتِ الْعَاوِيَاتُ
ذُنَابًا... تَنَاهَشْتُ فِي إِثْرِهِ
أَلَا فَاخْرَسُوا... إِنَّ فَجْرَ الشَّرِّ
سَيُفْصِحُ عَنْ مَجْتَلَى سِرِّهِ

١٩٥١

المستلول المضروب

لا القَيْدُ، لا اليَأْسُ، لا الاهْوَالُ لا العدم
تلوي بمنتفضٍ أودى به السَقَمُ..
أعيا به الداءُ حتى ذرَّ شامخَهُ
وهدهُ الجوعُ حتى كادَ ينهدمُ
تمورُ في افقه الاشباخُ مفرزة
صخابةً، تنهاوى دونها القممُ
وثغرةُ باسمٍ لولا اليبيسُ على
شفاهيه من دم، يطفو عليه دمُ
يرنو وإن (وراء الافق) باسمةً
اطيافه وهي في عينيه تزدهمُ
ورنًا في سمعه (صوت) يُهيبُ به
لا.. (لن تموتَ!) فان (الحقدَ) يضطرمُ

* * *

على (الوسادِ) واطيافٍ مهومةً
تلوخُ كالهاجسِ النائبي، وتبتعدُ
وطرفهُ نصف اغماض يسمرهُ
في (الافق) يرعى غداً، هل يجتليه غد ؟
هل يجتليه ؟ وهل في ظله يجد ؟
ما كان في (دمه) المهدور يتقدُّ ؟

من لهفة الحُلم الزهوانِ تنشرُهُ
على هشيم الدجى للكادحين يد
حلم الشعوبِ وان ينداح عن غبش
للفجر، يجلو سناه الطائر الغرد
فترشف النورَ اجفاناً مفرحةً
ترخي على ليلها الداجي وتنعقد
ويستفيق فلا آة محرقة
يذوب في لفحها المحموم مضطهدُ

* * *

... وجلجل (القيد) في رسغيه فاتكأت
(قوى الظلام)^(١) على الابواب تحتشد
وغام في افقه (حلم) يسامرهِ
حيناً، وشق رؤاه امسه النكيدُ
كم ليلة باتها والحقد ينهشه
والجوع ملتحفٌ، والارضُ متسدُ
بالامس !. كان له الأمس الذي اتقدت
فيه الصلابةُ، والاصرارُ، والجلدُ
تلك (الميادين)^(٢) والذكرى تؤرقهُ
ما كان ترهيبهُ أجواؤها الرئدُ
فكم تقحّمها. لا السوطُ يخنقه
من ان (يللع) في الافاق (معتقدُ)

(١) حراس السجون

(٢) ميادين المظاهرات وشوارعها.

واليوم !. وانهارت الاطيايف عابسة
ربداء تعصرها الازراء، والنكد
وارتج خفق السنا في الافق محتضراً
واربداً هذا (الجدار) الصامت الحرد

* * *

الريخ تلطم اوراق الخريف وما
زالت ذئاب الدجى تعوي وتحترب
وها هنا ترتمي (الاشباح)^(٣) ذاوية
صفراء، مصّ دماها القيّد، والسغب
من كل وجه غشت موقيه داجية
سوى بصيص به الامال تضطرب !
ونط عظيمان لاذت في ظلالهما
للموت، للثندر المبيدة، السحب
عشرون يوماً^(٤) وما زالت تذوب طوي
وما يزال صراخ الشعب يصطخب
أعلى فاعلى، ولم تهززه (ضارعة)^(٥)
تصر اسنانها ذعراً وتنتحب...
والوحش، والبسمة الصفراء، يلهبها
حقداً يؤجج نيراناً ويلتهب

* * *

(٣) اشباح السجناء الاحرار المضربين عن الطعام.

(٤) كان قد مضى على اضرابه عن الطعام (مع رفاقه) عشرون يوماً !

(٥) ام السجين او اخته، او زوجته.

نام الخليون الا مقلّة سبحت
في «الشرق» تلمح نجماً بات يأتلقُ
وامتدّ اصبعه الدامي يدلّ على
أنّ ها هناك.. هناك الفجرُ يأتلقُ
وافترّ عن بسميّة في ثغره انطفأت
بفائير من دم يطفو ويندفعُ

مراثية «الرصافي»

تعاليت لا الغور السحيق ولا النجد
أهابك ان تطوي الطريق وأن تحدو
وأكبرت نفساً ان يهدّ شموخها
مُسوخ، ومن هم في الرجال اذا عُدوا ؟
مطايأ لمن شدو القتاد وطوحوا
خجافا اذا أرخوا، ثقالا اذا شدوا !
وأبصرهم عما يحوط به عم
وأيقظهم مما يخامره فهد
وممن يُرجى الجِد ان اعوزَ الجِد
وليلهم فجر، وعلقمهم شهد ! !
وما همهم شعث بأن دمائه
تُمص ويُطوى فوق أعظمه الجلد
وأن هنا كوخاً يلمّ حصيره
جياغاً كأن في الارض لم يولدوا بعد !
اذا شقّ هذا القصر اعطاف غيمة
شموخاً، وفي عليائه فهقه الرعد
ولما نزل ان ضمّ شيخهم اللحد
تناهنا ارثاً يتيه به الولد

ويهوي بنا جزرٌ يشد رقابنا
الى القاع، أو يطفو باشلائنا المَدُّ
وحمحميتِ الاهواءِ والليلِ مُرَبَّدُ
وَجُهَمَتِ الآفاق، وانفرط العِقْدُ
وان الذي بالأمس بَرَحَهُ الوجدُ
تساوى لديه النحسُ في العيش والسعدُ !
سوى همسةٍ عجفاءِ باخٍ وقيدها
تُردها في السير أفواهاها الدُرْدُ !

* * *

لك المجدُ لم تلق الزمامَ ولم تَهِنُ
كَمَن قَصروا حيلَ الكفاح، ومَن زَدوا
وَأَثَرَتِ تَسْتَفُّ التراب من الطوى
وَأَن يُخْرَسَ الاهواءُ خافقَكَ الجَلْدُ
وان ظمأً في نغبةِ الماء تنطفي
ومن سبخ الارض الوسادةُ والمَهْدُ
لأقدسُ من (عارٍ) يقال له (مجدُ)
ومن (بذخ) خابٍ يقال له «السعد»
ومن (وشلي) يزهو بنشوته العبدُ
ومن (فضلة) يندى بحمرتها الخدُ
ومن مضحكاتِ الدهرِ انَّ أباته
يَدُلُ عليهم في خَساستِهِ الوغدُ
وأنكَ لولا ان تعمَّم هامةٌ
من الكبر ما جفَّ الرواءُ ولا الرفدُ

فلا المغريات البيض طاب لها الوردُ
ولا الموحشات السود دان لها القصدُ

* * *

فزعتُ وذكراك الحزيننة تجتلي
نفوساً خبا للمكرمات بها الوقْدُ
وان سُراة القوم ما زال دأبُهُم
يخدرهم عهدُ، ويُسكرهم وعدُ
وتحبيرُ أقوالٍ تُمَطُّ وتلتوي
ولما يَبِينُ للعين من مخضها الزبْدُ
كفرت بأقوال تلوكُ حرورها
شفاء، ويعيا عن تفهيمها الزندُ

* * *

أ (معروف) لم تبرح كياني هزة
وقد ماج في عيني المقرحة(اللحدُ)
ولاح لي الأمسُ القريبُ وقد دَوَّتْ
بعينيك اطيافٌ يلوحها السُهدُ
وصوتك هداً يَمُورُ ويغتلي
وما هدُه يأسٌ وما حدُه الحدُ

* * *

لك المجد لم تلق الزمام ولم تهن
كمن قصرُوا حبلَ الكفاح؛ لك الخلد

بيروت ١٩٨٤

شاهت فلا أَلَقْ يشعُ ويسمُ
وَحَبَّتْ فلا نارُ تُشَبُّ وتُضرمُ
عَصَبَ الرمادِ جبينها وتلَفَعَت
بالصمِتِ لا همسُ ينمُّ، ولا فَمُ
أخنتُ عليها زهوةٌ محمومةٌ
يندى لها الأَلقُ الحَيِّيُّ ويُظلمُ
يا ملعبُ الأشتاتِ لا طالَ الشرى
من أينَ يشرقُ فجرِكِ المتبسُّمُ ؟
الأمنياتُ على شفاهِكِ شهوةٌ
صرعى تجاذبها الغويُّ المجرمُ
والمدعون على دروبِكِ غمرةٌ
ضاقَ الحِجاةَ بهم وُجُنَّ الملهمُ
ولكلِّ عهدٍ صرخةٌ مبحوحةٌ
غلقْتُ بأذيالِ الرياحِ تهوُمُ
ولكلِّ وجهٍ من وجوهك صبغةٌ
ولكلِّ دُنٍّ من سمويكِ ملثمُ
الصخرُ حولك آهةٌ مكتومةٌ
والبحرُ هذازُ الأسي متبرمُ
كم لَجَجَةٍ قَذَفَتْ بروحِ هامدٍ

أودى به اليأس الذي لا يرحم
ومُشردٍ مَدَّ الهجيرُ ظلالَهُ
في التيه ينجده «الرغيفُ» ويُنهمُ
ومُسَهِّدُ نُضُو الرصيفِ وسادهُ
وغطاؤه الليل الطويل الأسحُمُ
يا زهوة رَوَتْ مفاتنَ سحرها
بدمِ الحياح متى سيُطفئكِ الدمُ ؟
ومتى يظأطاً فيك هامٌ مسلطُ
لمسلطينَ تجبروا وتحكموا
أو تسيبني فيكِ وارفَةُ الندى
ولهاثُ روحكِ جاحمُ يتضرمُ
الكادحون (مطارقُ) و (مناجلُ)
حُصنٌ على الأيام لا يتثلُمُ
سُهْدٌ بأجفانِ الظلامِ وان دجا
ليلٌ، وغارثُ في سماه الأنجمُ
هُم مَطلعو الفجرِ الذي لا يَهزمُ
وموطدو الحقِ الذي لا يُهضمُ
لولاهُم ما كنتِ الا دمنةُ
خضراء تصطنعُ الحياةَ وتوهمُ

* * *

عَفو الرواسي الشامخاتِ فانها
أبدأ يَمُوزُ بها الفراغُ المبهمُ ! !

الليل... والكدم

أنيري دجى ليلك المظلم
بنار اللهب، ونور الدم
بحقد يفلّ حديد الصراع
ويلوى بعاصفه الرزم
ومدى الى كل أفق صدى
يردّ حشجة المجرم
أوهج الدماء، وان الشرار
رماذ اذا هو لم يُصرم

* * *

سل الوغد فيم استباح الحمى
وفيما يُراق دمّ المُعدم ؟
أتشخبّ هذي الصدور الدماء
وتروي غليل الترابِ الظمي ! ؟
ألأردلين، ربيبي الطغاة
أجيري المعزق والمُشمّم ؟
ينصبّ كالليث من صدره
ويشمخ كالسيد المُعلم !

تحوطُ به مُشرعاتُ الحرابِ
عيونٌ على غديه المُبهمِ

* * *

لعنتك من ساعةٍ لا تحين
تفجرُ من حقدِها المغم
لأي، وحتى مَ هذا المطافِ
يهوُّمُ بالأجهمِ الأجهمِ
رويدك هذي الرعودُ الغضابُ
تهادزُ بالقسمِ الأعظمِ
بنارٍ تسدُّ الفضاءَ الرحيبَ
وتضرمُ قلبَ الدجى الأفحمِ
فانَّ على الشرقِ منها سناً
تواصضُ في الليلِ كالأنجمِ
ولا بدُّ من أن تبلَّ الدماءُ
وراءَ الليالي، غليلَ الدمِ

١٩٤٨

أغانج القافلة

١٩٨.

مقدمة

للكاتب التقدمي الراحل

محمد شرارة

أرأيت الزوبعة كيف تنطلق؟ أو العاصفة كيف تندفع؟ أو البركان كيف يتنفس؟ أو الغابة كيف تشتعل؟! فإذا كنت قد رأيت هذه العوالم فخذ انطلاق الزوبعة، واندفاع العاصفة وتنفس البركان، واشتعال الغابة، وأضف بعضها الى بعض ثم صوّر منها كائناً حياً متحركاً واعياً عميق الوعي، مدركاً قوي الإدراك فإذا انتهيت من هذا التصوير وجدت أمامك هذا الشاعر الذي يسكب روحه في «أغاني القافلة» ويذيب حياته في حداثها. !

انه كاظم السماوي... انه شاعر القافلة، هذه القافلة التي تسير في طريق موحش شائك تتطاير في جنباته الصخور، وتتواهب في قلبه الاشواك، وترف في فضائه ارواح الضحايا ويختلط بترابه دماء الشهداء. !

في مثل هذا الطريق تسير قافلة الشاعر سيرها الذي تصارع فيه جبايرة الوحوش، ومواكب الاشرار، ويمثل هذا الطريق المظلم المرعب تندفع قافلة الشاعر العظيمة تحدها أغاني الأمل وتسوقها أنشودة الفجر الجديد الذي بدأ يرسل خيوطه البيض في حواشي الأفق الأسود. ! فإذا مسها اللغب أو نالها الاعياء انطلقت من قيثاره الشاعر نغمة اعمق من الأمل، وأقوى من الموت، واعذب من نشيد الساقية بين الأزاهير، واذا التعب الذي مس القافلة دخان في وجوه الأعاصير، واذا الاعياء الذي نالها ضباب خفيف في وجوه الشمس

النيرة المشرقة، وإذا القافلة تتحرك من جديد، وتسير في طريقها الموحش
الشائك وهي تستمد من أغاني الشاعر عزماً يدك الصخور، وانساً يمزق
الوحشة، ونوراً يصرع الظلمة.

انها تسير، تثر الضحايا على طول الطريق، والشاعر يحدو كلما سقطت
ضحية، أو وقع شهيد. ! القوافل تتلاشى وتضمحل اذا بذلت من الضحايا ما
تبدله قافلة الشاعر، والحدادة يتعبون وتختنق الأصوات في حناجرهم اذا بذلوا
جزءاً من مجهود الشاعر، ولكن قافلة الشاعر تزداد عدداً كلما اسرفت في
البذل. ! ان الذين يتبعونها اكثر من الذين يسقطون في الطريق. والشاعر يزداد
عزماً كلما نفخ في نايه نغمة جديدة.. ان ابتكار الانغام ينعشه، انه يزداد قوة
كلما اسرف في اذاعة الالحان

ها نحنُ دموعٌ ودياجيرٌ واطلالُ
هنا نحنُ ذمَاءٌ هدَّها الجوعُ.. واسمألُ
هنا نحن دمَاءٌ طَلَّها البغيُّ وأغلالُ
هنا نحن هنا في قبضة العاصر أو شألُ
ولكننا.. هنا نحن - على الاهوال - أهوالُ

هنا نحن. ! وما نحن الا قطرات من الدموع، وبقايا من الاطلال تلوح
للعيون المترفة خالية خاوية مقفرة، او ذمَاءٌ يهدها الجوع، او اسمال بالية مهلهلة
لا يرتبط منها خيط بخيط، ولا نسيج بنسيج، أو دمَاءٌ يسكبها البغي والعدوان،
او أغلال متشابكة الحلقات، او أوشال في قبضة العاصر الباغي فاذا لاحت لك
هذه الصورة لا تلبث ان تضع يدك على صدرك من الخوف - اذا كنت من
الشرفاء - على هؤلاء الذين يقول عنهم «نحن». وتحس بالألم يعصر قلبك لهذه
البقية الباقية من الدموع والاطلال، والدماء، والاغلال، والاشال أو بتبسيم
ابتسامة الشامت - اذا كنت من الأوغاد - وتضحك على هذه البقية الهزيلة

التي يتحدّى بها الشاعر افاعي الحياة، ولكنك لا تلبث ان تستفيق من سكرة الألم، أو نشوة الشماتة وانت تسمع.

ولكننا.. ها نحنُ - على الاهوال - اهوالُ

انها الهزة ! هزة المفاجأة التي تصب «الانهيار» في أعصاب الشامتين، وتسكبُ النشوة الرائعة في رؤوس الشرفاء الطاهرين.. ولكننا هنا نحن... ومن «هنا» سينبعث الفجر، وتنتشر خيوطه على الدنيا، من هذه القافلة التي لم يدع عثارُ الدروب منها سوى الدموع والاشباح والاطلال.. انها صور يراها البعض اشباحاً واهية لا تكاد تخيف الزراير الضعيفة بله الشواهين الكاسرة... ولكن هذه الدموع !

انها نظراتٌ سُزُرُ ! أما الاشباح فانها مَرْدَةٌ جبارة، واما الاطلال فإنها قلاع تتحدى، ومن هنا كانت الدموع والاشباح والاطلال أهوالا على الاهوال.. ! وهكذا تلوح «أغاني القافلة» كلها... انها شعر يعبر عن روح الجيل الجديد في الدنيا عامة، وفي الشرق خاصة، هذه الروح الظائمة الى التحرر من العبودية الثقيلة الخائقة التي تحاول ان تطفئ الحياة في صدور الأحياء، وتخفق الفكر في رؤوس المفكرين... وستلمح هذا التعبير الصارخ حتى في مواطن الجمال، فقد ذهب شاعرنا الى لبنان - ولبنان مروحة الشرق كما يقول بعضهم - وطاف في ربوعه ومغانيه، وجال في مدنه وقراه وأريافه، ورأى هناك من صور النعيم والترف ما هزّ شفتيه ايضاً.. فمسح خده في ثرى لبنان، وفرش لفته الغوية قلباً عاطفاً:

وزمّ للشوق المحرق كأسه ويبلُّ تحت جناحه النيرانا
وتضيره من ان تظلل ثمالة في كأسه تنتهدّ الاشجانا
فيعبّتها ويؤد لو أن ترتوي بلهائيه، وتهدهد الحرمانا

* * *

لبنان ما تركت فتونك للرؤى أفقاً يُهيب بسحره لبنان
وبعد. !

وأجل بطرفك حيث شئت فهذه سكرى تطارح في الهوى سكرانا
وتمايلت اعطافُ تلك وأسبلت - من فرط عبّ كؤوسها - الأجفانا

فاذا وصلت الى هذه الصور خيل لك ان شاعر القافلة قد نسي قافلته،
وتلاشت أعاصيره ما بين سكران وسكرانة، وان لبنان كله فتن غوية، واعطاف
متمايلة واجفان مشبلة من فرط ما عبت من الكؤوس، وان الحياة هناك نعيم
وترف، وحب وعناق، وان لبنان قد فرغ من جميع مشاكل الحياة وتفرغ
لنعيمها وصفوها... ! ولكنك لا تكاد تبعد قليلاً عن هذه الأبيات المترفة حتى
تسمع الدويّ يلعلع في آذانك:

لبنان لولا ان تحوطك عصبه تتجاذب «الاشياخ» و «الرهبانا»
لرّهت بك الجنبات عابقة الشذى سكرى، وأمرعت الدروب جنانا
هم الزعامة فيك علة مدع تستذرع الانجيل والقرآنا

* * *

والشعب ! ما للشعب ضل طريقه أیظّل مرتعش الجناح مهانا ؟
عندئذ تدرك ان شاعر القافلة لم ينس قافلته، ولكنها فترة قصيرة اطمأنت
بها نفس الشاعر، واستراحت في جمال الطبيعة، وفي خفقات النسيم البليلة
بعد اجتياز الصحراء، وعبور الرمال، وقطع المفاوز، ولما رأى في لبنان ما رآه في
العراق من شعب مهان يرتعش جناحه اهترت نفسه واذا اهتزازها يتجلى في
هذه الوثبة الفكرية الرائعة.
في كل شبر يستبيحك عاقف للشاربين تزعم القطعانا !

وربما تعجب لهذه الصورة في لبنان، وانت تسمع وتقرأ انه «بلد الاشعاع الفكري» في الشرق، ولكن الصورة صحيحة تستمد وجودها من صميم الواقع اللبناني. أما ان لبنان مصدر الاشعاع او بلد الاشعاع في الشرق فتلك هي الاسطورة الشاحبة وما اكثر اساطير الشرق ! !

ان شاعرنا واقعي النزعة والتفكير يرى الحياة كما هي ولا يتهرب من الواقع ليعيش بين الغيوم. تلك الرؤى يروّجها ويروج لها الخونة من ادعياء الأدب والفكر، وفي ضوء الواقع المرير انتزع الوان هذه الصورة من حياة لبنان. ووضع السياسي القائم على الطائفية، وساسة لبنان مسلمين او نصارى يربّون هذا الوضع تربية الدلال، ويعطفون عليه كما تعطف الأم على طفلها الوحيد حتى «عاقفو الشوارب» زعماء، أو نواباً، أو وزراء. ولولا الطائفية والاستعمار لكانوا ذرات تائهة في غبار الدهور... وشاعرنا لا يستطيع أن يضع في جمال لبنان عن هذه الحقائق، أو يتعد عنها.. واذا تتبعته في شعره كله وجدته يعود دائماً الى الحياة العامة والى مشاكلها.. هذه قصيدته في لبنان بدأت كما رأيت في وصف الجمال الطبيعي حتى اذا لاح له الحياة العامة بمهازلها نسي الجمال وانتفض !

قلت هذه قصيدته في لبنان؛ وتلك قصيدته في رثاء الزعيم الكبير «جعفر أبي التمن» وقصيدته في «المهاجر الافريقي» وغيرها من القصائد أوحتها مناسبات عديدة لا تكاد تمس موضوعها مساً رقيقاً حتى يربطها بالقضايا العامة ربطاً قوياً محكماً.. اما بقية القصائد فتكاد تكون دويلاً يلعلع لا يعرف الهدوء أو الراحة.

والشاعر مؤمن بالغد إيماناً عميقاً حاراً، ومؤمن بأن المستقبل للشعوب، ويتجلى هذا الايمان واضحاً في قصيدة «فجر الغد» وهي من أروع قصائد الديوان.

وتمر هذه الخطوات على الأشواك العاتية، ولا تزال الصخور الحادة تعترض طريقها، وهذه الأشواك والصخور هي البقية التي يقذف بها تجار الحروب في الطريق، ويفتح شاعرنا عينيه على هذه الأشواك، وعلى تلك الأيدي التي تنثرها، ويفتح في الوقت نفسه أذنيه، ويسمع نغمة هادئة حلوة ويسمع بجانها ضوضاء مختلفة تشبه عواء الذئاب تحاول اضاءة النغمة الجميلة الهادئة فيصغي شاعرنا ويصغي وإذا النغمة الهادئة «أجنحة السلام» وإذا الضوضاء المختلفة «دمدمة الحرب» ولكن النغمة الأولى على هدوئها تشتد حتى تضع في قوتها الضوضاء.. انها صوت الحق يتعالى في وجه الباطل، وصوت الحق قاصف ولو بدأ ضعيفاً.. ! ولا تكاد اذنه المرهفة تلتقط هذا النغم الرائع حتى ينتفض قلبه باللحن الجديد، وإذا بأنشودته «أجنحة السلام» تتعالى قوية متماسكة..

مدى على لهب الجحيم ظلالات تَطأُ اللظى، وتفبيءُ الأجيالا
مدى الى اعراقها، وتمورى في صلب موقدة الدماء ذبالا
وتمضي القصيدة في استعراض ما خلفته الحروب من لحوم متناثرة، ودماء
مُرَاقَة، وبيوت مهدمه، وما يشبه ذلك من صور بشعة كل ذلك في اسلوب
متين، ولغة قوية.

وتمضي القصيدة في استعراض ما تركه الحروب من بشاعات، وتصويره
تصويراً مربعاً مخيفاً يستمد خطوطه والوانه من صميم الواقع، تنذر تجار
الحروب انذاراً صارخاً بوعي الشعوب.

فلأبي متقدي تَشَبُّ وتصطلي ولأبي مُصطري تجدُ نزالا.. !
وبأبي صدع تستمدُ تطاولاً وبأبي وحي تستشط خيالاً.. !
أو ما تهاب بأن يذرَ كيانتها ووعي الشعوب الرازحات جبالاً ؟
وتنسأب القصيدة في وصف الحرب ودعاتها أكثر مما تحدثت عن السلام،

وعن نعمه.. لأن السلام في خطر عاصف، وتكاد تأخذه أصوات الدعاة الى الحرب من كل جهة..

ولم تنس القصيدة ان تشير اشارة متهكمة الى هؤلاء الذين يلغون في الدماء ليقال عنهم «فاتحون» «مدوخون» و «ابطال» الى آخر هذه الأمجاد الدموية:

باسم الغزاة «الفاثون» تخضبت لم الشرى مما أريق وسالا
تتناثر الأشلاء في حوماتها وتُنخ من حزّ الرؤوس تلالا
ليقال دَوَّحها وهُدَّ قلاعها غنث يقلقل بطشهُ الأجبالا !

يقصدُ الشاعر اولئك الذين يشعلون الحروب أما الذين يدعون الى الحرب العادلة فهم الأبطال حقاً، ويتفق الشاعر في نظرتة هذه مع كثير من احرار الفكر، ومنهم الكاتب الانكليزي «وين وودريد Win woodreade في كتابه القيم «استشهاد الانسان» The Martyrdom of Man حيث يحمل على الحرب ويصف دعاتها بالمجرمين، وكتابه هذا كتاب القرن التاسع عشر، كتاب الأحرار في كل وقت.. وهكذا يلتقي أحرار الفكر دائماً من «شيخ المعزة»، الى «وين وودريد» الى «كاظم السماوي».

بغداد ١ - ١ - ١٩٥١

وراء الجدار

هنا نحنُ دموعٌ ودياجيزٌ وأطلالُ
هنا نحنُ ذمَاءٌ^(١) هَذَا الجوعُ وأسمالُ
هنا نحنُ دمَاءٌ طَلَّهَا البغيُّ، وأغلالُ
هنا نحنُ هنا في قبضةِ العاصرِ أوْشالُ
ولكنَّا هنا نحنُ علىِ الأهوالِ، أهوالُ
هنا نحنُ أعاصيرٌ، وبركانٌ، وزلزالُ

* * *

هنا نحنُ هنا في الأرضِ ديدانٌ، وأوحالُ
رعاعٌ من بني الاكواخ، فلاّحون، عمالُ
عبيدٌ، همجٌ، غوغاءٌ، لا حالٌ ولا مالُ
وهمُ همُ وارثو الامجادِ ما صالوا وما جالوا !
ولكنَّا هنا نحنُ علىِ الأهوالِ أهوالُ
هنا نحنُ أعاصيرٌ، وبركانٌ، وزلزالُ

* * *

هنا نحنُ وان ألوى بنا خزيٌّ واذلالُ
هنا نحنُ وان لَصَّ حصيدُ الحقلِ أقيالُ

(١) الذمءاء: بقية الروح.

هنا نحن وان مصّ دم الكادح أهوال
هنا نحن وان داسّ الحياة الشّمّ أنذالُ
ولكنّا هنا نحن على الأهوال أهوالُ
هنا نحن أعاصيرُ، وبركان، وزلزالُ

* * *

هنا نحن هنا في ظلمة الارهابِ إيغالُ
هنا نحن الشفاهُ الخرسُ لا قيلٌ ولا قالُ
هنا نحن العيونُ الخُزُرُ كم أوخفها الآل^(٢)
هنا نحن هنا للعارِ، للطغيانِ تمثالُ
ولكنّا هنا نحن على الاهوال أهوال
هنا نحن أعاصيرُ، وبركان، وزلزال

* * *

هنا نحن وإن غلّت يد الاحرارِ أغلالُ
هنا نحن وإن أرزحتِ الانفاسُ أثقالُ
هنا نحن وإن نذت عن الاوصالِ أوصالُ
هنا ما طال ليلاً البغي للأرجاسِ، ما طالوا
هنا نحن هنا في زحمة الاهوالِ أهوالُ
هنا نحن أعاصيرُ، وبركانُ، وزلزالُ

* * *

(٢) الآل: السراب.

هنا نحن وراء «القُصْبِ السوْداءِ» أنْصالُ
هنا نحن على «الأرجوحة الحمراء» أبطالُ
هنا نحن هنا في «ظلماتِ اليأسِ» آمالُ
هنا نحن ولن يلوي عنانَ الركبِ صوألُ

هنا نحن على البلوى، على الاهوالِ أهوالُ
هنا نحن أعاصيرُ، وبركانُ، وزلزالُ

١٩٤٩

فجر الغد

برغم دُجى ظلمك الأسود
سنطلع للعدل فجر الغد
سنطلعه رغم كيد الجناة
ولفح السياط، وقيد اليد
سنطلعه يتحدى المنون
ويسخرُ بالعاصف المريد
ويدفق أقوى من المستحيل
وأعند من صولة الأعند

* * *

لك الموت لن ينثني عزمنا
يفغدُ الركاب الى الموعد
ونطوي السباب مهما تطل
شعاب مساريها نصعد
سنخربُ السنة الجاحمات
سندرك شأو المدى الأبعد
ولا بد من ساعة الملتقى
فغورُ اذا شئت أو أنجد

* * *

صَغَارَكَ^(١) رَوَّ الحَدِيدَ الأَصَمَّ
دماءَ المقيِّدِ والمقعدِ
دماءَ المشرِّدِ والغاسقاتِ
تطوِّحُهُ حيثُ لا يهتدي
دماءَ المهديِّ لا يغتدي
على أرقِّ الهاجِسِ الأُنكِدِ
دماءَ تشبُّ ولم تبردِ
فروُّ - عُدمتْ - لُهاثُ الصدي
لهاثُ السياطِ من المسعراتِ
جراحاً تفورُ ولم تخمدِ
لهاثُ الترابِ الى ان يمخَّ
ويلفظها سؤرة المورِدِ
ودعها تذرُّبُ حجازِ السجونِ
فتنقَعُ بالطافحِ المزبدِ
وما شئتَ ما شئتَ رَوَّ السحابِ
نجيعاً يسيلُ على الأجردِ
فلا بدَّ من ان نشقَّ الطريقِ
على منكبِ الجامحِ المرعدِ
وتسحقُّ أقدامنا المثقلاتِ
بأغلالها هامةً «السيدِ»
تذريهِ في فجواتِ الزمانِ
وتطويهِ في شدقيها الأدرِدِ
* * *

(١) الصغار: بفتح الصاد: الذل.

لَأَيِّ ثُلُوزَ جِبَاهِ الْكِرَامِ
هَوَاناً عَلَى قَدَمِ الْأَوْغِدِ ؟
وَفِيهِمْ تُغَيَّبُ تِلْكَ الْوُجُوهُ
وَتَطْمَرُهَا ظِلْمَةُ الْمَوْتِ ؟
أَلْسَالِبِينَ رَغِيْفَ الْجِيَاعِ
وَلِلشَّارِبِينَ دَمَ الْمُجْهَدِ ؟
دَمَامِلُ عَارٍ تَنْزُّ الْخَنَا
وَتَطْفُحُ بِالتَّتَنِ الْأَرْبِيدِ
سَيَجْتَثُّهَا عَاصِفٌ مُرْزَمٌ
وَيَخْمِدُهَا غَسَقُ الْمَلْجِدِ

* * *

غَدَّ... يَا غَدَّ الْمَدْقِعَ الْمَسْتَبَاحِ
يَطْلُ عَلَى حِلْمِهِ الْمَشْعِدِ
عَلَى رَحْبٍ مِنْ نَعِيمِ الْأَخِيَاءِ
وَإِشْرَاقَةِ الْأَمَلِ الْأَغْدِ
تَهْدُهُ أَجْفَانَهُ الرَّمْضَاتِ
أَمَانٍ طَوْتَهَا يَدُ الْمُجْحَدِ
وَتَنْفُضُ عَنْهُ هَوَانَ الدَّهْوَرِ
وَمَا حُمٌّ فِي لَيْلِهَا الْأَرْمِدِ
وَيَمْسِي، فَلَا سَعَبٌ يَجْتَوِيهِ
وَيَغْفُو خَلِيَّ الْجَوِيِّ الْمَسْهَدِ
لَهُ مَا يَحْتُ لَهُ السَّاعِدَانِ
وَمَا يَتَمَلَّى الْجَبِينُ النَّدِي

يَشْرَفُهُ أَنْ كَدًّا يَرِصُّ
بُنَى الْمَجْدِ، لَا شَرَفُ الْمُحْتَدِ
وَيَسْعَدُهُ أَنْ زَنْدًا أَطْنُ
يَجِدُّ يَدَ الْمُتَخَمِ الْقَعْدِ
غَدًّا، وَالِدْمَاءِ الَّتِي لَمْ تَنْزَلْ
تُطَلُّ.. سَنُطَلِّعُ فَجَرَ الْغَدِ

١٩٤٩

أجنحة السلام

مُدِّي على لَهَبِ الجحيمِ ظلالاً
تَطَأُ اللطى، وتُفِيءُ الأجيالاً
مُدي الى أعراقِها وتموَّري
في صُلبِ موقدةِ الدماءِ دُبالات
مُدِّي فقد صرَّتْ نواجذُها وما
زالَتْ تُطوِّحُ يميناً وشمالاً
تستحلفُ البغيَ المشتِ وترتمي
خلفَ (البحور) تلملمُ الاوصالاً
لتشدَّها حَظَباً يَلْطُ وَيَنْطفي
وتُدُّرُ صُلْدَ صخورهنَّ رِمالاتاً !
في حينِ ما زالتِ تمجُّ دماءَها
ساحاتهنَّ أسافلاً وقيلالاً^(١)
وهياكلُ المتناثراتِ لحومهم
ينذرَنَ وغرَّ الجامحينِ صبيالاً
والفاحماتُ الموحشاتُ ترحمتُ
«بوماً»، على المتعجلينَ زوالاً ! !
ما زالَ من هَبِّ الدخانِ وشاُحها

(١) القفال: القمم

يُذكي على أطلالها الأهوالا
 فلأنيّ متقدّ تشبّ وتَصطلي
 ولأنيّ مُصطرع تجدّ نزالا؟
 وبأنيّ (صدع) تستمدّ تطاولاً
 وبأنيّ (وحي) تستشطّ خيالاً؟
 أو ما تهابُ بأن يذُرّ كيائها
 وعنيّ الشعوبِ الراحاتِ جبلا
 «حربان» ما بلاّ ظمئى متلهباً
 للشاربيينِ دماءهنّ خللا
 حربانِ مزا والجماجمُ وقدها
 لتديح (للمتلصصين) المالا!
 ليظلّ ينعمُ مُترفٌ متبطّرٌ
 ويعودُ عانٍ يسحبُ الأغلالا!

* * *

في كلّ «مجزرة» يُطبخ بجيلها
 طايغ تجبّر واستبداً ضلالا
 حمقى... تصرّمت القرونُ ولم تزل
 يتحليونَ من الدمِ الأوشالا!
 باسم الغزاة (الفاحين) تخضبت
 لمم^(٢) الثرى مما أريقَ وسالا!
 تنتائرُ الأشلاءِ في حوّماتِها

(٢) لم: جمع لمة وهي مؤخرة الرأس: والمقصود هنا قمم الروابي والتلال.

وَتُنِيخُ مِنْ حَزِّ الرُّؤُوسِ تَلَالَا !
وَتَلْفَتُ التَّارِيخُ يَغْبِطُ سَائِباً
مُتَوَحِّشاً يَتَلْفَعُ الأَدْغَالَا

* * *

عَوِّدْتُ يَوْمِي مِنْ فِظَائِعِ أَمْسِهِ
مِمَّا تَخَوَّضُ مَجْدُهُ الأَوْحَالَا
وَزَعَمْتُ أَنَّ العَائِرَاتِ بَرَكِيهِ
سَيَقْلِنُهُ مِمَّا أَشَاخَ وَمَالَا !
وَعَزَّرْتُ (هَوْلَاكُو) لِمَا فِي غَوْرِهِ
وَحَشُّ يَرَى «سِلْمَ» الحَيَاةِ «قِتَالَا» !
فَإِذَا بِأَلْفِ (مُنَوَّرٍ) مِتَبَجِّحِ
صَلَفاً، يُضِلُّ المَدْلَجِينَ نَكَالاً
وَإِذَا الغُدُّ المَوْعُودُ نَهَبُ عَوَاصِفِ
تُورِي الزَّنَادَ، وَتَصْعَقُ الزَّلْزَالَا
وَإِذَا «بِعَهْدِ الغَابِ» يَنْشُبُ نَابَهُ
مُسْتَضْرِيّاً، يَسْتَصْرِخُ «الأَغْوَالَا» !

* * *

مَا بَالُ مُسْعِرَةِ اللُّظَى يَفْنَائِهَا
مَحْمُومَةً، تَتَحَرَّقُ اسْتَعْجَالَا
الأَجَلِ مِصَاصِي دِمَاءِ شَعُوبِهَا
تَسْتَرْخِصُ الوِيَالَاتِ والأَجَالَا ؟
وَلِأَجْلِ مُحْتَكِرِي رَغِيفَ جِيَاعِهَا

تُردي الشيوخ وتزهقُ الأطفالا ؟
 ألهؤلاءِ وقد تصدَّع صرْحُهم
 بدداً تُصَب على الوبالِ وبالاً
 ألهؤلاءِ تَلعلعتُ صرْحائِها
 دُعراً، وُطَيَّرَ وعيها إجحفاً ؟
 قَسماً بسوطِهمُ وليلِ سجونِهم
 والعاقداً على الرِّقابِ حبالاً^(٣)
 ما أُجِجْتُ، فَهَمُّ هُم أَحطائِها
 نُذريهمُ في السافياتِ نَحالا
 وُثدِيف معقلِهم طيوفاً جَهْمَةً
 ربداءَ يطمسها الزمانُ كلالا
 ما لم يَلخ !، فغداً وأيةُ هزة
 تتمخضُ الآفاقُ والأوصالا

* * *

مُدِّي على لَهَب الجحيمِ سحائباً
 حُضراً، تغلُّ الواقدَ^(٤) المغتالا
 واستضرمي حقدَ الشعوبِ فما ونثُ
 أصداؤها هُدَّارةً، تتعالى
 وتمردِي من أن يَلزك سادراً
 صَعقُ، يُؤججِ ومضها إشعالا

* * *

(٣) المشائق.

(٤) مشعلو الحروب.

وطني، وما زالت جباهُ (سواذنا)^(٥)
للسناهبين السالبين، نعالا
ولن يلق^(٦) فضالةً معجونةً
بدمائنا. ومن استباح وصالا
ولن يُطاطىءُ هامهُ مُتمرغاً
يتمسّخُ الاعتابَ والأذيالا
لؤلا بصيصُ غدي يهدهدُ سارياً
ويغذُّه الأيخادَ والأذمالا^(٧)
لكفرتُ بالوطنِ الكسيحِ يشدهُ
«مُتحللٌ» يتغورُ الأسفالا !
فحذاره من أن يقحمك الفنا
لزأ^(٨) فطرحك الضرامن ثفالاً^(٩)

* * *

يا موئلَ الفتنِ الغويةِ لا دجت
لمعاتُ أفقك يصطفقنُ جمالا
عريّ «القميرُ» فيالهُ مُسترخياً
سهماً^(١٠) تصبى هائمين، ثمالي
يغفو على سعفِ النخيلِ مُدّريراً

(٥) سواد الشعب، طبقاته الكادحة

(٦) يلق: يمسح الاناء بلسانه.

(٧) الأيخاد والأذمال: نوعان من السير

(٨) لزا: اقحاما

(٩) الثفال: البقية التي لا نفع فيها.

(١٠) سهم: ذاهل

وَهَجًا يَهيمُ الباسِقَاتِ جلالاً
ودجيلةً، وُخْداءُ ملاحِ صبا
شوقاً فأرسل مُشجياً هذالاً
أوكَل هذا تستبيحُ فُتُونَهُ
شَعواءً... تُقْبِرُ زهوها الاطلالالاً

* * *

مُدِّي على لهب الجحيمِ ظلالاً
تَطأُ اللظى، وتُفِيءُ الأجيالاً

١٩٥٠

٣٩٠

الشاعر المقيّد

آليت ان تغشى الطغاة مقيدا
ألقَ الجبين، ولا تمد لهم يدا
آليتَ فارتعشتَ رؤى محمومةً
كانتَ ترى الحلمَ الرخيّ مُهدهداً
واستصرختَ فزعاً تلمّ هشيمها
من أن يُذرَى في الرياح مُبّدا
وعَدتَ عليك، وهل تبدّد حشها
من أن ترى ان كيفَ تعتقلُ الصدى ؟
أن كيفَ تخنقُ همسةً صخابةً ؟
ذُعرَ السواذُ لها فَنجُنَّ وأرعدا

* * *

مُدّت اليك يَدُ أحقّ بان ترى
مغلولةً وأحقُّ أن تتقيدا !
طالتَ عليك وقاحةً وتمسّحت
بنعالٍ من مصّ الدماء وعريدا
ومضت تكابرُ أيّ منتفض تُرى ؟
يستطيعُ ان يجتازَ باباً موصدا ؟
من حيثُ ضرّجت الدماء سياطها

وأحاليّ الاصباح ليلاً أربدا
وتكادُ ترتعدُ الشرورُ تأففاً...
بما ترى، وتهمُّ ان تتمرّدا
حتى اذا لم تُبقِ سهماً ناشباً
تُصي به الشعبَ الجريح، مُسددا
أطلقتها وتركت في أجفانها
حُلماً من الفزعِ الرهيبِ مُسهدا
صخباً تُردّي وتلوي شامخاً
وتهدّ صرحاً للعتيِّ ممرّدا
يغفو ومن أطيافه أشباحها
مستصرخات يصطفقن توعدا
قَطعنهم غيظاً وحَمّ حليهم
حتى تركّتهم قياماً قُعداً

* * *

قدّستُ ظلمك يستثيرُ خرائداً
حمرّاً، ويُلهبُ للنضالِ الجلمدا
قدّسته يجتاحُ كيدَ مُحكم
طاغٍ، ويوشمه «الخلود» الأسوداً

١٩٤٩

مرثية الزعيم الوطنى الكبير

(جعفر أبو التمن)

لو مُدَّ طرفكُ يجتلي بغدادا
وتوجَّس الأغوازَ والأنجادا
لعجبت.. والأمسُ المجهَّم أفقُهُ
أَنْ كيفَ أطبقَ واستحالَ سوادا !
في كلِّ آونةٍ يُطوَّفُ خادِعُ
متذبذبٌ يتعلَّقُ الأسيادا
جيلانَ مرًا والزعامَةُ لم تَزَلْ
تَمَيِّزُ العشاقَ والعبادا

* * *

ان الذين حسبتهم «قطب الرحى» !
طُجِنوا ومُرِّقٌ شملهم آحادا
من كلِّ منتكسٍ وكلِّ مُهزَّبِ
رُكزوا بكلِّ ثنيةٍ أوتادا
فهو اذا زُفَّتْ بشائرها فهو
يتصدَّرون بفوزها الأحشادا
وإذا نَجَّهَّم وأدلَّهَم نذيرُها
رجعوا عن (التحريقين) حيادا

انضاء دربِ والطلائع لم تزل
صُعْدًا تجدُّ سباسباً ووهادا

* * *

أما الذين تناهبوا أسلابها
وتوارثوا الألقابَ والأمجادا
ما زالَ عهدهم كعهديك زاهراً
يَتَفَيَّأُ الاغلالَ والأحقادا
في كل مُنْعَطِفٍ يُمَجِّدُ بغيهم
بنواجٍ ثاكليةٍ تذوبُ جِدادا
وبكل منكتفٍ يجرُّ وراءه
ما حملوة الظلم... والأصفادا

* * *

والأفقُ بعدك ما يزال مجهَّماً
يُزجى دجاءُ البرقِ والارعادا
و (الانعزالبيون) فوق تلالهم
يترصدونَ النحسَ والإسعادا
فاذا ارتخت نُسُمٌ وشُدَّتْ صرصرٌ
لا تنفخنَ لهم لظى ورمادا !
الخير في أن لا يلمَّ بساجهم
ضُرٌّ، يقلبهم جوى وسهادا !
متبلدونَ، مسيرونَ تخالهُم
في كلٍ مدرجةٍ صوى.. وجمادا

هُمْلٌ تسوقهم الخطوب كأنهم
ريشٌ تناقله الرياح يدا
سَلِمَت عيونهم وان شَأَت الذرى
نَوْبٌ تهَدُّ أمةً وبلاداً

* * *

إيه نَجِيّ الساحبين قيودهم
والمدلجين صلابةً وعناداً
أكبرتُ فيك مناضلاً متجبراً
أعيا الطغاة الفاتحين قياداً

١٩٤٩

الخاصة

جذّي^(١) - عدمتك - هذا الثائر العصباً
وأضرمي في خنايا الخافق اللهباً
وطفحي كأسك الحموم سؤر^(٢) دم
مستنزف يتلظي فائراً لجباً
وذؤبيني ضارخاً هادراً شرساً
يرذ لفح صده الأفق مصطخباً
ورؤي هذا الذي يربد فاعره^(٣)
ويستحز لهائاً كلما شرباً
لُعنت من شوهة صماء ناهشة
«لحماً»، وقاطعة من شهدها «الهدبا»

* * *

مدّي الى حيث لا تمتد جاحمة
وحرّقي ما التهمت الماء والخطبا
وجهمي الحقد أشباحاً مروعة
سوداء تنفت في حوبائها العطبنا

(١) قطعي.

(٢) السؤر: البقية.

(٣) القلب المحترق..

فقد طما العازُ حتى لآخ منحسراً
جبينُ شامِخها بالوحدِ معتصبا
واستأثرَ البغي لم تُفضلْ نواجذهُ
فُتاتٌ زاد تغدُّ الجائعَ السغباً
وكشّرَ الموتُ والتأثتُ مخالِبهُ
وحامٌ بالأحمرِ المظلولِ مُختضباً

* * *

رأى الوجومُ عليها فهي ساهمةٌ
ترنو وراءَ جِماحِ اليأسِ مُرتقباً
سَلْ أي محترقٍ فيها ومُبتردٍ
يُجَبِّكُ مما يرى من شأنها عَجَباً !
ألوراء ؟ وحاشاها تحثُّ خطي
محمومةٌ تَدني في لحدّها صبباً
أم للامامِ ويا تعسَّ الغرابِ اذا
شأى وقحمها يستأنسُ الحَرباً

* * *

لُجَّ أي داجيةٌ لن تستبينَ هدىً
للخابطينَ بها بدءاً ومُعتقبا
للعالقينَ زماماً رتُّ من علقى
ومجٌّ فيه البلى «الألقاب» «والرتباً»
والناعمينَ بما شاءتْ تمطَّطهم
أيدي الدُحاةِ وما زالوا لها اللعبا

والناصبين رؤوساً كم يُشرفُها
ان يدلّوها صفاراً تمسُخ الذنبا
والبائعين انتهاكاً موطناً نكداً
وذمة تستشف البارق الذهبا
والناهبين من الاشداق لقمتهما
معجونةً بجبين بعد ما نضبا
والآسرين بدأ «بُراء» بما أتهمت
والمطلقين يد «الجاني» بما ارتكبا
والمُدلسين شباكاً حيثما شرعت
مدوا لها من عيون المُرجفِ الطنبا
مدوا لها صُحفاً خرقاء فاجرة
مسعورة تتضرى النهش والكلبا
مبحوحة لم تجذ أذناً تصيحُ لما
تقيئه.. كجراي تنبُح السُحبا
مأجورة يغمزُ الرنان مخطمها
فتستميل طواعاً، أية جَدبَا

* * *

تقحمي وادلجي في قلبِ حالكة
لا توجسي الأفق إن لم يسرج الشها
وصدعي الليل فالأجفان مترعة
من الدياجير تعشي نهجها اللجا
ولم يثن في عثار الركب خابطها
تنث أذياله الأدران والسحبا

شقيّ طريقك إصصاراً يمزقها
طرائدا واستثيري المصعق الحصباً^(٤)
ردّي هياكلها مذرورةً رهجاً^(٥)
لا تنخلي ائراً منها ولا عقيباً

وطهري غدنا من أميها فعلى
اشلائه سنشيد «العالم الرجبا»
يربّه كل قح^(٦) اشعث فئلت
منه السواعد لن يلويه ما صبغبا
فزمجري ويك شقي دربه فغداً
لا بد من غده ان يدرك الحقببا

١٩٥٠

(٤) الشاعر المحفز.

(٥) غباراً

(٦) القح الاشعث: العامل الأصيل.

كوريا الحمراء

أَكُورِيَّةَ النَّارِ، جُرْنَ الحَديْدُ
وَأَفْقُ يَمُورُ، وَاَرْضُ تَمِيْدُ
وَبَيْنَهُمَا الصَّرْمُ المُلْهَبُ
وَشَلْوُ مُيْرَقُهُ مَخْلَبُ
وَمَوْحِشَةُ بَوْمِهَا تَنْعَبُ

* * *

وَيُبْلِي هِنَاكَ الزَّمَانُ الزَّمَانُ
وَيَخْتَضِبُ الحَقْدُ بِالْأَرْجَوَانُ
فَتَنْهَدُ أَعْرَاشُهُ الخَاوِيَاثُ
وَتَخْنُقُ أَنْفَاسَهُ اللَّاهِثَاتُ
نَذِيرَ أَعَاصِيْرِهَا العَاصِفَاتُ

* * *

هِنَاكَ يَدْمِدْمُ قِصْفُ الرَعْوَدُ
فَتُلْوِي قِيوْدُ، وَتَنْزُو قِيوْدُ
وَيَسْتَجَاؤُ الوَحْشُ فِي كُلِّ غَابِ
وَفِي كُلِّ كَهْفِ عَوَاءِ الذَّنَابِ
بَلْفَحِ الدَّمَارِ، وَسِيْلِ الخَرَابِ

* * *

هناك على جنبات الطريق
بقايا هشيم رضيع لصيق
بصدرٍ تضرّم فيه اللهب
ظلالٌ حبيبٍ يضمّ الحبيب
تَسْمُرُ فوقَ الترابِ الخضيب

* * *

أطلالُ (سيئول) أنّ الصراع
تضرى، فلزّ الذراعُ الذراعُ
شققت له عطفاتِ الدروب
وخضت سنا اللاهباتِ الشبوب
تؤجّج سعيّرَ حتوفِ تلوب

* * *

أمّ الكفاحِ الرهيبِ العنيد
أسالَ جموحكِ صلبِ الحديد
وأومضَ في الأفقِ منك الشعاع
يشقُّ دياجيرَ ليلِ (الرعاغ)
ويطليغُ فجرَ العراة... الجياغ

* * *

هناك وراءَ ارتماءِ الضباب
يزمجرُ بركائها بالتهاب

ولما يزل وهجه يُسمعُ
وجاحمُ أهواله تُنذرُ
بان قوى العدل.. لا تُقهرُ

١٩٤٩

«بول روبسن»

فجدة أغنية السلام

شُقَّ المدى الأرحب شُقَّ المدى
يا مُلهباً في اللحنِ دَفءَ الصدى
ومجَهشَ الأَطْيَافِ ما هَذَهدا
(انشودة الفولغا)^(١) وكم رَدّدا
«ملاحه» في أمسه منشدا
ما نَوَّرَ الفجرُ الدُّجى الاربدا
غنيتهَا الدنيا تناجي الغدا
هَدَارَةٌ تَسْتَبِقُ الموعدا
تَطَوُّفُ الأَبْعَدَ فالأبعدا
إِنَّ لها في غَدِنَا مولدا
يُجفَل في إشعاعِهِ الارمدا
وَيَرْتَبِي فَوْقَ الدُّرَى مِصْعِدا
يُزحِمُ مَسرى الشمس والفرقدا
ويجتلي في الافقِ ما البُدا
فَلَا يَدُّ للبغي تَعَلو يَدا
أَوْ يَجْتوي ابيضُها الأسودا

(١) من اغاني روبسن الشهيرة.

اكذوبُهُ (العزقي) الذي مُجدا
شَقْتُ من الوَحْلِ لَهَا موئدا
فاستفلتُ تحتضنُ «السيدا»
والمويسرَ الزهوانَ، والقعددا

* * *

يا هادِراً كالْمَوْجِ إنَّ أربدا
عُدَّ ركابَ الفجرِ أنْ يصعدا
إنَّ لنا في عَدِنَا مولدا

١٩٥٠

الزنجي^(٥)

أنا أسودُ كالمدخنةِ السوداءِ كالقَدْرِ
أنا أسودُ كاللعةِ في ارواحهم تسري
أنا كالموتِ في ليلةِ عرسٍ، دامِي الظفرِ
* * *

هنا كالدودِ في الأرضِ، كما يرْمقها النجمُ
هنا ينظرُ لي الناسُ، عيونٌ حُزِرَ جُهمُ
هنا يرقبني في (بردواي)^(١) الموتِ والظلمِ
* * *

كظوماً اغرقُ الآهاتِ في الالحانِ والخميرِ
طروباً علني انسى هوان البطشِ والسُخرِ
وانسى انني - اسودُ - كالفحمةِ كالقَدْرِ
وانسى انني احيا ! فيا للهاجسِ المُزري !
* * *

وهبَ اني تصبرتُ على الاوهامِ في سري
فتلكَ النظرةِ الشزراءُ كالطعنةِ في صدري
وتلك البصقةِ الحمقى تصبُّ الشرَّ في الشرِّ

(٥) للشاعر الزنجي الامريكى: (ماك كريا).

(١) بردواي: شارع الملاهي في نيويورك ويكثر فيها الزنوج.

وتلك الركلةُ الرعناءُ ينهّدُ لها صبري
ولا ادري.. لأنني فاحمٌ كالليل؟ لا ادري!
ولكنّ سوادَ الليلِ يفتُرُّ عن الفجر
فلا مهربٌ لليل من الفجر، مدى الدهرِ
* * *

انا الموغلُ في الاحقابِ من عصرِ الى عصرِ
انا من مسخِ الأعتابِ من قصرِ الى قصرِ
وفي حبي بعبيدِ حَرِبِ نائبي
أهالوا فوقَيّ التربةَ في وَحْشَةٍ ظلماءِ
وقالوا «عُدُّ كما كنتَ تراباً»: قالَ أعدائي!
* * *

أنا لِمَ يا تُرى؟ لم أزدري والناسُ أمثالي؟!
أنا بينَهُم أحياءٌ بلا عِزٍّ ولا فِكْرٍ ولا مالٍ
ولا عَطْفٍ ولا في شرعِهِم حقٌّ لآمالي!
* * *

أنا في كل بيتٍ مُتْرِفٍ أحرصُ كالكلبِ
أنا أكنسُ في الأحياءِ من دربٍ الى دربٍ
أنا أمسحُ للأطفالِ كالهرةِ، كالدبِ
انا اطربهم في المرقصِ اللاهثِ بالحبِ
ولكنّ جموعَ البيضِ لا يُسعدُها قربي
لأنني طاهر الذيل، نقِي النفسِ والقلبِ
* * *

ولكنني سأطوي العمرَ مشدوداً الى الصبر !
أنا في (الميسي) (٢) و (النيل) من نهر الى نهر
ومن غورٍ تُقوّذتُ على الموج الى غورٍ
وشيدت على الاشلاءِ «اهراماً» من الصخرِ
ولمعتُ حذاءَ القيصِرِ الغارقِ في الكبرِ
ولكنني اريد اليوم ان احيا بلا قيد ولا نُكْرٍ
وهبتي كنتُ زنجياً فلي شأنِي ولي قدرِي

١٩٤٩

(٢) نهر (الميسي)

المهاجر^(٥)

دعوهُ، فما أغنى الكفاح ولا اجدى
عناداً الى ان شقَّ في مهده اللحد
تغرَّب لا يستعظم الهول عزمه
ولا يُرهِّب الاعصارُ خفاقه الجلدا
يشق غيابات الحياة.. فيقتفى
على اثره من صدَّ رعباً.. ومن ردّا
ولولا غيوم حوِّم تُنذِر الردى
يُصانِعُها ممسى ويطعنها مغدى
لكانَ له أن يلمس النجم كفه
ويقطف من اشواك صحرائها وزدا
ولكنَّ حداً للفناء مُضرجاً
يلوخ ويطوي بين أجفانه السهدا
يبسِّعُ بأعمار الرِّجالِ ويشتري
بها ذهباً - لا طبَّت إفريقيا وردا !
وما زلتِ ناراً للفراسات تلتظي
جحيماً يحمُّ القلب او يحرقُ الجلدا

(٥) تأييد أحد المهاجرين اللبنانيين للبحث عن الرغيف.

صَحَايَا ضَحَايَا مَا يَزَالُ نَعِيْهَا
يَدْوِي وَيُوْرِي مِنْ فَوَاجِعِهَا الرِّزْدَا

* * *

أَيَا سَحَرَ لِبْنَانٍ جَلَالاً وَمِنَّةً !
وَلَكِنَّ ذَا لَا يُطْعَمُ الْأَهْلَ وَالْوِلْدَا !
فَلَوْلَا سَوَادُ الْعَيْشِ مَا شَدَّ هَاجِرٌ
رِحَالاً وَخَاصُّ الْبَحْرِ وَالسَّهْلِ وَالنَّجْدَا
وَمَا ضَاقَ لِبْنَانٌ بِأَهْلِيهِ، إِنَّمَا
تَفَرَّدَهُ مَنْ يَسْتَعْلُ بِهِ الْحَشْدَا
تَمَرَّسَ بِالنَّعْمَى.. وَلِلْمَوْتِ شَعْبُهُ
وَلَوْ عَلَكَ الْأَعْشَابَ وَافْتَرَشَ الْجُرُودَا
وَمَا هَمَّهُ أَنْ ضَاقَ بِالْحَبِيزِ كَادِخٌ
إِذَا بَطَرَتْ أَيَّامُهُ وَازْدَهَتْ رَغْدَا
وَمَا هَمَّهُ أَنْ تَاةَ فِي الْأَرْضِ نَازِحٌ
مِنَ الْيَأْسِ لَا يَشْكُو غِيَاءً وَلَا جُهْدَا
وَمَا عَلِقُوا لِبْنَانَ غَيْرَ سَتَاتِهِ
وَمَا يَقْرَأُ الْعَهْدُ فِيهِمْ وَلَمْ يَهْدَا
يَمْرُقَهُمْ فِي الطَّائِفِيَّاتِ طَامِعٌ
كَأَنِّي أَرَى لِبْنَانَكُمْ وَرَثَ «الْهِنْدَا» !
وَأَمَا الْجِنَاةُ الْحَاكِمُونَ.. هَمُو. هَمُو
فَمَا اِبْرَمُوا حَلًّا، وَلَا عَرَفُوا شِدَا
إِذَا سَلِمَتِ الْقَابُثُهُمْ وَنَعَوْتُهُمْ
فَلِلشَّعْبِ رِيحُ الْمَوْتِ.. يَحْصِدُهُ حَصْدَا..

حارِصٌ — لِبْنَان ١٩٤٨

موتية «برنارد شو»^(*)

عَرُيت، كما شَعَتْ حياتك.. مُشرقاً
وفي كلِّ افقٍ منك ومضُّ تألُّقا
يشدُّ صراعاً، أو يهدهُ مرهقاً
ويُكبِّرُ مَنْ في «دنشواي»^(١).. تحرقاً
فما عرفتُ عيناك.. غَرباً ومشرقاً..

* * *

سَيرتَ مدى ما حُطَّ حرفٌ وشوذاً
وهمتَ وراءَ الشمسِ ممسى ومُغتدى
تسائلُها عن كلِّ ركبٍ.. وما حداً
وعن طليلٍ فوقَ الجماجمِ سُيدا
ومغتصبٍ طلَّ الدماءَ.. وعربداً
وصرحٍ على اشلاءِ شعبٍ توطداً
أطحَّتهم عصراً مقصراً مندداً
وخلدتهم عاراً على الدهرِ اسوداً

* * *

(*) الفيلسوف الاشتراكي الإنجليزي.

(١) مذبحة دنشواي القرية المصرية. تمثل بشاعة الاستعمار الإنجليزي في مصر.. وقف برنارد شو -
منتصراً للشعب المصري ضد طغاة قومه.

سخرت^(٢).. وأبليت المني والرغائب
ودست على وهم يغد الشوائب
ومجدت ما عابوا عليك المثالب
وقلمت من نهش اللحوم المثالب
فيا لك فذاً غامر العطف حادياً
تقمص من (شيخ المعزة)^(٣) جانباً
ومن «ماركس»^(٤).. أضفى على الفكر عاقباً
الى حيث نور الحقيقة.. دائباً

* * *

أنفت . بأحداث بولين - رقادا
وآليت في ان تستحيل رمادا^(٥)
لتوسيع رحب العاقبين وهادا
وتسري باعراق الزهور مدادا
ويغمرك الجنج الخفوق.. ودادا

١٩٤٩

(٢) عرف برنارد شو بأسلوبه الناقد الساخر.

(٣) كان نباتياً لصنوه «المعري».

(٤) كارل ماركس.

(٥) أوصى بحرق جثته بعد موته ليذرى رماده في الافاق.

لبنان

مَسَحْتُ حَدْيِي فِي ثَرَى لَبْنَانَا
وَحَضَلْتُ مِنْ أُنْدَائِهِ الْأَجْفَانَا
وَفَرَشْتُ لِلْفَتَنِ الْعَوِيَّةِ عَاطِفًا^(١)
لَغَبًا، يَرَى أَطْيَافَهُ يَقْطَانَا
فَيْرَمُّ^(٢) لِلشُّوقِ الْمَحْرُوقِ كَأْسَهُ
وَيَبُلُّ تَحْتَ جَنَاحِهِ النِّيْرَانَا
وَتَضْيِرُهُ^(٣) مِنْ أَنْ تَظَلَّ ثَمَالَةً
فِي كَأْسِهِ تَنْتَهَدُ الْأَشْجَانَا
فَيَعْبَهَا وَيَبُودُ لَوْ أَنْ تَرْتَوِي
بِلَهَائِهِ... وَتَهْدَهُ الْجِزْمَانَا

* * *

لَبْنَانُ مَا تَرَكْتُ فَتَوْنُكَ لِلرُّؤْيِ
أُفْقًا يَهْيَبُ بِسِحْرِهِ لَبْنَانَا
فَهِنَا الشَّوَاهِقُ صُعِدَتْ ذُرْوَاتُهَا
مُتَشَامِخَاتٍ مَا ارْتَمَيْنَ هَوَانَا

(١) العاطف اللغب: القلب المتعب.

(٢) يرم: يقبض عليه بقوة.

(٣) تضيره: تؤذيه

غَسَلْتُ «مُويجاتُ» الخضمَّ ذبولها
وتعمَّمت غيماتها تيجانا
وتعلقتُ في «جيدها» منثورةٌ
- يا للقرَّياتِ -^(٤) اللطافِ جمانا
سجواء ظلَّ لها الصنوبر وارتمى
عرش النسيم مصفقا نشوانا
فإذا سجا ليلٌ حسبتُ ضيائها
«نجماً» تخوَّضَ في الدجى عريانا
إنني ليذهلني جلالُ بهائها
فيموتُ في شفتي الصدى ظمَّانا

* * *

وهنا هنا قِفَ في (زُحيلة)^(٦) خاشعاً
لا توقِظِ الأشباح والأزمانا
فَهنَّا تَسمرتِ الظلالُ وهممتهُ
سحراً يَهزُّ الصخرَ والانسانا
وتدفقُ (البردون)^(٧) تَبتردُ الحصى
فيه ويزرعُ شاطئيه جِسانا
وأجلُّ بطرفك حيثُ شئتُ فهذه
سَكرى تُطارحُ في الهوى سَكَرانا

(٤) القرى المتناثرة على سفوح الجبال.

(٥) سجواء: هادئة.

(٦) زحلة

(٧) البردون: نهر صغير يخترق وادي العرائش.

وتمايلت أعطافُ تلكَ واسبلت
من - فرط عِبِّ كؤوسها - الأجنافا
مُتعتِّرٌ فزوقَ الشفاهِ حَدِيثُها
خَدراً يُتَمَتِّمُ وَقَعُهُ أَلحانا
يا ليلةَ العمر المنمنم عَطْرُها
الآنَ جادَ بِكِ الرِّمَانُ الآنَا
بوركتِ مِنْ مَسحورةٍ مَخْموزةٍ
تَسْتَرِضِعُ المحرومَ وَاللهفانا

* * *

وهنا على الرِّمْلِ المهفهِفِ تَزُومِي
عريانةٌ تتحرِّقُ العريانا
يَتَهامسانِ فَأُيُّ بَوَاحِ عابقي
يتعطرُ الأمواجُ والشيطانَا
هذي وتلكَ وألفُ تلكَ وهذه
جَحَظتْ بِسحرِ قَوايمِها عَيْنانا
فَتَنُّ تَنائِرُ سِحرهنَّ وحُرْمَتِ
مِنْ أَنْ يَلْمَمَ قَلبنا وِيدانا !

* * *

لبنانُ لولا أنْ تحوَّطَكَ عُصبة
تتجاذبُ الأشياخَ والرهبانا
لزهتْ بِكَ الجنباتُ عابقةَ الشذى
سُكْرِي وأمرعتِ الدروبُ جِنانا
هَمْ. الزعامَةِ فيكَ عِلَّةُ مُدَّعٍ

يَتَذَرَعُ الْأَمْحِيلَ وَالْقِرَانَ
فِي كُلِّ شَبْرٍ يَسْتَبِيحُكَ عَاقِفُ^(٨)
لِلشَّارِبِينَ.. تَزْعُمُ الْقَطْعَانَا
وَالشَّعْبُ مَا لِلشَّعْبِ ضَلُّ طَرِيقُهُ
أَيْظَلُّ مَرْتَعَشَ الْجَنَاحِ مُهَانَا ؟
وَعَلَى الْهَدُودِ مِنْ اسْتِبَاحِ حَدُودِكُمْ
وَعِدَاً سَيَلْحُقُ إِثْرُهُ «الليطَانَا»^(٩)
وَالْقَائِمُونَ الْقَاعِدُونَ هُمُو هُمُو
يَسْتَأْوِبُونَ بِبَيْعِنَا وَشِرَانَا
فَمَتَى تُصَانُ كِرَامَةٌ مَهْدُورَةٌ
هَانَتْ عَلَى الشَّعْبِ الْجَرِيحِ فَهَانَا

* * *

لِبْنَانٍ مَا جَدُوِي الْعَتَابِ وَلَمْ تَزُلْ
أَيْدِي جُنَاتِكَ تَحْتَوِي بَعْدَانَا ! !
مَا فِي سَجُونِكَ فِي ظَلَامِ سَجُونِهَا
تَتَعَمَدُ الْأَحْرَارَ وَالْعَبِيدَانَا
مَنْ كُلُّ مُنْتَفِضِ تَوْتِبِ هَادِرَاً
لَا يَرْهَبُ الْجَلَادَ وَالسَّجَانَا
إِنْ فَاتْنَا مَجْدُ الشُّعُوبِ وَنَصْرُهَا
فَعِدَاً سَيَدْرُكُ شَأُوهَا «شَعْبَانَا»

(٨) الزعيم الاقطاعي...

(٩) نهر الليطاني - تنبأ الشاعر منذ الخمسينات بالاطماع الاسرائيلية في مياه الليطاني.

كلم.. وكلم !

أنيري دجى ليلك المظلم
ينارِ اللهيبي، ونورِ الدمِ
بحقدي يفلُ حديدَ الصراعِ
ويلوي بعاصفه المزمِ
أوهجِ الدماءِ وان الشرارِ
رماذ.. اذا هو لم يُضرمِ

* * *

لأبي.. وفيم استبيحِ الحمى
وفيّم يُراقُ دُمُ المُعديمِ؛
اللاذلين.. ربيبي الطفلة
أجيري المعرق.. والمُشتمِ !
عجافِ على كبرياءِ الضميرِ
سيماً على الشرفِ المُثلمِ
تحيطُ به مشرعاتُ الحرابِ
عيونُ على غدهِ المُبهمِ

* * *

لعنتك من ساعةٍ لا تحينُ
تفجرُ من حقدِها المُلغمِ
لأبي.. وحتى مَ هذا المطافُ

يهوم بالأجهم الأجهم
رويدك.. ان الرعود الغضاب
تهادر بالقسم الاعظم
بنار تشق الرحاب الجهام
وتضرم قلب الدجى الأفحم
فان على الشرق منها سناً
توامض في الافق كالأنجم
ولا بد من ان تبلّ الدماء
وراء الليالي.. غليل الدم

١٩٤٨

كوردستان
ورقةُ الدم.. ورقةُ الجمر

كوردستان

وردةُ الكرم.. وردةُ الجمر

من أيّ جرحٍ من جروحك ألتئم
وبأيّ نارٍ من كفاحك أقسىم
يا بنتَ مرخصةِ الدماءِ ولم يزل
في كلِّ شبرٍ منك ينتفضُ الدمُ
فلكلِّ عهدٍ فيكِ جيلٌ نائرٌ
ولكلِّ ليلٍ منكِ نازٌ تُضرمُ
رؤيتِ ظامئةِ السفوحِ ورؤعتِ
مما أريقَ من الدماءِ الأنجمِ
ووقفتِ والأفقُ المروغُ مُلهبٌ
والجاحماتُ السودُ حولكِ حوّمُ
حتى حسبنا ان يَوْمكِ في غدٍ
للشامتينِ على صليبكِ يُرسمُ
وعلى بقايا من رماذٍ باردٍ
تُذريه عاتيةٌ، عصفوفُ ثرزمُ
وتطير من فزَعِ حلومِ رجالها
وتجمرُ اذبالَ الخنوعِ وتُسليمِ
حتى اذا دارتِ رحى وتضرمتِ
نازٌ، وجنُّ مُسلطٌ متحكّمُ

علمته، ما لا يظنُّ ويعلمُ
من أن عودك لا يلينُ ويعجمُ
وبأن معترك الخطوبِ وان دجا
ليلٌ، سيعقبه الغدُ المتبسّم
* * *

يا جارتا إنّا وقد طَفَحَ الرُّبا
أدرى بما خطُّ المصيرِ وأعلمُ
أدرى بما يأتي غدٌ، وغداته
لك ما تخرّص مُبتغى أو مزعمُ
قالوا بأنك قد عزمِ قطيعةً
تالله كم كذبوا عليك وأوهموا
ولأننا ادرى لِمَن ولأَيّةِ
تتعمد الوهم الغيبي ومن همو ؟
فلقد سُقينا ما سُقيت ولم نزلُ
كالطود لا نشكو ولا نتبرمُ
يُزري بنا الحقدُ الهجينُ فنكظمُ
ونلوذُ بالسرِّ العتيدِ ونكتمُ
عَقَبَ السنونُ ونحنُ عزمُ شامخُ
لا ننثني فزَعاً ولا نَسْتسلمُ
* * *

مُجدتِ كردستانُ شَهدكِ علقمُ
للفاتحين، ونجمُ ليلكِ أسحمُ
خمسون عاماً والطوارقُ لم تزلُ
في ساجها لا تستكينُ وتُضرمُ

في كلِّ عِرْقِ نِقْمَةٍ مشبوبةٌ
وبكلِّ صدرٍ ثورةٌ تتضرمُ
فكأنما تلك الشدائدُ ثلهمُ
ما لُصَّ من حقي مبيحٍ يُهضمُ
وكأنما تلك الدماءُ ذبالةٌ
لا تنطفي أبداً ولا تتجهمُ
هي فوق هاتيك الروابي رايةٌ
حمراء، تخفقُ في الذرى وتُهومُ

* * *

من أيِّ جرحٍ من جروحك ألتئمُ
وبأي نارٍ من كفاحك أقسمُ

١٩٧٢

مؤلفات الشاعر كاظم السماوي

- * ديوان (اغاني القافلة) ١٩٥٠، الطبعة الأولى - بغداد، الطبعة الثانية ١٩٥٢، صدرت عن (دار الحياة) بيروت.
- * ديوان (الحرب والسلام) ملحمة شعرية عام ١٩٥٣، صدرت عن دار القلم، بيروت.
- * ديوان (إلى الامام ابدأ) ١٩٥٤، صدر عن دار العلم للملايين، بيروت.
- * ديوان (رياح هانوي) صدر عن وزارة الاعلام، بغداد عام ١٩٧٣.
- * ديوان (الى اللقاء.. في منفى آخر)، صدر عن (الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين) في بيروت ١٩٨٠.
- * ديوان (قصائد للرصاص.. قصائد للمطر) ١٩٨٤ دار النشر والتوزيع طرابلس - ليبيا.
- * ديوان (فصول الريح.. ورحيلُ الغريب) ١٩٩٣، (دار الحصاد) دمشق.

الترجمات الشعرية الى اللغات الاجنبية

- * ديوان (الساري)، مجموعة شعرية باللغة المجرية (ايللي فاندور)، صدرت عن دار اوربا للنشر، في بودابست ١٩٥٦.
- * ملحمة (الحرب والسلام)، صدرت ترجمة كاملة لها باللغة الروسية ترجمها الشاعر الروسي المعروف (فلاديمير لوكوفسكي)، صدرت عن (دار الشرق) موسكو.
- كما صدرت ترجمة كاملة لها إلى اللغة المجرية عام ١٩٥٥، ترجمها الشاعر المجري (دالنوكي) تيبور وصدرت ضمن المجموعة الشعرية بالمجرية بعنوان (ايللي فاندور).. اي.. (الساري) ١٩٥٦ في بودابست عن «دار اوربا للنشر».
- * وقصائد أخرى ترجمت الى البلغارية والانكليزية والصينية..

اصدارات أخرى

- * «الفجر الأحمر فوق هنغاريا» - دار الحياة - بيروت ١٩٥٤ .
- * «حوار حول ماوتسي تونغ» - قبرص ١٩٩٠ .

الأعمال الشعرية الكاملة

يتضمن هذا الكتاب ثمانية دواوين شعرية للشاعر العراقي التقدمي كاظم السماوي، مفعمة بالمعاني الانسانية الرائعة والنبيلة، «وصبّ فيها السماوي مواد غضبه ووقود تجاربه التي هي من الكثرة أمست لديه مفتاح الذات وقفل الموضوع في آن»، وجعلت الدكتور ميشال سليمان يصفه بأنه «رافد باهر الخصب في نهر الشعر العربي الحديث».

وإذا كان أعذب الشعر أكذبه كما قيل قديماً في زمن لم يكن فيه للحقيقة الشأن الذي لها اليوم في حياة البشر عندما كان الشعراء يكذبون على انفسهم وعلى الناس لمجرد الاستمتاع، أو التسلية، أو الألهاء، أو إذكاء الحماسة في صدور الجماعات المراد تحميسها أو تخديرها عند الحاجة، فإن أعذب الشعر اليوم هو أصدق، كما هي حال أشعار السماوي التي تتميز بالعدوية والصدق، والحقيقة الحاضرة دوماً والتي جعل منها الشاعر وسيلة أخذة من وسائل التعبير عن نفسيته ونفسية البيئة التي يعيش فيها. يأخذ منها ويعطيها، يستلهم شاعريته من حالها، ويدعوها الى النضال لايقاظها على واقعها والعمل المجدي والايجابي لتحقيق امانيتها.

وضمن هذا المفهوم للشعر، يضع الدكتور جورج حنا الشاعر كاظم السماوي «في الصف الأمامي من شعراء العرب لأنه من رعييل شعراء الحياة».